
ليلة
في
جهنم
رواية
الرصد
حسن الجندي
دارك



الأعمال الكامله
t.me/kotbhm

ليلة في جهنم

الرصد

info@darak-eg.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

ليلة في جهنم- الرصد

حسن الجندي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغـوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com

رقم الإيداع: 2017/14682

الترقيم الدولي: 978-977-85316-8-8

الطبعة الأولى: 2018

حسن الجندي

ليلة في جهنم

الرصد

رواية



تعلمت أنه في هذا العالم، لا شيء يبدو كما تراه

الفصل الخامس

البداية

«1963»

مصر - جبل حمزة

داخل منشأة رقم ب 6 التابعة لبرنامج الصواريخ المصري جلس ثلاثة من المهندسين الألمان يرافقهم مهندس مصري داخل أحد المكاتب بالطابق الثاني، المهندسين الألمان يقفون جميعًا إلى منضدة صغيرة وُضِعت عليها بضع رسوم هندسية لغرفة تبريد داخل صاروخ، وأحدهم يكتب بضع معادلات على هامش الرسوم والاثنان الباقيان ينتظرانه بشغف.

أما المهندس المصري فجلس وراء أحد المكاتب يقرأ تقريرَ مراجعة كُتِبَ بالألمانية لغرفة الاحتراق الأولى في الصاروخ، ويكتب بضعة ملاحظات على مفكرة صغيرة بجانبه.

- سلامه عليكم.

قالها رجلٌ في الخمسين من عمره وهو يدخل بصحبة شاب من باب المكتب، فنظر له اثنان من الألمان وقالا بلغة عربية مضحكة:

- وعليكم السلام..

نظر المهندس المصري للشاب وهو يردّ التحية بابتسامة مرحّبة، فقال الرجل:

- أعرّفكم بدكتور/جابر، اللي كلكم مستنينه، هاسيبه معاكم دلوقت وأرجع لكم في ساعة الغدا.

ثم نظر للشاب وهو يقول بودٍّ:

أهلًا بيك معانا. هاسيبك تتعرف عليهم بس خلي بالك إن الألمان هنا مايعرفوش غير كلمة سلامه عليكم وعليكم السلام. نتقابل على ساعة الراحة.

غادر الرجل فسار (جابر) بخطوات واثقة لداخل المكتب، والمهندس المصري ينهض من خلف مكتبه ويمد يده لمصافحة (جابر) معرّفًا نفسه:

- معاك المهندس (حلمي فضل الله)، شرفتنا.

جلس (حلمي) خلف مكتبه مرة أخرى بينما جلس (جابر) على مقعد أمام المكتب. قال (حلمي) وهو يشير للألمان:

- بعد ما يخلصوا اللي بيعملوه هاعرفك عليهم. معلش إنت عارف إننا مشغولين علشان اختبار الإطلاق بتاع بعد بكرة.

عارف. كمل اللي بتعمله دلوقت ونتكلم بعد ما تخلص.

لا عادي أنا بعتبر خلصت خلاص.. بس ممكن أسألك سؤال؟

اتفضل

هو حضرتك دكتور في أنهي فرع في الهندسة؟

- في الفيزياء النظرية.

رفع (حلمي) حاجبيه دهشة فضحك (جابر) وقال:

معلش أنا حاسس بيك. تلاقيك بتقول إيه اللي بيعمله معانا هنا.

في الحقيقة آه.. هما قالولنا إن فيه مشرف مصري هايجيي يتابع شغلنا قبل اختبار الإطلاق. لكن شكلك صغير في السن وما شاء الله بتقول معاك دكتوراة في الفيزياء النظرية اللي أنا ما أعرفش كتير عنها أساسًا. هو حضرتك علاقتك إيه بالصواريخ.

زي ما قالولك. أنا مشرف. بتابع مش أكتر. صعب أتدخل في شغلكم،

يهمني أراجع عملية الإطلاق للصاروخ (القاهر) وأحدد هايغلط بنسبة كام متر في إصابة هدفه.

- وحضرتك واثق ليه إن الصاروخ هايغلط في الإصابة؟

- كل اللي شغّالين في برنامج الصواريخ يا باشمهندس عارفين إن مفيش أجهزة توجيه للصواريخ وهي طايرة، يعني كأنك بترمي طوبة بالظبط.

- أنا آسف بس حضرتك محبط جدًا.

- بالعكس، لازم أكون موضوعي علشان أنقل كل اللي هاشوفه للجهة اللي كلفتني بالإشراف على التجربة.

- وهو مين اللي كلفك؟

- مكتب الرئاسة.

ابتلع (حلمي) ريقه ونظر إلى الأوراق الملقاة على مكتبه شاردًا ثم نظر إلى (جابر) ثانية، وقال بصوت خافض:

- بتقعد مع الريس بنفسك؟

ابتسم (جابر) وأمال جسده ناحية (حلمي) وهو يقول بصوت خافض هو الآخر:

- إنت موطّي صوتك ليه؟

وكأن أحدهم أمسك بحلمي وهو يرتكب جريمة، انتفض في مكتبه وقال بصوتٍ عالٍ جعل العلماء الألمان ينظرون له بدهشة:

- على فكرة أنا قابلت الريس قبل كده وسلّمت عليه.. وقالي شدوا حيلكم يا ولاد.

- طب إهدا بس يا باشمهندس، أنا بهزر معاك، على العموم أنا قابلت الريس كام مرة لكن أنا بأبلّغ النتايج لمكتب الرئاسة مش الريس بنفسه.

قال (جابر) عبارته السابقة وهو ينظر بودٍّ شديدٍ لحلمي الذي كان يبتلع ريقه كل بضع ثوانٍ بدون سبب، بينما أشار (جابر) لمكتب (حلمي) وهو يقول:

- كمِّل شغلك وأنا هاستناك.

عاد الهدوء تدريجيًّا لوجه (حلمي) الذي أخرج من جيب سرواله علبة سجائره وقداحة وناول (جابر) سيجارة محاولًا الابتسام فالتقطها هذا الأخير وهو يضعها في فمه ويقول:

- دي سيجارة (كينت).. مابتشربش ليه (نفرتيتي) أو (فلوريدا) وتشجَّع الصناعة المحلية؟

توقف (حلمي) عن إشعال سيجارته وظهر على وجهه أنه يفكر.

- إيه يا باشمهندس هو أنا كل ما أهزر معاك تاخدها بجد.. دا الريس (جمال) بيشرب (كينت) برضو.

حاول (حلمي) الضحك لكنه فشل فخرجت الضحكة بصعوبة، طرقَ الباب في نفس اللحظة شاب في العشرينيات يرتدي قميصًا وسروالًا باللون البني ويحمل بيده صندوقًا من الخشب وهو يقول:

- الطرد ده وصل للدكتور (فالترا) إمبارح.

رفع أحد العلماء الألمان يده وهو يقول بالعربية:

- أيوااااا.

على الأرجح الألماني لم يفهم من العبارة سوى اسمه، دخل الشاب وأعطاه الصندوق، بينما وجَّه (حلمي) كلامه للشاب قائلًا:

- هاتلي قهوة زيادة يا (إمام) وشوف الدكتور (جابر) يشرب إيه.

نظر (جابر) لإمام الواقف عند الباب مندهشًا وقال:

- إنت اشتغلت هنا يا (إمام)؟

ملأت الابتسامة وجه (إمام) وهو يدخل خطوات لداخل الغرفة حتى وصل لجابر الذي وقف له وصافحه:

- ده من فضلة خيرك يا دكتور (جابر).

قالها (إمام) وهو يكمل مصافحة يد (جابر) بحماسٍ زائدٍ، نهض (حلمي) من مقعده وقال ببطءٍ:

- إنتوا تعرفوا بعض؟

- دكتور (جابر) الله يستره اتوسطلي علشان أشتغل في مصنع «صقر» بعد ما خلصت خدمة الجيش.

قال (جابر) والدهشة لم تفارق قسمات وجهه:

- بس انت جيت هنا إزاي؟

- نقلوني مرتين لمصنعين تانيين، وفي الآخر جابوني هنا من 4 شهور بس، والحمد لله مستريح أوي.

نظر (جابر) للصندوق الذي كان يفتحه (فالترا) وقال لإمام:

- الطرد ده راجعته اللجنة الفنية للمصنع؟

- أكيد يا دكتور ولّا ماكنتش استلمته علشان أجيبه.

فتح (فالترا) الصندوق وأخرج منه صندوقًا أصغر من ورق الكرتون المقوى مكتوبًا عليه بالألمانية، رفعه لأعلى وهو ينظر له ويقول عبارة بالألمانية، فنظر (جابر) لحلمي قائلًا:

- هو بيقول إيه؟

نظر حلمي لفالترا وبادله بضع جمل بالألمانية ثم نظر لجابر قائلًا:

- بيقول وزن العلبة تقيل عن إنه يشيل الكاتلوجات اللي هو طلبها من (هامبورج).

صرخ (جابر) وهو يشير للصندوق:

- قوله ما يفتحش العلبة.

وكأن (فالـترا) فهـمَ عبـارة (جابـر) فوضـع العلبـة عـلى طاولـة بجانبـه، ونظـر لحلمـي مسـتفسرًا، لم ينتظـر (جابـر) وهـو يـصرخ في (إمـام) قائلًا:

- خـد الطـرد بسرعـة واطلـع بيـه أمـن المبنـى وقولهـم فيـه شـك إن الطـرد مفخخ .

تبادل (حلمي) بضع كلمات مع (فالترا) ثم نظر لجابر وقال:

- دا بيقـول إن هـو الـلي طلـب الكاتلوجـات دي مـن الجامعـة الـلي كان بيـدرس فيهـا، وإنهـم ممكـن يكونـوا بعتـوا أكـتر مـن كتالـوج.

تراجـع بقيـة العلـماء الألمـان للـوراء خوفًـا مـن كلـمات (جابـر) التـي نقلهـا (حلمـي) للألمانيـة، ماعـدا (فالـترا) الـذي ظـلّ يلـوح بيديـه ناحيـة (جابـر) وهـو يـصرخ بالألمانيـة، بينـما نظـر (جابـر) إلى (إمـام) وصرخ فيـه بـأن يأخـذ الطـرد مـن (فالـترا).

جـرى (إمـام) ناحيـة الصنـدوق في نفـس اللحظـة التـي فتـح فيهـا (فالـترا) الصنـدوق لتظهـر داخلـه بضعـة كتـب رصـت بجانـب بعضهـا البعـض، تنـاول (فالـترا) أحدهـم ورفعـه في وجـه (جابـر) وهـو مـا زال يـصرخ بالألمانيـة، تنفـس الجميـع الصعـداء مـا عـدا (جابـر) الـذي صرخ بإمـام أن يبتعـد لكـن (إمـام) كان قـد وصـل للصنـدوق ورفعـه مـن موضعـه.

هنا دوى انفجار داخل الغرفة.

***

مستشفى المعادي العسكري

فتح (حلمي) عينيه بصعوبة وهو يشتم رائحة المطهرات، حاول النهوض ففشل، تنحنح وحرك يده وعينيه ليستكشف ما حوله، هو راقد على فراش بغرفة مستشفى وما زال بملابسه التي تقطعت في بعض الأماكن، يده اليسرى ربطت بضمادات بداية من كتفه حتى رسغه، وعلى رأسه ضمادة بسيطة تحت عينيه اليسرى، تذكر الانفجار في المكتب واصطدامه بالحائط لكنه فشل في تذكر التفاصيل.

- حمد الله على السلامة يا باشمهندس.

أتى الصوت من على يمينه فحرك رأسه بصعوبة حتى رأى (جابر) يجلس على فراش آخر عاري الجذع والضمادات الطبية تملأ صدره وبطنه ويديه.. العجيب أنه كان ينظر أمامه بشرودٍ وهو يكمل كلامه ويقول:

- (فالترا) عينه الشمال راحت وجاتله حروق كتيرة في جسمه، والاتنين مهندسين التانيين كويسيين وعندهم حروق بسيطة زيينا.

تنفس (حلمي) بعمق وهو يقول:

- الحمد لله.

- و(إمام) مات.

قالها (جابر) بنفس الصوت الهادئ الخالي من التعبيرات، تنحنح (حلمي) ولم يجد ما يضيفه بينما أكمل (جابر):

- جسمه أخد معظم شظايا الانفجار علشان كده ماوصلناش إلا التضاغط وشوية بارود سخن.. مات في لحظتها.

- الله يرحمه.

قالها (حلمي) ولكنه شعر بأن عبارته لم تكفِ لتلك اللحظة فقال بوهن:

- إنت تعرفه كويس؟

- أعرفه من سنتين أيام خدمته العسكرية في مصنع أبو زعبل، وحضرت جوازه من سنة ونص.

نظر (جابر) في تلك اللحظة ببطء إلى (حلمي) وقال:

- تعرف إنه خلف من 6 شهور.. كان آخر مرة أشوفه فيها يوم سبوع ابنه (سعيد).

تحامل (حلمي) على عقله ليبحث عن رد لكلمات (جابر) لكن بلا جدوى، أنقذه في هذه اللحظة صوت باب الغرفة وهو يفتح ومن خلفه يتقدم ثلاثة رجال في زِيٍّ عسكري لداخل الغرفة وأحدهم يقول:

- سيادة العميد (عصام خليل) هايجيي علشان يزوركم حالًا.

قبل أن ينتهي الرجل من عبارته دخل إلى الغرفة رجلٌ يرتدي بدلة مدنية متوسط الطول عريض البنية تقترب رأسه من الصلع بعد أن انزاح الشعر عن مقدمتها، وشارب عريض مفتول كأنه أتى من الصور الفوتوجرافية القديمة.

مُلئت الغرفة بهيبة الرجل الغريبة والذي أشار بيديه للثلاثة رجال ليخرجوا، نفّذوا أمره في ثانية وانغلق باب الغرفة و(حلمي) يحاول رفع رأسه ليتابع حركة الرجل الذي تقدَّم منه وابتسم قائلًا:

- حمد لله على السلامة يا باشمهندس (حلمي).

- الله يسلم سيادتك.

قالها (حلمي) برهبة محاولًا توقع شخصية هذا الرجل الغريبة، لكن الرجل قال وهو يربِّت على يد (حلمي) اليمنى:

- أنا العميد (عصام الدين خليل) مدير مكتب استخبارات الأبحاث العلمية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة للمشروعات الخاصة.

لم يفهم (حلمي) معظم الجملة أو لم يستطع استيعاب ما قاله لكنه سمع كلمة القائد الأعلى للقوات المسلحة فنهض من الفراش والغريب أنه استطاع بسهولة رفع جذعه للأعلى وكأن النشاط قد غزا جسده لحظيًا.. أكمل (عصام) كلامه بابتسامته الهادئة قائلًا:

- المشروع اللي انت شغال فيه تابع لينا مباشرة.. مش محتاج أقولك إن اللي حصل النهارده ده سر إوعى حد يعرف بيه حتى أبوك وأمك، وبعد ما تخرج من المستشفى وتبقى كويس وترجع البيت تقولهم إن أنبوبة البوتجاز اللي في شركتك انفجرت.. مش أهلك برضو عارفين إنك شغال في شركة المنسوجات؟

- والله العظيم تلاتة كل الناس عارفة إني متعين في شركة المنسوجات.

زادت ابتسامة (عصام) وربت ثانية على يديه وهو يقول:

- على العموم يا بطل في واحد هايجيلك قبل ما تخرج هايتفق معاك على كل حاجة وكمان هايسلمك بدل إصابة العمل ومكافأة كويسة.

هز (حلمي) رأسه بالقبول بسرعة.. في تلك اللحظة اختفت ابتسامة (عصام) وهو ينظر لجابر على الفراش الآخر ويقول بصوت قوي:

- إزيك يا دكتور (جابر).

- الحمد لله.

قالها (جابر) وهو ينظر لعصام بعين زجاجية بلا تعبير وقسمات وجهه ثابتة جامدة، أخذ (حلمي) في التنقل بعينيه بين وجه (جابر) ووجه (عصام) الاثنان ينظران بنفس النظرة الباردة لبعضيهما، نظرة لا تحمل الكره ولا الغضب بل هي نظر ميتة خالية من المشاعر.

- مهنـدس ألمـاني مـن الـلي كانـوا معاكـم في الأوضـة قـال إنـك حـذرت دكتـور (فالـترا) مـن إن الطـرد مفخـخ، إيـه الـلي خـلاك تشـك في الطـرد؟

قـال (عصـام) عبارتـه، ولكـن قبـل أن ينتظـر ردًا سـار ناحيـة البـاب وهـو يقـول:

- عـلى العمـوم النيابـة العسـكرية مسـتنية بَـرّه علشـان تاخـد أقوالكـم، وأنـا مسـتنيك في مكتبـي يـا دكتـور (جابـر).

ثم توقف أمام الباب ونظر لجابر قائلًا:

- أول ما تخرج من المستشفى عدّي عليا.

- أنـا كويـس، هاخلـص التحقيـق وأخـرج مـن المستشـفى عـلى طـول وأجيلـك.

فتح (عصام) باب الغرفة وقال دون أن ينظر له:

- هابعتلـك البدلـة الاحتياطـي الـلي انـت حاططهـا في مكتبـك وهاسـيبلك السـواق بتاعـي يوصلـك مكتبـي.

أغلق الباب خلفه فنظر (جابر) لحلمي وقال:

- ماتتخضش منه، دا راجل قلبه طيب بس هو شكاك.

- هو فيه مشاكل بينكم؟

- لا بالعكس، بس هو مش قادر يفهمني.

- والله ولا أنا يا دكتور.

تحرك طرف فـم (جابـر) راسـمًا ابتسـامة صغـيرة عـلى شـفتيه وهـو ينظـر للبـاب

داخـل غرفـة بسـيطة امتـلأت بمجموعـة مـن المقاعـد الخشـبية ومكتـب من الألومنيـوم، تجـاوره مكتبـة امتـلأت بملفـات أكـثر مـن الـلازم، علـق (عصـام)

جاكيـت البدلـة الخـاص بـه عـلى أحـد المقاعـد أمـام المكتـب بينـما جلـس هـو عـلى مقعـد خشـبي بعيـدًا عـن المكتـب يطالـع ملفًـا وهـو يمسـك بقلـم مـن الرصـاص، نهـض فجـأة مـن مقعـده ملقيًـا بالملـف عـلى المكتـب وسـار بخطـوات عسـكرية ناحيـة المكتبـة ظـلّ يبحـث بـين الملفـات حتـى أخـرج ملفًـا أصفـر اللـون فتحـه وعـاد ليجلـس عـلى مقعـده ثانيـة، أول ورقـة في الملـف كانـت تتحـدث عـن تخصيـص بضعـة أراضٍ للبنـاء مـن قِبـلَ الدولـة إلى سـفارة الاتحـاد السـوفييتي بمـصر، بقيـة الأوراق في الملـف كانـت تتحـدث عـن كل أرض منهـم بالتفصيـل، منهـم أرض بحلـوان تـم تحديـد مسـاحتها في أسـفل ورقـة التخصيـص، مـع التنبيـة باسـتخراج تصريـح بنـاء لسِـتّة أدوار، بالإضافـة إلى حديقـة صغـيرة وسـور بارتفـاع ثلاثـة أمتـار يحيـط بالحديقـة والبنـاء.

رفع (عصام) وجهه لأعلى وقال بصوت خافت:

- يا ولاد الكلب.

دوت طرقـات عـلى بـاب الغرفـة فـأذن (عصـام) للطـارق بالدخـول، دخـل شـاب في الثلاثـين يحمـل ملفًـا ضخـمًا وقـال بلهفـة:

- خير يا سيادة العميد؟

- إيه يا (أمجد) اللي أخّرك، أنا طالبك من 3 ساعات.

- ماهو أنا أول ما رجعت مكتبي وعرفت إن حضرتك عايز الملف و...

نهض (عصام) فجأة، وسحب الملف من يده وفتحه وهو يقول:

- مـش مشـكلة، روح اطلبـلي شـاي مـن البوفيـة وشـوف نفسـك تـشرب إيـه.. بـس تعـالى بسرعـة.

خـرج (أمجـد) مـن الغرفـة بينـما (عصـام) يحـرّك أوراق الملـف الـذي أخـذه مـن (أمجـد) والتـي كانـت عبـارة عـن متابعـات مراقبـة لبضعـة تجـار لحديـد التسـليح والأسـمنت وأدوات البنـاء، كـما احتـوت الأوراق عـلى تقاريـر تحـرك

شاحنات نقل لبعض المواقع في المعادي وحلوان والقاهرة وتقارير متابعة لمواقع بناء في نفس المناطق.

دخل (أمجد) ثانية وأغلق باب الغرفة فنظر له (عصام) وقال:

- ركز في اللي هاقولهولك ده وجاوبني على أي سؤال أسألهولك خاص بأعمال المراقبة اللي انت مسكتها السنتين اللي فاتوا، أو أي حاجة سمعتها في الفترة دي.

- تحت أمرك.

جلس (عصام) خلف مكتبه وأشار لأمجد بالجلوس وقال بهدوء:

- سنة 1960 الاتحاد السوفيتي كان بقاله سنة بيدخَّل خبراء عسكريين لمصر علشان يمرنوا الجيش على الأسلحة الجديدة بعد الخبراء الهنود ما مشيوا من مصر، في السنة دي اتقدم طلب من معهد الاستشراق في موسكو لعمل مشروع لدراسة الآثار المصرية وإنهم ياخدوا بعض العينات منها، لكن المعهد طلب إن المشروع يكون سري ومحدش يعرف عنه حاجة وحكومة الاتحاد السوفيتي دعمت الطلب ده بشكل ودي، وفعلًا المشروع اتعمل.. تفتكر ليه الحكومة المصرية وافقت يا (أمجد)؟

انقلب وجه (أمجد) ولم ينطق لكن (عصام) قال بصوت أجش:

- إنت أكيد سمعت الإشاعات، الاتحاد السوفيتي بالأدب لمح لينا عن زيادة التسليح لمصر مع تسهيل الدفع أكتر لو قبلنا بالمشروع ده، تفتكراحنا أغبيا علشان نصدق إن مشروع ثقافي يتعمل في بلدنا يبقى سري وكمان مالناش إشراف مباشر عليه أكتر من حماية العاملين في المشروع في الأماكن اللي بيشتغلوا فيها؟

- أكيد يا سيادة العميد هما عارفين اننا عارفين انهم بيستعبطوا.

دق الباب ثم انفتح ليظهر رجل عجوز يحمل صينية عليها كوبان من

الشاي، وضع أكواب الشاي على المكتب وخرج من الغرفة بسرعة. تناول (عصام) كوب الشاي بحرص ونفخ فيه قليلًا ثم رشف منه رشفة سريعة تغيرت ملامح وجهه وأعطى الكوب لأمجد وتناول الكوب الآخر وقال:

- المخابرات المصرية اتأكدت إنه مش عملية استخباراتية ولا أمنية، تابعوهم واتأكدوا إن فيه علماء فعلًا بيشتغلوا في المشروع ده لكن فيه ملاحظة غريبة، إن فيه أكتر من شاب من الاتحاد السوفيتي جه مع العلماء اللي بيشتغلوا في المشروع وكلهم دارسين في معهد الاستشراق اللي في روسيا، ومنهم خبرات علمية، الشباب دي ممكن يكونوا الجيل الجديد اللي اشتغلوا في لجنة أمن الدولة السوفيتية أو زي ما بيرمزوا ليهم في الاتحاد السوفيتي.. «كي جي بي»، لكن ده شك محل دراسة ومتابعة، تفتكر يا (أمجد) فيه أي نشاط للشباب دول استخباراتي جوه مصر؟

أخرج (أمجد) علبة سجائره من جيب سرواله وناول (عصام) سيجارة وأشعل هو واحدة وهو يجيب:

- من كل المراقبات السنين اللي فاتت مفيش أي دلالة على أي شغل أمني من الشباب دول أو العلماء الروس بتوع المشروع، أنا تابعت شغلهم بنفسي والناس دي فعلًا مهتمين بالحضارة المصرية والمعابد وأماكن التنقيب الأثرية، وعمر ما حد فيهم حاول يتواصل مع أي مصري مدني أو يخرج بَرّه إطار جداول الزيارات اللي بيبلغونا بيها، ما أظنش يا فندم إن الكي جي بي داخلة في الموضوع ده بالذات، هُما أكيد ليهم نشاط استخباراتي جوه مصر وده طبيعي، لكن في المشروع ده لا.

أشعل (عصام) سيجارته وتناول أنفاسًا سريعة وبضع رشفات من كوب الشاي الساخن ثم قال:

- المشروع ده بيشتغل فيه أكتر من 180 واحد من الاتحاد السوفيتي جوه مصر، وكل شوية حد فيهم يخرج بَرّه مصر ويجيي حد مكانه،

وطبعًا طلبوا إن يكون ليهم مقرات خاصة بيهم، بيوت ومكاتب جوه مصر، زيهم زي العلماء الألمان اللي بيشتغلوا معانا، والحكومة خصصت ليهم مكاتب كتير في وسط البلد ومدينة نصر ومصر الجديدة والمعادي، وخصصنا ليهم 7 أراضي علشان يبنوا عليها بيوت للعلماء دول، منهم أرض واحدة في حلوان، فاكر الحوار ده؟

- مظبوط، وطلبوا إنهم يبنوا البيوت دي بعمال ومهندسين جابوهم معاهم، الخامات بتاعة البناء اشتروها من مصر بشكل طبيعي وبدأوا يبنوا من سنة كاملة السبع أراضي في نفس التوقيت، واحنا راقبنا عملية البناء والخامات اللي بيشتروها عن طريق التجار في مصر وأخدنا نسخ من فواتير الخامات كلها، وبعد ما أعمال البناء انتهت من شهر راقبنا الشخصيات اللي سكنت كل عمارة أو بيت بنوه.

- إلا بيت حلوان يا (أمجد).

قال (عصام) عبارته ووضع كوب الشاي جانبًا وهو يتناول أحد الملفات الملقاة على المكتب ويقول:

- النهارده الصبح لاحظت إن بيت حلوان مواصفاته غير اللي مكتوبة في أمر التخصيص وتصاريح البناء، البيت بتاع حلوان تقرير المراقبة بتقول إنه بيت من دورين وليه جنينة صغيرة أوي وسور طويل، أما تصاريح البناء بتقول إنه بيت 6 أدوار.

نهض (أمجد) من مقعده وأطفأ سيجارته في المطفأة وهو يتناول الملف من (عصام) ويطالعه بدقة:

- مش يمكن يا فندم اكتفوا بالدورين دول وشافوا...

قاطعه (عصام) وهو يمسك الملف الضخم:

- مفيش يمكن، أنا طلبت منك ملفات المراقبة القديمة بتاعة الخامات علشان كده، كان غريب عليًا في الأول إنهم يبنوا كل الأماكن في نفس

الوقت بس قلت دول خواجات والانضباط عندهم مهم، لكن لاحظت إن الخامات اللي راحت لبيت حلوان أكتر من الخامات اللي راحت لبقية البيوت والعمارات برغم إنه بيت من دورين وهما بنوا بيوت تانية 8 أدوار و9 أدوار، كمية الأسمنت وحديد التسليح كانت غريبة، مش غريبة في إنهم اشتروها من التجار، طبيعي إن الكمية تبقى ضخمة علشان كل البيوت دي، لكن العربيات النقل خطوط سيرها هيّ اللي غريبة، عربيات كتير راحت لبيت حلوان، كمية مهولة تنفع تبقى راحة لعمارة 10 أدوار ومساحة أرضها أكبر من أرض حلوان 5 مرات، وكمان حط في بالك حاجة غريبة أنا مارضتش أعلق عليها في الأول، إنهم في بيت حلوان بنوا السور حوالين مكان البناء قبل ما يبدأوا في رمي أساسات البيت، كأنهم مش عايزين المراقبة تشوف اللي بيحصل جوه السور.

أنهى (عصام) كلماته وألقى الملف ثانية على المكتب وأطفأ سيجارته ثم جلس على المقعد ويده اليمنى تتحسس شاربه الضخم.. أمسك (أمجد) الملف وتنقل بين أوراقه بسرعة وتوقف عند ورقة كتبت بخط اليد عن استهلاك الكهرباء الخاص بمنزل حلوان وقال:

- البيت بتاع حلوان فعلًا بيسحب كهربا بشكل عالي برغم إن اللي ساكنين فيه اتنين من الروس، بس أنا ماتوقعتش إن يكون فيه حاجة خاصة بيه.

- فاكر من شهر لما بلغتني إن فيه 3 عربيات نُص نقل محملين صناديق خشب وقفت قُدّام البيت، والعربيات دي ماكانتش من العربيات اللي بتخرج من عند التجار بالمواد الخام، وافتكرت ساعتها إنها عفش للبيت أو مفروشات جابوها من أي حتة؟

- فاكر يا فندم.

- الملاحظة اللي مكتوبة في تقرير المراقبة استهلاك الكهربا في البيت

انكتبت بعد يومين من توصيل الصناديق دي، الصناديق فيها حاجة بتسحب كهربا عالية.

- تفتكر يا فندم الموضوع ليه علاقة بالتجسس؟

- ما أعرفش.. بس البيت ده وراه حاجة كبيرة، والطريقة بتاعة تنظيم بناه بحيث إنهم يخفوا كل حاجة خاصة باستهلاك خامات حديد التسليح والأسمنت تدل إن «الكي جي بي» هي اللي منظمة العملية، الناس دي بتعمل حاجة مش مظبوطة جوه مصر، ولازم أعرفها.

- أيوه بس إحنا مالناش إشراف عليهم.

نظر (عصام) لساعة يده وقال:

- فاكر من فترة طويلة لما اقترحت عليا نحط وسطهم واحد مصري؟

- فاكر، واقترحت عليك نحط دكتور (جابر) اللي الرئاسة بعتاه يشرف علينا علشان نبعده عننا.

- بعد ساعتين ونص عندي معاد مع الريس (جمال)، وهاطلب منه يجبر سفير الاتحاد السوفيتي إن يبقى لينا ناس جوه المشروع كمشرفين عليه حتى ولو فرد واحد.

- مش هايرضوا.

- لا هايرضوا، رفض أي طلب للريس مش من مصلحتهم دلوقت.

أتى صوت دقات سريعة على باب الغرفة ثم دخل شاب يبلغ (عصام) بوصول دكتور (جابر) في الخارج منتظرًا مقابلته، اندهش (عصام) في البداية لكنه تذكر بسرعة أنه كان ينتظر هذه المقابلة، أمر الشاب أن يدخله في الحال ثم نظر لأمجد قائلًا:

- (جابر) هو الشخص اللي هارشحه للريس علشان يبعته للمشروع الروسي.

- بس انت رفضت اقتراحي لدكتور (جابر) قبل كده..

- الفكرة جاتلي من كام ساعة بعد التفجير اللي حصل علشان كده هاضرب عصفورين بحجر واحد؛ أبعده عني وأضايق الروس.

دخل (جابر) في نفس اللحظة التي تحركت فيها شفتا (أمجد) لكن هذا الأخير توقف عن الكلام وهو ينظر لجابر الذي سار لداخل الغرفة بخطوات بطيئة منهكة يجر قدميه بصعوبة والأربطة الطبية تحيط بكفي يده والقميص الذي ارتداه تحت جاكيت البدلة فتحت أزراره حتى منتصف بطنه، وظهرت الضمادات التي لُفت حول جذعه ومنعت أزرار القميص من الإغلاق.

نهض (أمجد) بسرعة يصافح (جابر) باحترام وقد هاله ما رآه.

- دكتور (جابر) اتصاب يا (أمجد) النهارده في التفجير بتاع جبل حمزة، اتفضل ارتاح يا دكتور.

جلس (جابر) على أحد المقاعد المنتشرة أمام المكتب وشكر (أمجد) على مساعدته في الجلوس، نهض (عصام) من خلف مكتبه وفتح باب الغرفة وهو يقول لسيكرتيره:

- قهوة زيادة مغلية للدكتور بسرعة.

عاد (عصام) لمكتبه وقد تجهم وجهه، وجلس على المقعد ينظر لجابر الذي بادله النظر بدون مشاعر ظاهرة على وجهه:

- إزاي عرفت إن الطرد مفخخ يا دكتور حتى بعد ما سمعت إن اللجنة الفنية اللي بتراجع الطرود راجعته؟

قالها (عصام) وهو يتظاهر بأنه يبحث عن شيء ما في الأوراق أمامه.

- علشان سبب تافه.

نظـر لـه (عصـام) متحفـزًا وكذلـك (أمجـد) وهـو يعتـدل عـلى مقعـده ويكمـل:

- اللجنـة الفنيـة لمـا بتراجـع الطـرود بتفتحهـا وتفحـص محتوياتهـا وتلـزق عـلى الطـرد ورقـة إنهـا اتراجعـت ويمـضي عليهـا أعضـاء اللجنـة كلهـم، لكـن الطـرد لمـا جـه يسـلمه (إمـام) اللـه يرحمـه كان لسـه متغلـف زي مـا هـو وعليـه العنـوان مـن بـره، يعنـي مسـتحيل اللجنـة الفنيـة تكـون فتحتـه ورجعـت الغـلاف عليـه تـاني، وكـمان (إمـام) لمـا سـألته عـن اللجنـة قـال مايعرفـش هـو اسـتلم الطـرد عـلى طـول.

حـرك (عصـام) رأسـه ناحيـة مكتبـه مـرة ثانيـة يفكـر و(جابـر) مـازال يتكلـم:

- العـالم الألمـاني الـلي اسـتلم الطـرد برغـم إنـه طلـب الطـرد مـن الجامعـة بتاعتـه في (هامبـورج) إلا إنـه علـق عـلى وزن الطـرد الزيـادة، وزي مـا حضرتـك عـارف الحادثـة الـلي حصلـت في فبرايـر السـنة دي لمـا منـدوب الأمـن في مطـار القاهـرة شـك في طـرد جـاي مـن (هامبـورج) أزيـد مـن وزنـه بــ 80 جـرام بـس واكتشـفنا إنـه طـرد مفخـخ والمـادة المتفجـرة فيـه كانـت جـوه 3 كاتلوجـات مـن أصـل 8 كاتلوجـات لكـن وزنهـا زاد عـن وزن الـ8 كاتلوجـات بــ..

قاطعه (عصام) منتفضًا وعيناه تتسعان:

- إنت عرفت إزاي الكلام ده؟ ده يندرج تحت بند السرية؟

- حضرتـك نـاسي إني منتـدب للرئاسـة مـن فـترة والـكلام ده سـهل تعرفـه لمـا تكـون إيـدك في المطبـخ السـياسي.. عـلى العمـوم ماتخافـش أنـا ماحكتـش الحكايـة دي لأي حـد، لكـن بمـا إن سـيادتك والسـيد (أمجـد) عارفينهـا مسـبقًا فأنـا ضربـت بيهـا مثـل.

طرقـات عـلى بـاب المكتـب دخـل بعدهـا شـاب بصينيـة عليهـا كـوب صغـير

من القهوة وضعها على المكتب وغادر المكان، في تلك اللحظات تركزت عيني (عصام) على (جابر) حتى خرج الشاب.

إنت تعرف كتير أوي يا دكتور.. برغم إن تخصصك علمي لكنك تعرف تفاصيل سياسية وأمنية كتير.

قالها (عصام) فابتسم (جابر) ابتسامة صفراء قائلًا:

- تقدر تسأل دكتور (وولفجانج بيلز) بنفسك عن مستوايا العلمي، إحنا قعدنا كتير مع بعض واتناقشنا في أمور علمية، أما بالنسبة للسياسة فحضرتك تعرف إني اترشحت أبقى مستشار علمي للرئاسة بعد الحلول اللي قدمتها لـ «وولفجانج» في تصميم غرف الاحتراق الداخلي للصاروخ اللي كنا بنسميه ساعتها (الأستاذ)، وبقيت مشرف.

- ازاي قدمت حلول لعالم صواريخ بحجم بروفيسور (وولفجانج) وهو كان مساعد (فون براون) اللي اخترع الصواريخ طويلة المدى أيام النازية؟ لسه مش فاهم، إنت تخصصك إيه؟

- تخصصي فيزياء نظرية وبالتحديد ميكانيكا الكم، حاجات علمية حضرتك مش هاتفهم فيها.

- يعني تخصصك ده نظري، ممكن تفهم في أنواع كتير في العلوم مظبوط.

صمت (جابر) لثوانٍ يحاول أن يستشف إلى أين يذهب الحوار به.

- مش كل العلوم أفهم فيها، لازم تكون حاجة قريبة من الفيزياء أو الرياضيات.

اعتدل (عصام) واقفًا ثم حمل كوب القهوة من على مكتبه وسار بخطوات بطيئة ناحية (جابر) قائلًا:

- فيه مشروع علمي بيعمله الاتحاد السوفيتي في مصر بقاله كام سنة، أكيد سمعت عنه.

وقف أمام (جابر) وناوله كوب القهوة فتناوله منه هذا الأخير قائلًا:

- مشروع (إيزيس)، متخصص في دراسة الآثار المصرية.

ابتسم (عصام) لأول مرة منذ بدأ اللقاء وعاد ليجلس خلف مكتبه وهو يقول:

- طالما انت سمعت عنه في مكاتب الرئاسة يبقى ماعندكش مشكلة إنك تتنقل هناك، ولا انت مصمم تكون مشرف على مكتب مخابرات الأبحاث العلمية؟

ابتسم (جابر) هو الآخر قائلًا:

- وإيه اللي يخليني أصمم إني أشرف على شغل الإدارة بتاعة حضرتك؟ فاكرني مدسوس عليك.

اختفت ابتسامة (عصام) و(جابر) يكمل:

- إنت فاكرني عصفورة مكتب الرئاسة باعتها تتجسس على مكتبك ومشاريعك، وعايز تبعدني بطريقة شيك.

- ما أعرفش انت عصفورة ولا لا، لكن هارتاح كتير لما أحس إن مكتب الرئاسة مش مدي واحد زيك صلاحيات إنه يتحرك في كل مشاريع المكتب ويبلغ بيها تقارير أول بأول، انت علامة استفهام كبيرة ليا من زمان، وماعنديش سبب يخليني أثق فيك.

- وأنا موافق أتنقل.

للحظات اندهش (عصام) لكن وجهه عاد طبيعيًا بسرعة.

- موافق ولا هاتقدم تقرير للرئاسة باللي دار بينا دلوقت.. على العموم أنا مابخافش من...

قطعه (جابر) قائلًا:

- أنا مش عصفورة من الأساس علشان أقدم تقارير عن مقابلات شخصية، قبل أي حاجة أنا بحترم حضرتك على صراحتك وهاكون صريح معك، أنا مستعد أخدم في أي مكان بس بشرط واحد.. الشاب اللي مات النهارده اللي اسمه (إمام) أسرته تاخد معاش استثنائي ومكافأة خاصة.

- إنت حاطط دي قصاد دي يا دكتور؟

- آه يا سيادة العميد، لو مش موافق هافضل معاكم لحد ما ربنا يسهل.

تدخل (أمجد) فجأة منذ بداية الحديث وقال محاولًا تلطيف الجو:

- يا سيادة العميد دكتور (جابر) بيتكلم عن حالة إنسانية وعواطفه هي اللي بتحركه، أكيد انت متفهم الكلام ده.

هدأ (عصام) قليلًا وعاد بظهره ليستند على مقعده و(جابر) يرتشف من كوب القهوة والذي لم يعجبه مذاقه، وكانت نتيجة ذلك ظهور تعبيرات على وجهه حاول مداراتها، أبعد (جابر) عينيه عن كوب القهوة ليفاجأ بعصام يقف أمامه يعطيه سيجارة ويشعلها له، أحس بأن (عصام) ممتنّ له بشكل أو بآخر وهو يسحب أنفاسًا قليلة من السيجارة ويراقب (عصام) الذي تحرك في الغرفة كأنه لا يطيق الجلوس على المقاعد أو الثبات في موضع واحد لأكثر من دقيقة، فقد توقف عند المكتب ثم سار ناحية المكتبة يحرك يده على الملفات المتراصة بلا هدف، حتى قال وظهره لجابر و(أمجد):

- تقدر تاخد أجازة عدد الأيام اللي تحبها في بيتك، أنا هاقابل الريس النهارده وهارشح اسمك ليه.

- ياريت تبلغ الريس إني طلبت ده منك بسبب مشروع (إيزيس)، وأنا فعلًا تابعت اللي بيحصل في المشروع ده من فترة وحاسس إنهم بيجهزوا لمصيبة .

نظر (عصام) له وابتسم:

- الظاهر يا دكتور إني ظلمتك، دلوقت تقدر ترجع بيتك ترتاح، السواق بتاعي هايوصلك لبيتك زي ما جابك هنا.

- بس أنا محتاج أعدي أجيب أكل قبل ما أروح البيت.

- مش عايز تخش على المدام وإيدك فاضية.

قالها (عصام) محاولًا منع نفسه من الضحك فنهض (جابر) ووضع كوب القهوة على المكتب وهو يقول:

- ماهي ماتعرفش إني راجع النهارده وأكيد مفيش أكل في البيت ليا.

اقترب (عصام) منه وصافحه بحماسة

- ألف سلامة عليك للمرة التانية، والسواق تحت أمرك إن شاء الله حتى تخليه يسافر بيك السودان.

نهض (أمجد) هو الآخر ليصافح (جابر) الذي فتح بعدها باب الغرفة وهو يقول قبل أن يغادرها:

- لو الريس وافق هاكون على اتصال بيكم مباشرة بعد ما أدخل مشروع (إيزيس)، يعني المكتب بتاعك يا سيادة العميد هو اللي هايشرف على المشروع من خلالي.

قال عبارته وغادر الغرفة، بينما قال (عصام):

- احترمته أوي بعد اللي قاله على الشاب اللي مات، لسه حاسس إن وراه سر، لكن بقيت واثق فيه دلوقت.



داخل شقة في الدور الرابع بعمارة حديثة البناء بمصر الجديدة وقفت (سلوى) أمام التلفزيون الأبيض والأسود الذي أحضره لها (جابر) من شهر تحاول ضبط الهوائي (الإريال) الخاص به، لم تجد منه إلا الشوشرة فأخذت تغلقه وتفتحه ثم بدأت بالدق عليه بعصبية.

فجأة انفتح باب الشقة و(جابر) يدخل منه يحمل لفة ورقية وكيسين من الفاكهة، لم تكن انتبهت لدخوله فضحك هو صائحًا:

- بتعملي إيه في التلفزيون ده لسه القسط بتاعه ماخلصش.

فزعت في البداية ونظرت خلفها لتهدأ بعدما علمت أن المتحدث هو زوجها، ابتسمت وهي تسرع خطواتها ناحيته بينما يغلق هو الباب، توقفت تتأمل يديه المغطاة بالأربطة وجذعه الذي ظهر من تحت القميص المفتوح، خطواتها أصبحت جريًا ووجهها يمتلئ بالرعب حتى احتضنته بقوة مما جعل اللفافة والأكياس تفلت منه وتقع أرضًا.

- يا بت مش عارف أتنفس.

قالها (جابر) والضحكات تفلت منه ودموع (سلوى) تتساقط من عينيها وهي تتشبث به أكثر، حاوطها بذراعيه وطبع قبُلة على أعلى رأسها ثم قال باندهاش مصطنع:

- إيه ده؟ انتي حاطة كريم حلاقة على شعرك ولا إيه؟

لم تستجب هي لمداعبته وقالت:

- إيه اللي عمل كده فيك؟

- الزمن يا اختي.. سيبيني أريح علشان جسمي واجعني على الآخر.

وضعت ذراعيه بسرعة على رقبتها وهي تصيح:

- اتسند عليا.

- يا حبيبتي انتي مافيكيش حيل، أنا كويس.

احتضنها هـو هـذه المرة وربـت عـلى ظهرهـا ثـم سـارا معًـا إلى الصالـة حيـث جلـس عـلى طـرف الأريكـة وجلسـت هـي بجانبـه.

- بجد إيه اللي حصلك؟

- طـرد مفخـخ الفجـر في مركـز الاختبـارات بتـاع جبـل حمـزة، وأنـا كنـت في الأوضـة لحظتهـا، وبرغـم إن الطـرد كان مبعـوت لعـالم ألمـاني لكـن الـلي مـات هـو (إمـام).

حركت يديها على وجهه بحب ثم توقفت وهي تقول:

- (إمام) اللي حضرنا فرحه؟

- هـو، أمرتـه يبعـد الطـرد عـن الأوضـة لكـن العـالم الألمـاني خـرج كاتالـوج مـن الطـرد فالكتالوجـات الـلي اتحملـت بالمـواد المتفجـرة اتحركـت وقطعـت الخيـط.

انتفضت في موضعها وهي تصيح:

- مسـتحيل (إمـام) يمـوت، ومسـتحيل طـرد ينفجـر في المـكان أو التوقيـت ده، إيـه الـلي بيحصـل؟

ابتسم هو بسخرية وقال:

- مش بقولك الزمن.

-ماينفعش يموت.

- الحمد لله إنه خلف.

ظهـرت ملامـح الفـزع عـلى وجههـا وهـي تعـود بجسـدها للـوراء لتسـتند لظهـر الأريكـة:

- إنـت مـش خليـت (إمـام) يتعـين في مصنـع مـن المصانـع الحربيـة.. إزاي جـه لجبـل حمـزة!!!.. مـش المهندسـين الألمـان المقصوديـن بالتفجـير ده.

أنهت عبارتها ونظرت له فنهض هو وسار لغرفة المكتب:

- على فكرة (عصام الدين خليل) طلب مني النهارده إني أنضم لمشروع (إيزيس).

سارت هي وراءه ودخلا لغرفة المكتب بعدما أشعل الإضاءة وتوجّه لسبورة خضراء اللون معلقة على الحائط رسم عليها بالطباشير في أحد جوانبها خطًا طويلًا وضعت عليه بضعة أرقام وخرجت منه الكثير من الخطوط التي تلتف حوله، وعلى أحد الجوانب كتبت أرقام كثيرة في شكل معادلات.

- ابقي فكريني أشكر (أمجد) لما أشوفه على مساعدته ليا إني أدخل مشروع (إيزيس).

توقف أمام السبورة يتأملها ووقفت هي خلفه:

- طب ما تطلبه في التليفون دلوقت.

نظر لها بسرعة وهو يقول:

- إنتي بتهزري، عايزاني أكلم (أمجد) في التليفون أشكره إنه حاول يقنع (عصام) يدخلني المشروع، انتي ناسية إن كل تليفوناتنا متراقبة.

- آسفة يا حبيبي، طب ممكن تسيبك من المعادلات دي دلوقت وتيجي ترتاح على السرير وتحكيلي كل حاجة حصلت بالتفاصيل.

- أنا جبت معايا أكل جاهز، ناكل الأول.

- ماشي يا حبيبي.

- وآخد دش.

- وماله.

- وترقصي ليا.

ضحكت (سلوى) وهي تقول:

- مابعرفش أرقص.

- خلاص هابقى أرقصلك أنا.. روحي حطي الأكل على السفرة وأنا هاجي وراكي.

احتضنته من الخلف وقبّلت كتفه ثم همست في أذنه:

- ماتخافش، أنا مش هاسيبك.

تركته وغادرت غرفة المكتب بعدما أغلقتها خلفها، نظر هو للباب المغلق ثم للسبورة، تناول أصبع طبشور من على مكتبه الصغير ورسم بعض الخطوط على السبورة، ثم فجأة ضرب السبورة بقبضته غاضبًا أكثر من مرة وكل ضربة تؤلم يده أكثر وأكثر، توقف وهو يتنفس بسرعة ودموعه تتساقط من عينيه، استند للسبورة وصاح قائلًا:

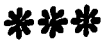
- أنا عارف إنك واقفة برّه وسايباني أهدا.

وقفت هي خارج الغرفة تنظر للأرض ودموع جديدة تتكون داخل مقلتيها، كانت تتوقع ما سيفعله ولكنها فضّلت ألا تجيب كي لا تزيد إحراجه، جاء صوته من الداخل يكمل كلامه:

- (سلوى).

لم تجبه لكن صوته خرج متأثرًا وهو يقول:

- شكرًا.



«2005»

جلـس (جوزيـف) منـدوب السـفارة الروسـية بالقاهـرة في مكتـب مـن مكاتـب الأمـن الصغـيرة القريبـة مـن صالـة الوصـول بمطـار القاهـرة الـدولي، (جوزيـف) كان في بدايـة الخمسـينات مـن عمـره غـزا الشـيب بعـض المواضـع مـن رأسـه لكـن جلـد وجهـه المشـدود بشـكل طبيعـي أخفـى سـنه الحقيقـي، التوتـر الظاهـر عـلى وجهـه أخفـاه بسرعـة وارتسـمت ابتسـامة موضعـه بمجـرد دخـول ضابـط شرطـة شـابًا الغرفـة حامـلًا بيـده باسـبور:

- الضيف اللي انت مستنيه اسمه (اليكسندر كونستانتين)؟

ردُ عليه (جوزيف) باللغة العربية وبلهجة مصرية مضحكة:

- مظبوط حضرة الظابط.. وصل؟

نظر الضابط للباسبور وهو يقول:

- وصـل عـلى الطيـارة وخـلاص بنخلصلـه كل حاجـة، بـس الباسـبور بتاعـه بيقـول إنـه مـن (بيلاروسـيا)، ليـه السـفارة الروسـية تبعـت منـدوب يسـتقبله بـدل مـا سـفارة بلـده هـي الـلي تسـتقبله في المطـار؟

نهض (جوزيف) قائلًا:

- أصلـه مولـود في (بيـلاروس) لكـن حياتـه كلهـا كانـت في (روسـيا) أيـام الاتحـاد السـوفيتي، فإحنـا بنعتـبره روسي، موضـوع معقـد مـن أيـام انهيـار الاتحـاد السـوفيتي.

هز الضابط رأسه بعدم اقتناع لكنه قال مجاملًا:

- أهلًا بيه في مصر على كل حال، حضرتك تقدر تقابله دلوقت بَرْه في منطقة الوصول.

شكره (جوزيف) وخرج من الغرفة بينما أخرج الضابط هاتفه المحمول وطلب رقمًا ثم انتظر إلى أن يسمع صوت محدثه على الطرف الآخر وقال:

- وصل خلاص، أنا هاخد نسخة من الباسبور بتاعه قبل ما يرجع ليه، أي خدمات تانية يا (سليمان) باشا؟

***

جلس (اليكسندر) بجانب (جوزيف) الذي يقود السيارة وهذا الأخير ينظر له من وقت لأخر في مرآة السيارة، تكلم (اليكسندر) معه باللغة الروسية لكنه ذكرَ اسم (جابر) في نهاية عبارته، هز (جوزيف) رأسه نافيًا ورد عليه بالروسية ثم سأله سؤالًا فأجاب (اليكسندر) بكلمة واحدة وبمصرية واضحة (حلوان).. هز (جوزيف) رأسه وأكمل قيادة و(اليكسندر) ينظر من النافذة يتأمل الطرق والشوارع، بعد دقائق أغلق (اليكسندر) عينيه وأراح رأسه على قمة مقعده، برغم أنه أراد أن يريح عقله فحسب لكنه انزلق لحالة هي بين السبات واليقظة، يشعر برجرجة السيارة لكن وعيه قد غادره منذ لحظات.

ها هو يرى نفسه في حلم، يقف أمام منزل (أبو خطوة) وبجانبه يقف شاب ذو لحية خفيفة ونظارة طبية ويحمل بيده اليمنى مسبحة طويلة، برغم أنه في الحلم لكنه شعر بأن عليه أن ينظر خلفه، طاوعته شخصيته في الحلم ورأى نفسه ينظر للخلف فوجد شابًا طويلًا يقف على الطرف الآخر من الطريق، ملامحه لا تظهر وبرغم ذلك شعر أنه يعرفه منذ مدة، حاول التدقيق بملامحه أكثر لكنه كلما حاول كلما تملكه خوف

غريب، ازداد خوفه فجأة وتحول لفزع أيقظه فاتحًا فمه ليستنشق أكبر كمية من الهواء تحصل عليها رئتاه.

نظر حوله ليجد نفسه مازال في مقعده بالسيارة لكنها متوقفة في مكانٍ ما بمنطقة شعبية، أما (جوزيف) فلم يكن بالسيارة، بحث بنظره ليجده واقفًا بالخارج يتحدث مع بائع جرائد، خرج (اليكسندر) من سيارته ليقف بجانب (جوزيف) الذي مازال يسأل عن الاتجاهات، فهم من كلماته أنه تائه في (حلوان) فقال هو للبائع:

- بقولك إيه يا ريس شارع منصور نروحله إزاي.

أبهرت لهجته المصرية البائع وخاصة أنها تفوقت على لهجة (جوزيف) فابتسم بسعادة وأخذ يصف الاتجاهات بدقة، شكره (اليكسندر) وعاد للسيارة يتبعه (جوزيف) الذي قاد السيارة حتى وصلا إلى شارع مزدحم بالسيارات والمحلات المختلفة، أشار (اليكسندر) لجوزيف كي يتوقف بجانب أحد الأكشاك ونزل من السيارة وهو يتجه ناحية صاحب الكشك ويقول:

- سلامه عليكم، ماتعرفش سمسار كويس هنا؟

نظر له صاحب الكشك لثانية بشك من مظهره ولهجته المصرية التي تتناقض مع ملامح وجهه وقال:

- الباشا عايز حاجة معينة؟

- عايز سمسار علشان هأجّر شقة فترة طويلة، وياريت يكون سمسار فاهم كويس في حلوان.

نظر له الرجل مرة أخرى يتفحصه ثم أشار بيديه إلى مقهى بلدي صغير في الجانب الآخر من الطريق وقال:

- أستاذ (حمدي) قاعد أهو في القهوة دي.

قبل أن ينظر (اليكسندر) للمقهى صرخ صاحب المحل مناديًا:

- يا (حمدي).. فيه ناس جاينلك في شغل، ماتنساش الحلاوة.

نهض رجل في بداية الأربعينيات من وسط الجالسين على المقاعد وأشار بيده لإليكسندر أن يأتي للمقهى، خرج (جوزيف) من السيارة واتجه إلى المقهى بينما نظر (اليكسندر) إلى صاحب الكشك وقال:

- إدّيني علبة كيلوباترا وباقي عشرة جنية.

ناوله الرجل علبة السجائر بشك شديد وأخذ منه النقود وهو يعطيه الباقي، نظر (اليكسندر) لساعته وهو يعبر الطريق إلى (حمدي) الذي رحب بجوزيف ثم رحب به بحفاوة وهو يشير لهما للجلوس بجانبه.

- تحت أمركم يا خواجات.

- عايز شقة مفروشة بشكل مؤقت.

قالها (أليكسندر) وهو يتأمل المقهى من حوله، لكن نظرة (حمدي) جعلته ينتبه له، كان ينظر له ولجوزيف نظرة شك ويقول:

- ليكم انتم الاتنين ولا مؤاخذة؟

- لأ، ليا لوحدي.

ارتاحت قسمات وجه (حمدي) ونادى على القهوجي الذي جاء ليأخذ الطلبات من (أليكسندر) و(جوزيف) لكنهما رفضا بذوق.

- والبهوات بقى أجانب ولّا مصريين من المعادي؟

نظر الاثنان لبعضهما البعض دهشةً من ذِكر منطقة (المعادي) لكن (أليكسندر) مد يده في جيب جاكيت بدلته الداخلي وأخرج جواز سفره وهو يفتحه ويعطيه لحمدي، التقطه هذا الأخير ونظر طويلًا لصورته واسمه وهو يقول:

- اسم حضرتك (اسكندرية)؟

- (أليكسندر).

- أنعم وأكرِم يا أخ.. وحضرتك جاي مصر سياحة ولّا شغل؟

- شغل واستقرار.. علشان كده عايز شقة مفروشة مؤقتًا لحد ما ألاقي سكن دايم.

تهللت أسارير (حمدي) واعتدل على مقعده وهو يقول:

- طلباتك كلها عندي يا مستر (اسكندر)، الشقة المفروشة تعمل 80 جنيه في اليوم بس لو هاتاخدها بالشهر هاخذ منك 2000 جنية مقدمًا و500 تأمين.

- موافق.. وإمتى هاستلم الشقة؟

- دلوقت لو تحب.

- يلّا بينا.

- لا مؤاخذة يا مستر حضرتك أجنبي أجنبي ولّا الوالد كان مصري أو لا مؤاخذة الست الوالدة كانت...

نهض (أليكسندر) وابتسم بطرف فمه وهو يقول:

- هانتكلم براحتنا واحنا في طريقنا.. وعندنا شغل تاني عايزين ندردش فيه .

- ندردش.. والمصحف انت والدك مصري.

غادر الجميع المقهى وركبوا سيارة (جوزيف) و(حمدي) يرشدهم داخل الشوارع حتى وصلوا إلى عمارة ضخمة ذات عشرة طوابق، خرج (حمدي) و(أليكسندر) بعدما تبادل هذا الأخير بضع كلمات بالروسية وأخذ حقائبه.. غادر (جوزيف) بسيارته.

- صاحبك مش طالع معانا ولا مؤاخذة؟

هز (أليكسندر) رأسه نافيًا وهما يدخلا العمارة ويركبا المصعد الضيق، لاحظ (حمدي) شيئًا غريبًا في حركة عين (أليكسندر)، عيناه تتحركان في

كل الجوانب بسرعة في مدخل العمارة ثم نفس الحركة في المصعد، لكنه لم يهتم لهذه الأشياء البسيطة في رأيه.

وصلا للطابق الثالث، وفتح (حمدي) إحدى الشقق في هذا الطابق وهو يدعو (أليكسندر) للدخول بعد أن أضاء أنوار الشقة، بمجرد دخول هذا الأخير ظل ينظر بدقة شديدة في كل قطعة أثاث بعينيه متفحصًا إياها بنظرات غريبة.

- دي أحلى شقة عندي في (حلوان) كلها يا مستر.

نظر لأليكسندر فوجده ينظر للسقف ويحرك عينيه بنفس طريقته التي حفظها (حمدي)

- إيه يا مستر، هو فيه حاجة مش عاجباك في الشقة؟

- جميلة الشقة.

- نقول مبروك ونكتب العقد؟

قال (حمدي) عبارته وهو يخرج من جيبه عقد شقة مطويًا وفرده على منضدة السفرة.

- إنت جاهز على طول يا سيد (حمدي)..

قالها (أليكسندر) بإعجاب وهو يخرج جواز سفره ويعطيه لحمدي الذي قال:

- إنت اللي ولا مؤاخذة وشك حلو يا مستر.

***

حلم (جعفر) كثيرًا بالاتصال بعالم الجن، اشترى العديد من الكتب بلا فائدة، قابل الكثير من الشيوخ والمدعين بصلتهم بهذا العالم فاكتشف أنهم لا يمتلكون إلا الحديث، يبهرونك بالحديث المخيف لكن بلا فعل، بعد شهور دله واحد ممن تعرف عليهم على (عمر فضل الدين) ذلك

الشـاب المتصـوف الـذي انحـدر مـن عائلـة طويلـة تتعامـل مـع الجـان وقـد حمـل هـو آخـر معارفهـا، متصـوف لـه الكثـير مـن الخـبرة بعـالم الجـان، مـن دلـه عليـه أخـبره بأنـه يجلـس كل ثلاثـاء مـن صـلاة المغـرب إلى صـلاة العشـاء في مسـجد (الحسـين) أمـام المقـام، لا يتحـدث كثـيراً مـع الغربـاء ولا يحـب إفشـاء علومـه الخاصـة لأحـد، حتـى طريقتـه الصوفيـة التـي يتبعهـا لا يعلـم ماهيتهـا أحـد ممـن حولـه، في الغالـب لـن يقبـل بتعليمـه لكـن لا ضـير مـن المحاولـة.

يـوم الثلاثـاء ذهـب للمسـجد وصـلى المغـرب، انتظـر قليـلًا ثـم دخـل إلى المقـام، مواصفـات (عمـر) كـما عرفهـا هـي لحيـة خفيفـة تغطـي وجهـه مـع نظـارة نظـر وجبهـة عريضـة، دخـل (جعفـر) للمقـام باحثًـا بـين الجالسـين عـلى الأرض عـن مواصفـات (عمـر)، لم يسـتغرق بحثـه طويـلًا، ليـس لأنـه وجـده، لكـن (عمـر) هـو مـن كان ينظـر إليـه، اصطدمـت عـين (جعفـر) بعمـر الجالـس عـلى الأرض ينظـر هـو إليـه بعمـق، تسـمر (جعفـر) قليـلًا بموضعـه وهـو يتأمـل (جعفـر) بالبدلـة الرماديـة التـي يرتديهـا وربطـة العنـق المميـزة، ملابسـه الغاليـة والمنمقـة جذبـت انتباهـه للحظـات حيـث أنـه توقـع رؤيتـه بجلبـاب وعبـاءة وربمـا مسـبحة بيديـه، تذكّـر وهـو يتأملـه أن (عمـر) هـو الآخـر يتأملـه، اقـترب منـه بحـذرٍ وجلـس عـلى الأرض بجانبـه، كاد أن يتحـدث لـولا أن قـال (عمـر):

- إنت (جعفر) مش كده؟

صـدم (جعفـر) لأول وهلـة لكنـه وضـع فرضيـة أن مـن دلـه عليـه هـو نفسـه الشـخص الـذي أبلغـه بحضـوره.

- وحضرتك الشيخ (عمر).. مظبوط؟

لم يتوقـف (عمـر) عـن تأملـه، مـرت الثـواني عـلى (جعفـر) كالسـاعات وعـين (عمـر) تطالعـه مـن خلـف زجـاج نظارتـه حتـى قـال:

- تقدر تقولي (عمر) على طول، إزيك يا (جعفر).

كاد (جعفر) يبتسم لطريقة (عمر) في الحديث كأنه يعرفه منذ زمن وهذه المقابلة روتينية بشكلٍ ما، لكنه رد بأدبٍ:

- الحمد لله، أنا كنت جايلك علشـ...

قاطعه (عمر) قائلًا وهو ينظر للمقام:

- جاي علشان تتعلم كل حاجة عن الجن.. بس للأسف الموضوع مش سهل زي ما إنت فاكر.

- أنا ما قلتش إنه سهل، الحكاية بس...

قاطعه (عمر) مرة أخرى وهو ينهض من جلسته قائلًا:

- تعالى معايا نقعد على أي قهوة.

قال عبارته وسار ناحية باب الخروج من المقام فتبعه (جعفر) وهو يحدِّث نفسه بقلة ذوق (عمر) وتعامله الغريب معه كأنه تلميذ خائب ليس له رأي يسمح له بعرضه في أي مناقشة، وكأن (عمر) قد سمع أفكاره فقال بدون أن ينظر له وهم في طريق خروجهم من المسجد:

- معلش يا (جعفر) بس أصلي مريض ضغط وكل شوية يرتفع عندي، إحنا نقعد على القهوة نشرب حاجة وأهدي أعصابي شوية ونتكلم براحتنا.

سارا في الشوارع القريبة من مسجد الحسين بدون أن يتكلم (عمر) حتى دخلا لمجموعة حارات ثم توقفا أمام (قهوة) بلدي قديمة بجانب بعض ورش تصنيع النحاس، جلسا فطلب (عمر) كركديه أو كما يطلق عليه البعض العناب وبجانبه شيشة معسل، وطلب (جعفر) شايًا، لم يُخفِ (جعفر) نظرة اندهاشه من الشيشة التي طلبها، ابتسم (عمر) قليلًا منذ أول اللقاء وقال:

- ما تستغربش من المعسِّل، أنا بشر مش ولي من أولياء الله، وحتى الولي نفسه مش نبي، والنبي مش إله.

لم يفهم (جعفر) كلماته، أو بالأحرى لم يرَ فيها عمقًا ما أو رسالة ليستقبلها هو، لكنه هز رأسه بالإيجاب، بينما لاحظ احمرار وجه (عمر) الذي يدل فعلًا على ارتفاع ضغط دمه، إذًا فهو مريض ضغط كما قال، نظر له هذا الأخير وابتسم أكثر قائلًا:

- إنت أول مرة تشوفني مش كده؟

لم يفهم (جعفر) المغزى من السؤال لكنه هز رأسه بالإيجاب، هنا حضر القهوجي ومعه الشيشة التي وضعها أمام (عمر) وصينية معدنية بها الشاي والعناب، تناول (عمر) مبسم الشيشة وأخذ يسحب الأنفاس ومعالم الراحة تظهر على وجهه، بعد بضعة أنفاس قال ببساطة:

- عايز تتعلم ليه العلوم اللي ليها علاقة بالجن؟

- فضول..

- يبقى تقرأ عن العالم ده وتشبع فضولك، لكن تدخله من غير سبب يبقى كأنك بتحضَّر قنبلة نووية في معمل طرشي، لا الانشطار النووي هيحصل ولا المعمل هيسلم من الإشعاعات النووية.

- أيوه بس فضولي هيقتلني، نفسي أعرف كل حاجة عن العالم ده وأتعلم كل حاجة فيه.

- عمرك سمعت عن دكتور بيعالج كل الأمراض ويعرف كل حاجة عن الطب؟ طب فيه مهندس يعرف كل حاجة عن الهندسة؟ مش ممكن واحد يقدر يعرف كل حاجة عن علم لأن العلم بطبيعته متطور، أو نقدر نقول إننا بنكتشف فيه كل يوم حاجة جديدة ممكن تغير نظرتنا ليه، من الآخر كده حتى لو دخلت في عالم الجن مش هتتعلم منه إلا جزء ما يجيش 1% من العلوم اللي المتعاملين معاه عرفوها لحد دلوقت.

- آسف في اللي هقوله بس أنا حاسس إنك مضخم موضوع الجن ده أكتر من اللازم.

سحب (عمر) أنفاسًا أخرى من الشيشة تبعها ببعض من العناب وقال:

- تعرف أنا عندي كام سنة؟ 43 سنة، درست فرع واحد بس من العلوم دي على إيد جدي من وأنا عندي 7 سنين، كان بيعلمني ساعتها مبادئ الرياضة والهندسة والفيزيا، ولما كبرت شوية علمني عن الصخور والإشعاع والموجات الصوتية وخواصها و...

قاطعه (جعفر) ذاهلًا وهو يقول باستنكار:

- حضرتك بتتكلم عن إيه؟ إيه علاقة ده بالجن؟!

- كل ده في فرع واحد من علوم الجن، فرع (الرصد)، رصد المقابر وفك رصدها.

لم يظهر على (جعفر) معرفته بما يتحدث به (عمر) فأكمل هذا الأخير:

- يعني إزاي أحمي مقبرة أو مكان مدفون فيه حاجة، أو أفك الحماية من عليها، وعلشان أكمل في العلم ده اتعلمت اللغة الأرامية الأم والسريانية الشرقية والهيروغليفية والعبرية القديمة ولسه بتعلم في لغات تانية، عرفت كتير عن الهندسة المعمارية والكهربية والهندسة الفلكية والكيميائية، وعلم التربة وكتير أوي مش ممكن تصدقه، وفي وسط كل ده اتعلمت أتصل بعالم الجن.

- إيه لازمة كل العلوم دي وانت معاك الجن.

أطلق (عمر) ضحكة اختلطت ببعض سعاله من المعسل وقال:

- الجن مالهمش لازمة من غير العلوم اللي بنتعلمها.. أساسًا كلمة جن في العربي معناها كل شيء مخفي أو متغطي عنك، زمان كل الشعوب اللي اتكلمت بالآرامي والعربي كانت بتعتبر أي حاجة ما بتشوفهاش من

علوم الجن، البكتيريا بالنسبة ليهم جن. الفيروس جن. الكهربا وتأثيراتها جن، حتى الأفاعي والحيات والعقارب اللي بتستخبى في جحورها اعتبروها جن لحد ما تخرج من الجحر ويشوفوها. كل شيء ما قدروش يمتلكوا أدوات لقياسه لكنهم شافوا تأثيره اعتبروه جن. لكن البشر لما قدروا يشوفوا البكتريا ويقيسوا وجودها بشكل علمي خرجت من إطار الجن وبقت علم متداول.

- يعني كده خلاص؟ مفيش الجن اللي احنا نعرفه؟

- تقصد العفاريت.. أو الكائنات المخيفة اللي احنا بنسمع عنها، أهو ده بقى حاجة ما تقدرش تنكر وجودها أو تنفيه، حاجة بعض الناس مصممين إنهم شافوا تأثيرها لكنهم لسه ما عندهمش أداة علمية واضحة يقيسوا وجودها، ساعتها بيظهر ناس زيي وزي أجدادي، بيحاولوا يرصدوا طرق تقربنا من عالم الجن، تجارب مش علمية لكن ساعات بتحط قوانين، وجيل ورا جيل قدروا يحصروا مجموعة طرق وقوانين علشان تتواصل مع العالم ده، لكن لأننا معناش أدوات قياس ولا طرق نتأكد بيها إلا بالتجربة المباشرة فدّه بيعرض كل اللي بيدخل عالم الجن للخطر، علشان كده لازمنا شوية علوم واقعية تدعمنا في حياتنا علشان نتعامل مع الجان.

صمت (جعفر) قليلًا وقد نظر أمامه لإحدى ورش النحاس ثم نظر لعمر قائلًا بخيبة أمل:

- إنت كده صعّبت الموضوع عليا، قولي إن مش هينفع تعلمني وخلاص

ترك (عمر) مبسم الشيشة على المنضدة الصغيرة بجواره واعتدل بجلسته على المقعد وقال بجدية:

- ما تخافش، كده كده هعلمك اللي أقدر عليه، بس هيكون فيه مقابل.

لم يرد (جعفر) عليه وانتظر حتى يكمل هو كلامه، فقال:

- المقابل هو إنك هتساعدني لما أحتاجلك، أنا هدلك على الطريق وانت هتكمل فيه لوحدك، ساعتها ممكن تكون اتعلمت حاجات تانية غيري واكتسبت خبرات أكتر، يعني ممكن طرقنا تختلف، ساعتها لو احتاجتك هطلب مساعدتك.. ها اتفقنا؟

- اتفقنا..

ألقى (عمر) مبسم الشيشة على المنضدة ونهض وهو يخرج بضعة أوراق نقدية يضعها على المنضدة وهو يشير للقهوجي ليفهم أنه أتم حسابه.

- يلّا بينا على أول درس.

سار (عمر) وسط الحواري والأزقة وخلفه (جعفر) يحاول مجاراته لكنه يفشل، بالنسبة لرجل في الأربعينيات فعمر أكثر شبابًا منه شخصيًا، يعرف جيدًا طريقه كأنه سار ألف مرة من هنا، ضاقت الحارات أكثر حتى توقف فجأة أمام محل لبيع المكسرات واللب، طلب من البائع ربع كيلو من اللب السوري ثم حاسبه وأكمل سيره حاملًا كيس اللب الورقي.

داخل عقل (جعفر) تراكمت الأسئلة عن ذلك الشخص الغريب، يحمل هيبة خارجية وبساطة داخلية تصل لحد الاستهتار، فكر إما أنه يمتلئ بالكثير من الخبرة أو الكثير من الخبَل.. استمر هذا السير السريع لدقائق طويلة حتى توقف (عمر) فجأة أمام عمارة قديمة من خمسة طوابق ونظر لجعفر ببرود قائلًا:

- إحنا بقالنا شوية بنلف في دايرة جوه الشوارع، عدينا على محل اللب 3 مرات وانت مالاحظتش.

نظر (جعفر) حوله مستغربًا يحاول أن يتذكر..

- إنت تفكيرك مشغول بحاجة، واللي انت عايز تتعلمه مش هاتتعلمه إلا لو شُفت كل حاجة حواليك بطريقة غيرك عمره ما لاحظها.

انتهى من عبارته ودخل المنزل و(جعفر) يتبعه مفكرًا في التراجع الآن وترك هذا الشخص الغريب، صعد وراءه السلم وقال فجأة:

- حضرتك أنا مش عايز أشتغل (رأفت الهجان).

أحس براحة بعد أن قال تلك العبارة كأنه يعيد اعتباره بعد تلك الصفعة التي تلقاها منذ ثوان، لكنه فكر في أن عبارته مبتذلة لحد لا يصدق، انتبه إلى أن (عمر) يتكلم بصوت خافت مستحيل أن يسمعه، هل يسبه أم يسخر منه؟، هنا توقف (عمر) في الطابق الخامس وفتح باب شقة قديم متهالك، دخل هو أولًا في ظلام الشقة ثم رأى (جعفر) الأضواء تشتعل من داخل الشقة، دخل الشقة متأملًا إياها بشيء من الحذر، شقة قديمة صغيرة تتكون من صالة بها مقعدان ولوح كتابة أبيض اللون كبير معلَّق على إحدى الحوائط ومنضدة صغيرة بجانب المقعدين، هناك غرفتان مغلقتان يطلان على الصالة وممر صغير قدَّر (جعفر) أنه يؤدي للحمَّام والمطبخ، كان (عمر) يقف وسط الصالة بجانب المقعدين وينظر إلى (جعفر) مبتسمًا.

- إيه رأيك في المكان اللي هاتاخد فيه أول درس ليك؟

هز (جعفر) رأسه وقبل أن يقول شيئًا سمع صوت اصطدام خلفه، نظر لمصدر الصوت منتفضًا فوجد باب الشقة قد أغلق.

- معلش أصل تيارات الهوا هنا شديدة أوي، أصل الشقة مليانة مناور بتجيب شوية هوا زي الفل.

نظر (جعفر) له بشك و(عمر) يفتح كيس اللب الورقي ويفرغ بعض ما فيه على المنضدة وهو يقول:

- البيت ده مبني زمان قبل ما يخترعوا التكييفات والمراوح، فالتهوية حاجة مهمة أوي للشقق دي، الشغل ده ماتلاقهوش دلوقت.

تناول بقبضة يده كمية من اللب ووضع إحداها في فمه وهو مازال ينظر لجعفر مبتسمًا، حتى إن هذا الأخير شك في أنه ينتظر منه شيئًا كان يراقب تعبيرات وجهه أكثر من الابتسام له.

- ها ما قلولتليش رأيك في الشقة، رأيك إيه في البياض، الكراسي، السبورة؟

كان السؤال غريبًا في حد ذاته، فالشقة عادية وقديمة ولون الحائط قد بهت حتى أصبح من المستحيل معرفة لونه، ناهيك عن أنه لا أحد يسأل هذا السؤال غير المترابط، نظر (جعفر) لصالة الشقة ثانية يتأملها عله يجد شيئًا مميزًا، فجأة شعر أنه رأى شيئًا يتحرك على يساره فنظر بسرعة لتلك المنطقة ولم يرَ شيئًا غريبًا، تحرك شيء ما على يمينه فنظر ولم يجد شيئًا منذ ثوانٍ، لكن عينيه تعلقتا ببقعة صفراء باهتة على أحد الجدران، لماذا يشعر أنه لم يكن قد رآها منذ ثوان!!.

- مالك يا (جعفر)، فيه حاجة؟

- لا مفيش.. الشقة كويسة.. هي بتاعتك؟

- اشتريتها من زمان، أصلي بحب أشتري أي مكان جنب (الحسين) أقدر أوصله، تقدر تعتبرني من المجاورين.. اقعد.

قال (عمر) عبارته وأشار لأحد المقعدين، خطا (جعفر) خطوات متثاقلة ناحية المقعدين لكنه فوجئ ببقعة صفراء جديدة أكبر من السابقة على حائط آخر ظهرت، نظر (عمر) لنفس النقطة التي ينظر لها (جعفر) وقال:

- بتبص على إيه يا (جعفر)؟

- مش عارف بس كأني مش عارف أحدد لون دهان الصالة، هي لونها إيه؟

- إنت شايفها إيه؟

تلك اللحظة وصل (جعفر) لأحد المقعدين وهمَّ بالجلوس وهو يقول:

- أصل فيه بقع لونها اصـ....

قطع (جعفر) عبارته لأنه وقع أرضًا على ظهره، جرى عليه (عمر) ليساعده على النهوض و(جعفر) ينظر للمقعد الذي أراد الجلوس عليه، المقعد أبعد منه بمتر.

- سلامتك، إنت بالك مشغول للدرجة دي.

- آسف.. الظاهر إني فعلًا مش مركز.

كان (جعفر) يقول عبارته وهو يمد يده ليسحب المقعد ناحيته لكن يده مرت خلال المقعد فانتفض وهو يقفز للخلف وينظر لعمر الذي تأهب أكثر وكأنه ينتظر منه شيئًا.

- مالك يا (جعفر)؟

- فيه إيه؟؟؟؟؟؟

قالها (جعفر) صارخًا فرفع (عمر) يديه أمامه ليهدئ (جعفر).

- إهدا يا ابني.. إهدا.. ماتتخضش من اللي هاتشوفه.

نظر (جعفر) حوله بسرعة كالمجنون بينما (عمر) يتحدث بنفس الصوت الخافت الذي تحدث به قبل دخولهما الشقة، شهق (جعفر) وهو يرى البقع الصفراء تزداد في حوائط الشقة وتتسع ثم يتغير لونها إلى البني ثم الأحمر وتظهر كلمات تملأ الحوائط، كلمات كأنها اللغة العربية لكنها بدون نقاط، المقعدان اختفيا وحل موضعهما ثلاثة مقاعد مطعمين

بالصـدف والعـاج وأمامهـم منضـدة عريضـة مـن الخشـب تمتلـئ بأعـمال الأرابيسـك عـلى الخشـب، النقـوش عـلى الحوائـط تنتشر أسرع وهـو ينظـر لهـا بهلـع حتـى تذكّـر أيـن رآهـا، رأى مـا يشـبهها في كتـب السـحر التـي يحتفـظ بهـا في منزلـه، حـاول التماسـك لكـن مـا يشـاهده أكـبر مـن احتمالـه، نظـر لبـاب الشـقة فوجـده مفتـوح.

- لـو خرجـت مـن بـاب الشـقة يـا (جعفـر) مـش هاتتعلـم حاجـة منّـي.. إهـدا وامسـك أعصابـك.

تنفـس (جعفـر) بعمـق وهـو يغلـق عينيـه ويقـول بصـوت يمتلـئ بنـبرات الخـوف

- وقف اللي بيحصل حواليا.

- ماتخافـش، إنـت دلوقـت شـايف شـكل الشـقة الحقيقيـة، فتـح عينـك وسـيبني أفهّمـك.

فتـح (جعفـر) عينيـه ببـطء شـديد فوجـد أن صالـة الشـقة كـما هـي تمتلـئ بالطلاسـم عـلى الحوائـط والمقاعـد الثلاثـة في مواضعهـا، وبـاب الشـقة مفتـوح، ذهـب (عمـر) لبـاب الشـقة وأغلقـه وعـاد ليقـول وهـو يتجـه للمقاعـد:

- ده جزء من العالم الجديد اللي انت عايز تتعرف عليه.

ثم جلس على أحد المقاعد وهو مازال يحمل كيس اللب وقال:

- وده الـدرس الأول ليـك.. مفيـش حاجـة في العـالم ده شـكلها الحقيقـي زي مـا انـت شـايفه.. هـا تحـب تكمـل؟

نمـت حبـات عـرق عـلى جبـين (جعفـر)، تأمـل صالـة الشـقة ثانيـة وحـاول التحكـم في حركـة تنفسـه التـي اكتشـف أنهـا أسرع مـن الطبيعـي، تقـدّم بخطـوات بطيئـة حتـى وصـل للمقاعـد وتنحنـح ثـم قـال بصـوت متحشرج:

- اللي شُفته دلوقتي أول مرة أشوف زيه.

- وده معناه إنك هاتكمل ولّا لأ؟

- هاكمل.

مد (جعفر) يده يتحسس أحد المقعدين الباقيين جيدًا فابتسم (عمر) وهو يقول:

- كده انت بدأت تتعلم، مفيش حاجة حقيقية، كل شيء نسبي في العالم ده، مفيش أبيض أو أسود، فيه لون رمادي عايزك تشوفه دايمًا في كل حاجة حواليك.

جلس (جعفر) وهو مازال ينظر حوله و(عمر) يكمل كلامه بهدوء:

- اللي حصل معاك كانت خدعة تافهة مالهاش أي لازمة، أنا كل اللي عملته اني خليت واحد من خدمة الجن اللي معايا يقرب منك بمجرد دخولك الشقة، ويعمل اللي أنا طلبته منه، عينك بتجمع صور الأجسام اللي الضوء بيسقط عليها، وتنقلها في شكل نبضات كهربية وإشارات لمركز معين في مخك هو اللي بيترجمها لصور وألوان فبتشوفها، الجني اللي كان واقف جنبك كان بيعترض الإشارات اللي واصلة من عينك لمخك ويحط هو إشارة جديدة، أنا طلبت منه إنه يديك صورة للصالة إن فيها كرسيين وترابيزة وسبورة، وإن الحيطان تكون مدهونة بأي لون، وكمان يخلي مخك يترجم صورة وصوت إن باب الشقة اتقفل أول ما انت دخلت.

نهض (عمر) فجأة واتجه ناحية إحدى الحوائط وهو يكمل عباراته:

- الحقيقة أنا ما أعرفش انت كنت شايف إيه بالظبط، يعني الجني مش هايقدر يديلك صورة معينة، الصورة اللي هاتشوفها هاتكون من ذكرياتك وخبراتك ومعارفك حتى لو صورة فاكر إنك أول مرة تشوفها، يعني شكل الكراسي والترابيزة ودهان الحيطان هاتكون من ذاكرتك انت علشان كده كنت عمال أسألك كل شوية انت شايف إيه.. المشكلة التانية يا (جعفر).

وقف عند إحدى الحوائط المليئة بالطلاسم وقال:

الصورة اللي الجني مصورها ليك فيها عيوب، غلطة مش طبيعية في المشهد اللي بيحصل حواليك، شيء مش في مكانه الطبيعي، لون بيتغير، أي حاجة مش طبيعية، لو انت ركزت في الشيء اللي مش طبيعي ده مخك هايرفض الإشارات الكهربية اللي جاية من الجني لأن مخك هايحس بالخدعة وهايحاول يديك الترجمة الحقيقية، فكل حاجة ترجع لطبيعتها مرة تانية.

- كنت فاكرك نصاب.

ضحك (عمر) وهو يجري ليلتقط كيس اللب ويضع بعضه في فمه وهو يتلمظه باستمتاع ويقول من وسط أصوات تكسر اللب داخل فمه:

- دي خدعة تافهة أوي وماينفعش تقعد فترة طويلة، لكن ماينفعش تعملها مع واحد زيي مثلًا.. علشان الجن اللي في خدمتي هايمنعوا أي حد يقرب مني.

- إيه الكلام المكتوب على الحيطة ده؟

- دي نصوص باللغة الأرامية، الأرامية ليها خطوط زي الاسترانجيلا والخط الشرقي والغربي، بس ده خط قديم شوية.

- وكاتبها على الحيطة ليه؟ ديكور؟

أخرج (عمر) كل قشور اللب من فمه ودخل في الممر الجانبي للصالة وهو يقول بصوت عال يصل لجعفر:

- هي تنفع ديكور، بس الحقيقة دي اسمها نصوص التابوت الأسود، ده مخطوط انكتب في سينا قبل الميلاد بحوالي 400 سنة، كتبه واحد اسمه (أبيطوب) لكن الناس تعرفه باسم (أبي الجن) وطبعًا ده اسم حديث أوي ومحدش كان بيناديه بيه وهو عايش.

عاد (عمر) يحمل طبقًا صغيرًا وضع فيه قشور اللب وصينية عليها

كوبان امتلأ بسائل أقرب للون الأسود أو البني الغامق ووضع ما يحمل على المنضدة وهو يكمل:

- النصوص دي كتبها في أول كام صفحة في المخطوط، علشان تحمي المخطوط من عيون الجن.

- مش هاعمل نفسي فاهم، كلامك مالوش معنى عندي.

أعطاه أحد الكوبين:

- اشرب ده خروب ساقع، هافهمك، المخطوط بتاعه كان فيه طرق التعامل مع الجن على حسب العلوم اللي هو شافها في أرض مصر من شوية كهنة للمعبودة (إيزيس) كانوا معتكفين في (سينا)، وعلشان على حسب اعتقاده هو الجن ما يوصلش للمخطوط ده ويحرقه فهو طلسمه بالنصوص دي علشان تخفيه عن عين الجن، جدي لما علمني تراثنا كان بيوصيني أرسم النصوص دي على حيطان الأماكن اللي مش عايز الجن يدخلها إلا لما أسمحله، يعني خدمتي من الجن أنا بسمحلها تدخل هنا عادي، لكن مفيش جن يقدر يشوف المكان ده إلا لما أنا أدعيه يدخل.. فهمت حاجة؟

أنا اتلخبطت.

قالها (جعفر) وتناول رشفة من كوب الخروب فشعر بطعم قوي ورائحة أرهقت أنفه حتى بان عليه ذلك من تعبير وجهه المتأفف.

- كويس إنك متلخبط، علشان لازم تركز في حاجة واحدة في الأول، ها تحب تتخصص في إيه؟

قال (عمر) عبارته وشرب نصف كوب الخروب على مرة واحدة، تلذذ بعدها وهو يحرك لسانه باستمتاع متحسسًا شفتيه به.

- أتخصص في حاجة مش فاهمها يعني تقصد سحر أسود وسحر سفلي وعلوي وكده؟

نهض (عمر) ووقف في وسط الصالة وأخذ يحرك يده في حركة مسرحية وهو يقول:

- سحر اسود إيه وكلام فاضي إيه سيبك من كلام الأفلام ده، تخصصات الجن كتير، فيه علم (الخوافي) وده فيه فتح المندل والجسد الأثيري وطرق كتير تعرف بيها اللي بيحصل دلوقت في مكان تاني وتشوفه بالتفصيل، وعلم (الأفلاك) و...

قاطعه (جعفر) وهو يضع كوب الخروب على المنضدة:

- عارفه، إزاي أعمل سحر لشخص عن طريق النجوم والكواكب.

- غلط، إنت في العلم ده محتاج تعرف المواعيد المناسبة لكل شخص ولكل نوع سحر عن طريق حركات الكواكب والأفلاك، وكده كده مش هاقدر أعلمهولك حاليًا علشان خبرتي فيه قليلة، وكمان عندك علم (الطلاسم) اللي بيدرسوا فيه لغات ميتة كتير أوي وأقلام روحانية علشان يقدروا يصنعوا طلسم بنفسهم يستخدموه في السحر.

- طب انت متخصص في إيه؟

لمعت عينا (عمر) وهو يقول بفخر:

- (الرصد) يا (جعفر).

صمت (عمر) لثوانٍ وكأنه ينتظر أن يرى تأثير كلمة الرصد على وجهه فلم يجد شيئًا، فأكمل:

- كل الحضارات القديمة كانت بتحمي مقابرها وكنوزها بطرق مختلفة، كلها بتتجمع في كلمة رصد.

- مش رصد دي معناها مراقبة باين؟

- بالظبط، فيه الرصد الميكانيكي، وده عبارة عن سلسلة من الحركات الميكانيكية مهمتها إنها تقتل أو تضر أي حد يحاول يدخل المقبرة، يعني فيه مقبرة فيها ممر لو دخلت فيه تلاقي مجموعة حجارة فوق بعض بتسد المدخل لو حاولت تزيح أي حجر منهم تلاقي مجموعة حركات ميكانيكية بتحصل ورا بعضها تنتهي إن جزء من المقبرة يتهد على اللي جوه.

- أول مرة أسمع إن حد بيعمل الحاجات دي.

- ده نوع واحد بس، فيه كمان الرصد الكيميائي، تلاقي فيه نباتات مزروعة في القبر وطبعًا كل ما السنين بتعدي عليها كل ما بتتفاعل مع عدم وجود أكسجين فتخلي الهوا مسمم، أو يحطوا سوائل بمجرد ما حد يفتح القبر السوائل دي تتفاعل مع الهوا وتطلع أبخرة سامة.

شعر (عمر) بالفرحة لأن (جعفر) بدون أن يشعر ظهر منتبهًا لكلماته هذه المرة فتناول بقبضته الكثير من اللب وهو يكمل:

- الرصد الفلكي بقى بيعتمد على إن مدخل المقبرة ما بيظهرش إلا في يوم معين من السنة اعتمادًا على منازل القمر، يعني مثلًا يتصمم المدخل بحيث إن الضوء ما يسقطش عليه إلا في وقت قمر الصياد يوم 23 سبتمبر، لكن طول السنة فيه كاموفلاج على المدخل يخلي أي حد يتلخبط فيه مع البيئة اللي حواليه.

- وحضرتك بتفهم في كل الأنواع اللي فاتت دي؟

- كلها بالإضافة لرصد الجن، ودي ممكن تلاقيها في مقابر فرعونية أو عربية، عبارة عن حارس أو حراس من الجن بيترابطوا بالمقبرة أو الدفين لآلاف السنين.

- الدفين؟.

- آه ما ممكن المكان المرصود ماتبقاش فيه جثة، ممكن دهب أو فلوس قديمة أو حاجة كانت مهمة عند صاحبها لدرجة إنه يرصدها.

- واللي هايرصد فلوس ولا دهب هايستفاد إيه يعني لما يموت.

- ما هو فيه أنواع من رصد الجن بيبقى مسموح الدخول لمكان الدفين لحد شايل دم اللي بدأ الرصد، ابنه أو أحفاده.

انتهى (عمر) من اللب فألقى بالقشور في الطبق الصغير على المنضدة وجلس على المقعد بجوار (جعفر).

- طبعًا إنت مش عايز تتخصص في الرصد، شكله ممل بالنسبة ليك.

- أنا مش عايز لا كنوز ولا مقابر.

- أومال عايز إيه؟

- عايز أهرب من عالم الواقع لعالم الجن.

ابتسم (عمر) بطرف فمه وقال:

- وأنا موافق، هاعلمك إزاي يبقى ليك خدام، بس اوعى تنسى إنك وعدتني بالمساعدة لو طلبتها.

- فاكر.

- يبقى نبدأ.

***

انتهى (أليكسندر كونستنتين) من إعداد القهوة وصبها في كوب صغير وجده في أحد أدراج المطبخ، ذهب لمنضدة السفرة المتواضعة في صالة الشقة ووضع الكوب وجلس على المقعد وهو ينظر لساعته، موعد السيجارة بعد دقيقة ونصف من الآن.

أخرج علبة سجائر (كيلوباترا) وسحب سيجارة وهو يمررها تحت أنفه يشتم رائحتها بتأنٍّ محاولًا إيجاد بعض ذكرياته القديمة في مصر قبل أن

يعود لوطنه الأصلي، عشرات السنين مرت بسرعة غريبة يتعجب لها كل لحظة.

طرقات على باب الشقة توحي بأن صاحبها عديم الذوق لم يعلمه والداه الأدب، نهض وهو ينظر لساعته بقلق، موعد السيجارة اقترب ولا يجب أن يؤجله، فتح الباب فطالعه (حمدي) بصلعته الناصعة وشاربه الكث غير المهندم.

- سلامه عليكم يا مستر.

ابتسم (أليكسندر) له وهو يعود للصالة قائلًا:

- قلتلك يا أستاذ (حمدي) إني بتكلم عربي بلهجة مصرية كويس جدًا.

أغلق (حمدي) الباب ودلف للصالة ليجلس على مقعد السفرة بجانب (أليكسندر) وهو يبتسم بلزوجة ويقول:

- ما ده اللي مخليني لا مؤاخذة مستغرب، بصراحة مش عارف ليه سايح زي سيادتك يجي حلوان ويأجر شقة مفروشة، وكمان بتتكلم مصري.. لا مؤاخذة يعني يا مستر ليا حق أقلق.

- إنت شُفت الباسبور الخاص بيا واتأكدت.

قالها (أليكسندر) وهو ينظر لساعته للمرة الأخيرة وهو يضع السيجارة في فمه ويشعلها بقداحة سوداء قديمة تقشرت جوانبها عن لون أصفر باهت، سحب نفسًا طويلًا تبعه برشفة قهوة و(حمدي) يقول:

- ما هو أنا الإنجليزي بتاعي مش أد كده، لقطت الاسم بس والباقي ما عرفتش، حضرتك قلتلي إنت منين لا مؤاخذة؟

- (بيلاروس).

- دي في إسرائيل؟

فلتت من (أليكسندر) ضحكة وقال:

- القلـق المـصري مـن إسرائيـل زي مـا هـو مـن زمـان مـا اتغـيرش.. (بيلاروس) دي كانـت دولـة تابعـه للاتحـاد السـوفيتي زمـان قبـل انفصالهـا.

- واتعلمت مصري ازاي وامتى؟

أخـذ (أليكسـندر) أنفاسًـا طويلـة مـن السـيجارة أتبعهـا برشـفة قهـوة وهـو يقـول بـدون أن ينظـر لحمـدي:

- درسـت اللغـة العربيـة بلهجتهـا المصريـة في معهد الاسـتشراق في (موسـكو) لمدة 3 سـنين

- استشراق.. إنت ولا مؤاخذة ملحد؟

لم يضحك (أليكسندر) هذه المرة بل نظر له وقال بجدية:

- أنـا مسـيحي، معهـد الاسـتشراق يـا أسـتاذ (حمـدي) خـاص بالدراسـات عـن الـشرق، تقـدر تسـميه معهـد الدراسـات العربيـة.

- آه.. لامؤاخذة فهمت غلط.

- سنة 1966 بعتني الاتحاد السوفيتي لمصر أيام رئاسة (ناصر).

- (ناصر) مين؟

- رئيس الجمهورية العربية المتحدة (جمال عبد الناصر).

- آه آه.. والاتحاد السوفتي بعتك ليه ولامؤاخذة؟

- كنت خبير تصنيع في مصنع من مصانع حلوان.

- إيه ده، إنت كنت هنا في حلوان؟

ابتسـم (أليكسـندر) وعينـاه تتجهـان للأعـلى يسـارًا وكأنـه يتذكـر شـيئًا مـا وقـال:

- كنـت عايـش في فيـلا في مدخـل حلـوان مـع خـبراء سـوفييت تانيـين وقدامنـا...

قاطعه (حمدي) مندهشًا وهو يقول:

- هو ده البيت اللي إنت عايز تشتريه هنا في حلوان؟

- مظبوط.. برغم إن ملكيته تابعة لسه للهيئة السوفيتية اللي كنت شغال فيها لكن طالما ناس سكنوه يبقى أخذوه انتفاع بوضع يد على ما أفهم.

- إنت تعرف وضع اليد كمان!

- سيبك أعرف إيه وما أعرفش إيه، طمني، مالك الفيلا وافق على البيع؟

- سبحان الله، بتتكلم مصري حلو أوي، أنا مش مصدق إنك سايح .

لم يرد عليه وظلت ملامحه جامدة فضحك (حمدي) بإحراج ضحكة متقطعة بلا معنى وتنحنح ثم قال:

- كلمتهم بس هما طالبين سعر أدّ تمنه مرة ونص، أنا رأيي يا مستر تسيبك من البيت ده وأنا بقى هجيبلك شقة عجب في عمارة لوز عند شـ...

قاطعه (أليكسندر) وهو ينظر أمامه:

- اتفق معاهم ولو جاهزين بكرة نبدأ الإجراءات.

مرت ثوانٍ صامتة وهو يدخن سيجارته حتى قال (حمدي) بحسرة:

- أنا لا مؤاخذة مستحرم إنك تتظلم كده.

- مفيش ظلم.. بالعكس.. قيمة الفيلا دي معنويًا عندي ما تتقدرش بفلوس.

قال عبارته ثم رج كوب القهوة وشرب بقيته على مرة واحدة

- عليا الحرام إنت مصري.

***

الساعة قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل، فتح (جعفر) باب غرفته وهو يحمل كيسًا بلاستيكيًا ضخمًا، نظر جيدًا حوله وهو يسير بالمنزل كي لا يفاجأ بخاله أو بخادمتهم أمامه.

لقد حان الموعد ليبدأ ما خطط له طويلًا، شهور طويلة يحلم بالاتصال بعالم الجان بلا فائدة، مئات الجنيهات أنفقها على كتب السحر المباعة على الأرصفة وتجاربها بلا فائدة، وعشرات المقابلات مع مَن ادعوا اتصالهم بالجان بلا جدوى، لكن (عمر) حكاية أخرى، خمس جلسات هي كل ما قضاها معه ليعرف منها أن كل الكتب التي اشتراها قديمًا صحيحة نسبيًا، بالتحديد 90% منها صحيح والباقي تم تحريفه خصيصًا كي لا يتلقاه من تعلموا شفاهة النطق الصحيح للعزائم وطرق كتابة الطلاسم والخواتم.

الكتب تعطي طرقًا مختلفة لاستخدام العزائم والطلاسم لكن بدون المعرفة المسبقة بها تفشل الطريقة، على تسعين ورقة، كتب (عمر) لجعفر نصوصًا كاملة أصلية وبعض الطرق الأساسية التي تمكّنه من فك شفرة كتب السحر التي كان يمتلكها مسبقًا..

لذا فالليلة سيخوض (جعفر) أولى تجاربه عن علم، ولكن عليه أولًا أن يبتعد عن الأنظار، في منزل خاله الذي يقيم فيه منذ وعى الدنيا، تحرك بخفة محاولًا كتم صوت طقطقة الكيس البلاستيكي حتى وصل إلى غرفة الخزين في المنزل والتي تحوي بابًا يقوده إلى مصنع أسلاك النحاس الذي يمتلكه خاله والذي تعوّد على النزول إلى مصنعه المقام في الطابق الأرضي من المنزل، و(جعفر) أيضًا استخدمه كثيرًا طوال حياته وخاصة أنه كان يساعد خاله في إدارته في بعض الظروف، لذلك فهو يمتلك نسخة من مفتاح هذا الباب ومفتاح باب المصنع لم يكن يستخدمه كثيرًا.

فتح الباب ونزل درجات السلم حتى وصل إلى باب المصنع الخالي من

العمل في هذا التوقيت، أشعل الأضواء واختار ركنًا لا تشغله الآلات، فتح كيسه البلاستيكي مخرجًا ما به.

مجموعة الأوراق التي كتبها (عمر) وشرحها له، طبق أبيض اللون مسطح، حقنة بلاستيكية وسكين صغير وكتاب سحر امتلكه منذ شهور، ومبخرة نحاسية حصل عليها من أحد المحال بمنطقة الحسين ومعها بعض الفحم سريع الاشتعال، ولاصق طبي للجروح وقطن وقداحة.

مد يده لجيبه وأخرج كيس صغير شفاف احتوى على ثلاثة أنواع من البخور خلطهم مسبقًا عند أحد العطارين بشبرا.

افترش الأرض ليلتقط أنفاسه، فما سيقبل عليه إما سيغير مجرى حياته وإما سيصيبه بنوبة فشل أخرى وفي الغالب ستكون الأخيرة لأنه لن يجرب ثانية.

ظل جالسًا لدقيقة كاملة حتى انتظم تنفسه وشعر بحالٍ أفضل، نظر حوله ثم قال لنفسه بصوتٍ عالٍ:

- دلوقتي نبدأ أول حاجة.. صرف العمار.

نهض وهو يقول بصوت حاول أن يجعله متماسكًا:

- يا يغموش يا يغموش مرش مرش مربوش مربوش جل الجليل صاحب الاسم الكبير، الأرض بكم ترجف والرياح بكم تعصف، والأودية بكم تخفق والجبال بكم تتزلزل، وأسماءه نار محرقة تحيط بكم، الكلام كلام الله والعبد عبد الله والأمر أمر الله، بحق الملك طارش أعزم عليكم يا معاشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل والأغلال في الأعناق، بالهيبة والوقار اسمعوا وأطيعوا، اذهبوا عمار هذا المكان من طريق الجان، اسرعوا بالرحيل في وقتي هذا ، الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة

رددها كما تعلمها ليصرف عمار المكان من الجان قبل الشروع في أي شيء كي لا يشتبكوا مع من سيأتي لاحقًا من الجان.

أخذ نفسًا عميقًا وردّدها للمرة الثانية، كاد أن يرددها للمرة الثالثة والأخيرة كما قال له المتصوف ولكنه رفع رأسه للأعلى ليجد مصابيح الإضاءة ترتعش بسرعة.

هذه العلامة تعني أن العمار غادروا المكان، وتعني أيضًا أنه يسير في الطريق الصحيح، عند وصوله لهذه النقطة أجبر نفسه على الابتسام برغم ارتعاش شفتيه، جلس على الأرض بهدوء وهو ينظر حوله كأنه يتوقع أن يظهر له وجه جني فجأة في الهواء ليفزعه، نظر إلى كتاب السحر الصغير وأمسكه وهو يفتحه على الصفحة التي ثنى طرفها، أعلى الصفحة كتبت عبارة (جلب خدمة طلسم التيجان).

خلع الحزام الجلدي من سرواله وربطه أعلى مرفق يده اليسرى بقوة وعينه تجري على الكلمات المكتوبة في الصفحة والتي تقول (يكتب بماء زعفران على طبق أبيض الطلسم التالي)، ابتسم ثانية وهو يتذكر ما تعلمه.. عند ذِكر ماء الزعفران في الكتابة فهذا يعني شيء آخر، بلع ريقه وهو يأخذ المحقن البلاستيكي وينزع غطاءه، ضرب كثيرًا على أحد عروق ذراعه حتى ظهر العرق واضحًا، غرس طرف المحقن في العرق وملأ المحقن حتى آخره، ألم نفسي يتملكه من فكرة أن يخطئ في سحب دماه، سحب المحقن ووضع قطعة القطن بسرعة ثم اللاصق الطبي.

تنفس الصعداء وهو يمسك بالمحقن ثم يقترب من الطبق وينقل رسمة الطلسم الموجودة في الكتاب إلى الطبق بدمائه مستخدمًا سن المحقن.

انتهى منها ثم أشعل الفحم بالقداحة ونثر عليه خليط البخور فتصاعدت أدخنة قليلة من المبخرة ليس كما توقعها، نظر لما هو مكتوب في الكتاب بتمعن ثم أمسك الورق وقلّب فيه حتى وصل لصفحة

تتكلم عن نفس التعويذة المدوّنة بالكتاب ولكن بنطقها الصحيح، قرأ من الورقة بصوتٍ عال:

- اهيا شراهيا اهيا شراهيا آل شداي سمعيل تاهيل فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد بشمخ دالا هامو شيطيثون.. دنوا ملخوثوا ديموثون.. كورعش ارعيشطرخ لاخون.. دهموث ارخا ارخم ارخيمون.. ثيخوثيم ازيش ارقش دار عليون.. حيثموا ميثوا احيون منون.. اهيا شراهيا ادوناي اصباؤت صبارتون.. دهميثا دهليلوا اله ميطظرون.. نور بورق ارعيش ارغشيش لغشون.. شبيرا شرو اسمخ اشفا اشفون.. ملكوت مالخ ملخ مليخا مالخون.. بحق دعوة التيجان دعوة إليكم وبحق سطوته عليكم أن تنزلوا حتى يراكم الناظر بعينيه ويكلمكم بلسانه ويسألكم خدمته، أحضروا أينما تكونوا فإنكم...

لم يكمل (جعفر) بقية الكلمات عندما اشتم أنفه رائحة غريبة، ليست كرائحة البخور بل تقترب من رائحة اللحم المحترق، وقعت عينه على الطبق الموضوع أمامه فوجد الطلسم المكتوب بدمائه قد تغير وأصبح عبارة عن خط طويل مائل كأنه ثعبان يتلوى.

هنا سمع فحيح من ورائه، نظر بسرعة خلفه فوجد ثعبانًا أسود اللون يرفع رأسه منتفشًا في وضع الترقب، شهق (جعفر) وهو يتراجع للخلف.. فجأة سمع صوتًا في أذنه يقول بهدوء:

- لبيت وحضرت بمقامك يا ابن آدم.

تسارعت أنفاس (جعفر) وأغمض عينيه وفتحهما ليجد الثعبان في نفس موضعه، قال بصوت متحشرج خائف:

- إنت مين؟

- خادم دعوة التيجان، قل مطلبك

لم يعـرق (جعفـر) بحياتـه مثـل تلـك اللحظـة، بـدا وكأنـه فقـدَ التحكـم بمسـام جلـده، اعتـدل بصعوبـة في جلسـته عـلى الأرض وقـال بصوتـه المرتعـش:

- عايز خدام من الجن.

- كم خادم؟

قالها الصوت في أذنه فرد (جعفر) بسرعة:

- عشرة.. عشرين.. مية.. أكبر عدد.

- قل معي ما سأردده..

نطق (جعفر) وراء الصوت كل ما قاله:

- أنـا (جعفـر) بـن (صابـر) أقسـم بالملـوك العلويـة للأيـام السـبع، بروقيائيـل وعظمتـه وجبرائيـل ورفعتـه وسـمسـائيل وقوتـه وميكائيـل وهيبتـه وصرفيائيـل ونفحتـه وعنيائيـل وسـطوته وكسـفيائيل وقبضتـه، وبحـق قسـم آصـف بـن برخيا عليكـم عـن سـليمان عـن داوود الـذي أخـذه عنـد بـاب الهيـكل الكبـير ببابـل.. أقسـم بـأن أذكـر الدعـوة التيجانيـة 1000 مـرة كل يـوم قبـل انتصـاف الليـل، وأن أصـوم عـن كل روح عـشرة أيـام مـن كل شـهر، وإن تهاونـت حـق عـلي العقـاب ووجـب عـليّ الامتثـال، يعطـل العهـد حتـى أعيـده، فـإن كـثر عـليّ العقـاب حـق عـليّ المـوت. هـذا عهـدي وميثاقـي معكـم فـلا أنقضـه

كان يـردد الكلـمات مرعوبًـا وخاصـة أنـه فهـم فداحـة مـا فعلـه وعلـم مـا معنـى المسـئولية التـي كان يتحـدث عنهـا (عمـر) عندمـا حـذّره في البدايـة مـن الدخـول في هـذا العـالم، سـمع تحذيـره باسـتهزاء لكنـه الآن يفكـر جديًـا في التراجـع، لكـن تحذيـر آخـر تذكّـره، عنـد جلـب أي جـانٍ عـن طريـق العزائـم لا يتراجـع عـما بـدأه وإلا سـيتم عقابـه بشـدة بقيـة حياتـه.. هـذا إن قـرر الجنـي تركـه ليعيـش.

سمع الصوت يقول:

- نعاهدك على السمع والطاعة وإن تهاونا حق علينا ما ينزل من عقاب ملوك التيجان السبع، لا يفض لنا عهد حتى تقبض روحك.

شعر (جعفر) بألم يبدأ بعينيه ويجتاح رأسه تدريجيًا حتى اهتزت الرؤية أمامه، فجأة اختفى الثعبان وسمع صوتًا طبيعيًا في أذنه يقول:

- أهلًا بيك يا (جعفر)، أنا (سالم) واحد من خدمتك. الصداع اللي عندك هيختفي كمان شوية ما تقلقش، دلوقتي تطلع لبيتك، وتحت مخدتك هتلاقي ورقة عليها طلسم، بكرة تشتري خاتم فضة وتحفر عليه اللي مكتوب على الورقة، علشان نعرف نجيلك لما تحتاجنا.

تحامل (جعفر) محاولًا نسيان الألم وقال:

- يعني إنت دلوقتي في خدمتي؟

- أنا و139 واحد كمان، وبما إني دلوقتي في خدمتك وهفضل كده لحد ما تموت، ففي نصيحة عايز أنصحهالك.

- نصيحة!!!

- هي متأخرة شوية، ومش هتفيدك خلاص دلوقت بس لازم تعرفها، النصيحة إني لو كنت مكانك.. ما كنتش عملت العهد ده، إنت دلوقتي اخترت طريق معين لمستقبلك.. ومن خبرتي أقولك في الغالب هيكون ده آخر اختيار ليك.



«2007»

(12/16)

جلس (راضي) على الكمبيوتر بعد أن أوصله بالكاميرا التي وضعناها في الصالة على وضعية التسجيل أمس، كنت أنا الوحيد الذي يجلس بجانبه الآن في مكتب الشركة نحاول أن ننقل كل ما نستطيع من على شرائط الكاميرات لأجهزة الكمبيوتر، كل شيء مازال مسجلًا على كاميرا الصالة، حتى جاء المشهد الذي وقفنا فيه جميعًا في الصالة عندما خرج البخار من الغرفة.

لكن البخار ظهر على الفيديو على أنه ألوان كما ظهر في الفيديو الذي احتفظت به (صفاء).

ها هو الكادر الذي نتألم فيه والبخار المحاط بالألوان يظهر، وهذا هو والد (صفاء) يقف أمام الغرفة وينظر للموجة القادمة من الغرفة، أوقف (راضي) الكادر عن الحركة واتسعت عيناه وهو يقول:

- .إيه ده؟؟ دا الهوا بيتأيّن!!!

لم أفهم عبارته لكنه أخذ يحرك الكادرات ببطء للأمام حتى رأينا الرجل المتلفح بالأضواء يخرج من الغرفة ويمسك بوالد صفاء ثم يسحبه معه لداخل الغرفة ثانية ويختفي.

طلبت من (راضي) إعادة الكادرات مرة ثانية بشكل أبطأ، عند مشهد خروج الرجل من الغرفة صرخت في (راضي) بأن يثبت الكادر، اقتربت من

شاشة الكمبيوتر لأنني لم أصدق عيني في البداية.. أولًا الأضواء لا تحيط برجل بل تحيط بشاب، ثانيًا أنا أعرف ملامح هذا الشاب لأنه كان معنا في الصالة في نفس اللحظة.. هذا هو (جعفر)!!!

كيف خرج (جعفر) من الغرفة محاطًا بالبخار وهو في نفس الوقت كان معنا في الصالة يتألم؟؟

رن جرس هاتفي المحمول، رددت عليه وأنا مازلت أنظر للصورة الثابتة على شاشة الكومبيوتر.. كان المتصل رجل يقول بأن اسمه (جابر عبد السيد).. ويطلب مقابلتي اليوم بشكلٍ عاجل! مَن هذا الرجل؟

نظرت لراضي وأنا أشرح له مكالمة المدعو (جابر) وطلبه المقابلة في منزله بعد أن أعطاني العنوان، جلست على مقعد قريب من (راضي) الذي انتبه لي بعد أن وجه جسده ناحيتي وهو يحرك يده على شاربه مفكرًا.

- تفتكر الراجل ده ليه علاقة بالبيت واللي حصل امبارح.

قالها (راضي) ومازال يلعب بأطراف شاربه.

- هتكون إيه علاقته بالموضوع يعني، ثم أنا مش هاتحرك ولا هقابل حد إلا لما (أحمد عصفور) يخرج من أمن الدولة اللي أخدوه امبارح ليها.

- مش مكيفاني حكاية أمن الدولة دي يا (حسام)، يعني هما فضلوا مراقبينا إمبارح لحد ما اختفى الراجل اللي اسمه (عبد الرحمن) أبو (صفاء) واستنونا لحد ما لمينا معداتنا وأول ما نخرج من البيت نلاقيهم مستنينا برّه وياخدوا (أحمد) ويسيبونا احنا والمعدات عادي كده.. طب ليه ما اتقبضش علينا كلنا؟ وليه سابوا الباقين يروحوا وياخدوا معاهم (صفاء)؟

قلت أنا مستعيدًا تلك اللحظات المرعبة أكثر من المكوث في المنزل:

- الجدع الطويل الرخم ده اللي اسمه (سليمان) كأنه مظبط الأمور مع الناس اللي لابسين جلاليب ومعاهم سلاح دول، يسيبوا (صفاء) تروح معاهم ومعاهم الراجل العجوز الأعمى و(جعفر) ويوقفنا احنا.

- (جعفر) مين؟

- اللي متنيل ظاهر في الصورة قدامك أهو.

أشرت بسبابتي صوب شاشة الكومبيوتر على الصورة المتوقفة لجعفر وهو محاط بالدخان والألوان، قبل أن ينظر هو لها انتفض جسدانا وباب الغرفة يفتح فجأة ليدخل منه (عمرو) المصور، أعصابنا لم تكن على ما يرام منذ الأمس، لم يغلق (عمرو) باب الغرفة من كثرة اندفاعه وهو يقول من بين أنفاسه المتسارعة:

- جوز خالتي ماعرفش يوصل لمكان (أحمد عصفور).

وعدنا (عمرو) أمس بعد القبض على (أحمد) أن يذهب لزوج خالته الذي يعمل بأمن الدولة على رتبة لواء، على الأرجح إن كان لك قريب يعمل بجهة أمنية فسيكون زوج خالتك أو زوج عمتك لأنه لو كان قريبك من الدرجة الأولى فستصبح أنت أيضًا ضابطًا وتتزوج خالة أو عمة أحدهم لتكتمل المنظومة العالمية.

- يا أسطى انت مش قُلت امبارح إنك هاتتصرف وبتاع.

قالها (راضي) معطيًا ظهره لنا ليعود ليعمل على الكمبيوتر وأنا أنهض لأغلق باب الغرفة.

ذ- جوز خالتي بيقول إن أمن الدولة مش هايروحوا يقبضوا على واحد ومعاهم ظابط واتنين مخبرين، ممكن اللي قبضوا على (أحمد) مايكونوش أمن دولة، أو ممكن بيجاملوا ظابط بشكل غير رسمي.

- إحنا اللي حمير اللي ما طلبناش تحقيق شخصية من اللي اسمه (سليمان) ده، يادوب هو قال المقدم (سليمان) مش عارف إيه...

قطع (عمرو) عبارتي وهو يذكرني بالاسم الذي قيل بالأمس:

- المقدم (سليمان عبد السيد)، أنا فاكر الاسم من إمبارح لأني قولته لجوز خالتي وماعرفش يوصل لصاحبه في أمن الدولة.

تسمرت في موضعي متذكرًا ذلك الاسم، أما (راضي) فقال بدون أن ينظر لنا:

- أنا حاسس إني سمعت الاسم ده قبل كده.

(جابر عبد السيد) و(سليمان عبد السيد) إما أشقاء أو مصادفة، نظرت لعمرو لأشرح له المكالمة وقد قررت قرارًا ما.

***

مباحث أمن الدولة - شبرالخيمة - المؤسسة

جلس (أحمد) داخل غرفة صغيرة على قفص من البوص وسط ظلام تام لا يعلم ما الذي يحدث خارج الغرفة ولا حتى داخلها، فالظلام المحيط به منعه من محاولة تبيان كينونتها، لكنه أمس حينما أتى به (سليمان) مع رجيان آخرين إلى مقر أمن الدولة الذي شاهده كثيرًا أثناء المرور أمامه، سلمه لضابط آخر وبضعة عساكر يرتدون ملابس الخدمة العسكرية، فتحوا تلك الغرفة في الطابق الأول والتي تأكد بأنها ليست زنزانة لأنه رأى بها بعض العلب المصنوعة من الكرتون على الأرض فقدر أنها غرفة مهملات، ألقوا به في الغرفة وأغلقوا الباب خلفه، لم يحاول البحث عن زر الإضاءة أمس لأنه لاحظ وجوده خارج الغرفة، كذلك لم يقم بأكثر من البحث بيديه حتى وجد ذلك القفص فجلس فوقه.

بعد تفكير طويل لا يعرف كم أخذ منه، غلبه النعاس فنام بجانب القفص على الأرض، نهض مفزوعًا وأفزعه أكثر الظلام المحيط به فقام يتحسس الحائط حتى وصل للباب وطرق عليه بهدوء، تفكيره انشغل

بكيفية تعامله مع مثل هذه المواقف، هل يصرخ ويضرب الباب بقوة أم يحافظ على هدوئه، قدر أنهم ألقوه في تلك الغرفة ليحطموا أعصابه حتى يعترف بأي شيء.

لكن ما الذي سيعترف به؟، هل سرقة الكاميرات من مخازن الشركة أو التصوير في منزل مهجور بدون تصريح يتطلب حبسه بأمن الدولة؟

سيعترف بسهولة بكل ما فعله حتى بدون أن يحطموا نفسيته، توقف عن طرق الباب ليرسل لهم رسالة بأن نفسيته لم تهتز ولن تهتز، تحسس طريقه لينام في نفس موضعه محاولًا التفكير بأشياء سعيدة أو خيالات عن نجاحه وافتتاحه لشركة إنتاج ضخمة، بعد قليلٍ راح في نوم عميق.

نهض ثانية بعد فترة على صوت صراخ خارج الغرفة، انتفض وهو يهب واقفًا يصغي بخوف لحوار بين مجموعة أشخاص، كلمات الحوار غير مفهومة في مجملها لكنه التقط أن مجموعة أشخاص يعتذرون لشخص واحد، انفتح الباب فجأة ليغمر الضوء عينيه ويجد نفسه يتراجع للوراء بحركة لا إرادية لخطوات تعثَّر بسببها وسقط أرضًا على ظهره، لم يؤلمه أيٌّ مما حدث في هذه الغرفة أكثر من سقطته بهذا الشكل عند انفتاح الباب، ألم نفسي أكثر مما توقع لا يعرف سببًا له.

الضوء يجبره على إغلاق عينيه أكثر بينما صوت خطوات يقترب منه وأحدهم يمسك يده لينهض.

- أنا بعتذرلك يا (أحمد) على الغلطة دي.

ميز هذا الصوت بأنه صوت الضابط (سليمان) الذي أخذه أمس من أمام المنزل، يا له من غبي، طريقة الشرطي الجيد والشرطي السيء هذه يعلمها كل البشر، الأفلام التي شاهدها (أحمد) منذ طفولته واحتوت على تحقيقات أمنية أظهرت تلك الطريقة الغبية عندما يعذب المتهم وبعد

قليل يظهر الضابط الطيب الوديع الذي يعتذر له عن المعاملة السيئة ويطالبه بالاعتراف بكل شيء، المصيبة أنه لا يعرف سبب ما يحدث معه.

أخرجوه من الغرفة وعيناه مازالتا تحاولان الاعتياد على الضوء حتى أدخلوه غرفة ثانية، وأغلقوا الباب خلفه، فرك عينيه حتى اعتادت الإضاءة وهو يتأمل تلك الغرفة الفسيحة التي تكونت من مكتب ومقعدين وطقم (انترية) جديد وباب مفتوح يفضي لحمام، انفتح باب الغرفة ثانية ودخل منه (سليمان) يرتدي سروالًا وقميصًا وصديريًا على القميص، يحمل جاكيت بدلة من نفس لون الصديري والسروال على يده اليسرى، حدجه (أحمد) بنظرة غاضبة و(سليمان) يغلق الباب خلفه وعلى وجهه شيء من الخجل لم يصدقه (أحمد).

- تحب تخش الحمّام؟

هز (أحمد) رأسه موافقًا وهو يتجه من تلقاء نفسه إلى الحمّام، جلس (سليمان) على مقعد أمام المكتب وهو يضع الجاكيت على المكتب نفسه، حرك يده اليمنى يمسح بها وجهه وهو يتقلب في مقعده وينظر لباب الحمّام المغلق كل ثانية في انتظار عودة (أحمد)، فجأة قال بصوت عال:

- اللي حصل ده ماكانش مقصود والله.. أنا لما جبتك امبارح هنا قلت لظباط أصحابي يخلوك في مكتب من مكاتبهم تبات إمبارح لحد ما آجيلك النهارده.

انفتح باب الحمّام وخرج (أحمد) بنفس نظرة الغضب على وجهه وهو يقول:

- بس انت كنت معاهم لما روموني في أوضة الكراكيب.

- ده كان مؤقت لحد ما مدير الدور يروّح، هما نسيوا أو حبوا يجاملوني أو ما أعرفش ده حصل ليه، المهم اقبل اعتذاري.

اقترب (أحمد) منه بحذر وجلس على المقعد المواجه له:

- إنت مابتتكلمش زي ظباط أمن الدولة، شكلك مش ظابط صح؟

- لا أنا ظابط.. بس في إنتربول القاهرة، وكل اللي كنت عايزه إني أعزلك عن بقية مجموعة التصوير علشان أكلمك في موضوع مهم.

نظر (أحمد) حوله لأثاث الغرفة ثم نظر لسليمان وقال:

- أنا عايز أروّح بيتي.

- هاتروّح بس الموضوع اللي أنا عايزك فيه ينتهي وهاخلي عربية توصلك لبيتك.

- الأيام الجاية لما هاتقابل أصحابك (حسام) و(راضي) و(عمرو) عايزك تعرفهم إني قبضت عليك امبارح وجبتك هنا علشان أستفسر منك عن تفاصيل دخولكم البيت وشوفتوا إيه وعملتوا إيه جواه.

- وانت تعرف اللي احنا عملناه امبارح جوه البيت؟

- بالتقريب.. وأعرف أكتر، لكن اللي لازم الكل يعرفه إني سألتك عن البيت واللي حصل جواه بس، وماطلبتش منك حاجة تانية.

- وإيه هو اللي هاتطلبه مني.

جاءت طرقات على باب الغرفة وانفتح الباب ليظهر الضابط الذي ألقاه أمس في الغرفة يحمل لفة ورقية تحتوي على طعام، ابتسم وهو يقول بصوت خشن:

- دي تحية مني ليك يا أبو حميد، ماكناش نعرف يا سيدي إنك غالي كده على (سليمان) باشا.

قال عبارته بطريقة تحمل رائحة احتقار لأحمد وهو ينظر له بابتسامة سمجة، لم يرد (أحمد) عليه فربت الضابط على كتف (أحمد) بخشونة وهو يقول بنفس الابتسامة المصطنعة:

إيه يا أبو حميد قالب وشك عليا ليه، هي لومة امبارح ماعجبتكش ولّا إيه.

نظر (سليمان) للضابط وقال بصرامة:

- متشكرين على الأكل، مش عايزين نعطلك.

برغم ما تحمله عبارة (سليمان) من إهانة للضابط إلا أنه تعامل بأريحية كبيرة وهو يستأذن (سليمان) ويغادر الغرفة، شعر (أحمد) بأهمية (سليمان) لكن ليس لوجوده في المنظومة الأمنية أو لانتمائه للإنتربول، لكنه فكر بأن له معارف أقوياء يخيفون ضابط أمن دولة اعتاد أن يخيف الجميع حتى ضباط وزارة الداخلية الذين لا يعملون في هذا الجهاز.

- تحب تاكل؟

قالها (سليمان) وهو يضع يده على لفة الطعام التي وضعها الضابط لكن (أحمد) هز رأسه نافيًا فاعتدل (سليمان) وهو يفك أزرار الصديري الخاص به ويقول:

- أنا عايزك تكون عيني وودني الأيام الجاية في كل اللي هايحصل ليه علاقة بالبيت.

استوعب (أحمد) لثوان ما طلبه (سليمان) ثم قال:

- أشتغل مرشد يعني، إيه الجو القديم ده، ثم انت هاتجبرني إزاي أشتغل عندك!

فلتت أعصاب (سليمان) وعلا صوته قليلًا وهو يقول:

- يا أخي أنا كل ما أقولك كلمة تاخدها على صدرك، إهدا وأنا هافهمك.

- تفهّمني إيه ما انت...

قاطعه (سليمان):

- أنا مش عايز أعرف حاجة شخصية عن أصحابك، بقولك عن البيت، لو عايز أراقب حياة أصحابك الشخصية هابعتلهم مخبرين ومرشدين يرصدوا تحركاتهم ويبلغوني بيها ساعة بساعة بس أنا...

قاطعه (أحمد):

- إنت حاولت تراقبنا قبل كده؟

قطع (سليمان) كلماته ولم تظهر على وجهه أي علامة تدل على أي شيء، لحظات مرت تراجع فيها (سليمان) بجسده ليريح جسده على ظهر مقعده وعينيه تتركز على عين (أحمد) المتحفزة.

- من فترة راقبت صاحبك (حسام) وطلبت تقارير عن كل أفراد فريقك، بس ماكانش بمزاجي، لكن المرة دي أنا اللي عايز أعرف إيه اللي بيحصل.

- غريبة.. ماتوقعتش تجاوبني بالصراحة دي، ماتفهّمني إيه الحكاية وتسيبلي الاختيار.

شبك (سليمان) أصابعه ووضعها أمام بطنه وهو يستند بمرفقه على مسند مقعده، تركز نظره على عين (أحمد) ببرود مرة أخرى وهو يقول:

- من زمان وأنا نفسي أعرف ليه لما الواحد بيتكلم في موضوع وناوي يقول كلام مهم بيطلع سيجارة ويشربها، أنا مابدخنش بس الظاهر إن اللي بيدخنوا مابيلاقوش حاجة يعملوها وهما بيتناقشوا فبيشربوا سيجارة، وأنا للأسف مابدخنش.

- ولا أنا، بس ممكن تتكلم وأنا هاحس بأهمية الموضوع.

ابتسم (سليمان) ابتسامة تكاد لا ترى وتنحنح وهو ينظر لسقف الغرفة ويقول:

- مفيش حاجة تخليني أحكيلك أسرار تخصني وفي نفس الوقت فاهم
نك مش هاتوافق تساعدني إلا لو كلمتك بصراحة، علشان كده هاقولك
عى شوية حاجات دلوقت وأجل الباقي لوقت تاني.

بنسبة كبيرة هدأت أعصاب (أحمد) برغم عدم ثقته في (سليمان)
لذي أنزل عينيه من على السقف وقال:

- سمعي (سليمان جابر عبد السيد)، ظابط في إنتربول القاهرة زي ما
قتت. لكن قبلها كنت في المباحث الجنائية، اللي خلاني أتنقل للمباحث
لجنائية في أول خدمتي كان والدي، علشان هدف واحد.. أكون جنب بيت
بو خطوة اللي قضيتوا فيه ليلة امبارح، والدي كلفني اني أتابع البيت
ده لأنه كان مستني حاجة تحصل فيه، وفعلًا بدأت الجثث تظهر قدامه.

انتبهت حواس (أحمد) وهو يستمع لحكاية الأربع جثث التي ظهرت
قديمًا.

***

جلس (جابر) خلف مكتبه وهو يستمع لحمدي بنصف أذن وفي نفس
لوقت يحاول الاتصال بسليمان لكن هاتفه المحمول خارج نطاق الخدمة.

- لا مؤاخذة يا (جابر) باشا بس حضرتك مش معايا خالص.

رفع (جابر) عينيه لحمدي الجالس على مقعد بجانب المكتب وقال
بهدوء:

- كنت بتقول إن صاحبك اللي في شركة الكهربا قالك إن استهلاك البيت
اللي عايش فيه (اليكسندر) من الكهربا زاد جدًا تاني بعد ما جم ناس
يزوروه، خلص وكمل يا (حمدي).

ابتلع (حمدي) ريقه وقال:

- فأنا جاتلي فكرة يا باشا بنت حرام.. إمبارح هو خرج من البيت يتغدى في مطعم في حلوان.

اتسعت عين (جابر) وألقى بالهاتف المحمول على المكتب ناظرًا في عين (حمدي) الذي شعر بالخوف و(جابر) يقول:

- إنت عرفت منين إنه راح يتغدى في مطعم؟

- ما أنا قلت أمشي وراه أعرف بيروح فين علشان أدخل البيت في غيابه.

قالها (حمدي) بارتباك لكن (جابر) نهض من مقعده والشرر يتطاير من عينيه المتسعتين مما جعل (حمدي) يقول بسرعة وبارتباك أكثر:

- أنا قلت يا باشا أجيبلك لامؤاخذة أخباره أحسن ما أنا بأراقب البيت بس بقالي سنتين.. وكمان يا باشا أنا.. أنا..

- عملت إيه تاني يا (حمدي)؟

- دخلت البيت بالمفتاح اللي معايا يا باشا، بس والله ماتخافش مش هايعرف لإني...

قاطعه (جابر) صارخًا:

- يا غبي.

ثم سار بخطوات سريعة حتى وصل لمقعد (حمدي) وقرّب وجهه منه وهو يقول صارخًا:

- أنا مش قلتلك لا تحاول تراقبه ولا تدخل البيت.. إنت مابتفهمش.

تلجلج (حمدي) قائلًا:

- أ ..أأ.. أنا بس حبيت أثبت لحضرتك إني...

- إنك حماااااااار.

بعد صراخ (جابر) تسارعت أنفاسه وهو يبتعد عن (حمدي) ويسير إلى أحد الدواليب التي تزين الحائط ويفتحها، داخلها تراصت ثماني شاشات تلفزيونية تعرض صورًا من كاميرات مراقبة لخارج المنزل، واثنان منها تعرض صورة بعيدة جدًا لجانبي الطريق، صرخ في (حمدي) بدون أن ينظر إليه:

- هات نضارتي من على المكتب.

قفز (حمدي) من مقعده إلى المكتب وأخذ النظارة ثم قفز لجابر يعطيها له، ارتداها وهو ينظر لساعته ثم يعيد النظر للشاشات ويضغط على بضعة أزرار في كل شاشة ليعيد وقت التصوير للحظة وصول (حمدي) في سيارته القديمة أمام المنزل، نظر جيدًا في كل الشاشات و(حمدي) يقف أمامه منبهرًا بالشاشات وهو يخرج علبة سجائره وينتزع منها سيجارة يقربها من (جابر) الذي أخذها وألقاها بعيدًا وهو يصب تركيزه على الشاشات، تنحنح (حمدي) وأشعل سيجارة لنفسه وهو يقول:

- حضرتك بتدور على إيه يا باشا.

- على خيبتك يا (حمدي).

قالها (جابر) وهو يضغط على أزرار كل شاشة ليعيدها لوضعها الطبيعي مرة أخرى ويغلق الدولاب عائدًا للجلوس خلف مكتبه خالعًا نظارته.

- آآآه.. إنت فاكر إن فيه حد كان بيراقبني يا باشا، لا ماتقلقش دا أنا قرد مسنسن.

نظر له (جابر) بخيبة أمل وهو يقول بصوت خافت:

- فعلًا أنا مشغل معايا قرد.. قرد بيحاول يراقب ظابط كي جي بي سابق.

- بتقول حاجة يا باشا؟

تنفس (جابر) بعمق ليسيطر على أعصابه، دخلت في تلك اللحظة (نهلة) تحمل صينية عليها كوب شاي وطبق صغير ممتلئ بالحلوى، وضعت الصينية على المنضدة الصغيرة أمام المكتب فجرى (حمدي) عليها يلتقط كوب الشاي ويرتشف منه.

- بقولك يا (نهلة)، فيه ضيوف احتمال ييجوا النهاردة، عددهم من 3 لـ 4 أفراد.

هزت (نهلة) رأسها متفهمة وغادرت القاعة و(حمدي) يتابعها بعينيه حتى خرجت.

- إلا الآنسة (نهلة) متجوزة يا باشا؟

قالها (حمدي) وهو مازال ينظر للباب الذي خرجت منه.

- الآنسة (نهلة) دي زي بنتي يا (حمدي)، يعني لو بصتلها بصة ماعجبتنيش هاخزوقك.

اتسعت عين (حمدي) خوفًا من كلمات (جابر) الباردة ونظر ليجده يقلب في الأوراق على مكتبه بهدوء ويقول بدون أن ينظر له:

- اسمع المهم، إنت تبعد خالص عن بيت حلوان ولا تراقبه ولا تحاول تستعلم عنه خالص لحد ما أتصل بيك أقولك، وماتحاولش تيجي بيتي هنا خالص.

- يا باشا انت مكبر الموضوع دا الخواجة (أليكسندر) ده شكله أهبل، حتى البيت من جوه ماغيرش فيه حاجة لحد دلوقت، الراجـ...

قاطعه (جابر):

- بطل رغي واعمل اللي بقولك عليه.. مع السلامة.

قال العبارة السابقة وهو يخرج من أحد أدراج المكتب مظروفًا عريضًا

ممتننًا بالنقـود رفعـه في وجـه (حمـدي) الـذي أخـذه شـاكرًا إيـاه بحفـاوة مبالغ فيها وهـو يعيـد كـوب الشـاي للمنضـدة ويهـرول مغـادرًا القاعـة وهـو يحتضـن الظـرف و(جابـر) يقـول لنفسـه:

- إنت إكليشيه أوي يا (حمدي).. كأنك بتمثل شخصية في فيلم عربي.

بعـد ثـوانٍ مـن مغـادرة (حمـدي) دخلـت (نهلـة) لتحمـل الصينيـة وترحـل لكـن (جابـر) قـال:

- أخبار الدراسة معاكِ إيه؟

توقف هي ونظرت له وقالت بنصف ابتسامة:

- قدمت على رسالة الدكتوراة أول امبارح.

ابتسم (جابر) قائلًا:

- كبرتي يا (نهلة) ومابقاش ينفع تشتغلي معايا.

- حضرتك بتقول كده ليه؟ أنا مرتاحة جدًا.

- محـدش في وضعـك ويكـون مرتـاح، إنتـي بتشـتغلي هنـا علشـان مـراتي (سـلوى) وصتـك عليـا، لكـن ماتقلقيـش قريـب هاتكـوني في وضـع يليـق بمسـتواكِ.

نهض (جابر) من مقعده وهو يسير ناحيتها وهي تقول:

- عمـري مـا حسـيت بـإني مـش في مستوايا وأنـا مـع حضرتـك، مـن أول مـا كنت بقعـد عـلى رجلـك وأنـا عنـدي 5 سـنين في المكتـب ده وحضرتك بتشـتغل.

لم يستطع (جابر) أن يخفي اتساع ابتسامته وهو يقول:

- كل الـلي كان بيشـوفك معايـا يفتكـرك بنتـي، وأنـا اتمنيـت كـده، تعـرفي لـو كنتـي انتـي و(سـليمان) حبيتـوا بعـض، كنـت جوزتكـم مـن زمـان، لكـن أنـا عـارف إنـك لسـه ماحبتيـش حـد.

اختلطت ابتسامة (نهلة) بالخجل وهي تحاول أن تخرج من حوار المشاعر هذا فقالت:

- على فكرة أنا النهارده كنت في قاعة المكتبة ولقيت بحث قديم مكتوب على آلة كاتبة.

توقف (جابر) عن السير ناحيتها وابتسامته تتلاشى تدريجيًا وهي تكمل كلماتها:

- أول مرة أشوف البحث ده، لواحد اسمه (مجدي ثروت) بيتكلم عن ترميم المخطوطات وبيتكلم عن مخطوط تراثي مصري كمثال، بس كأنه مش بحث، كأني كنت بقرأ تقرير متقدم بشكل رسمي لجهة حكومية.

تراجع (جابر) ليجلس خلف مكتبه ونظر لنهلة صامتًا لثوان قبل أن يقول مصدومًا:

- لقيتي الورق ده فين؟

- البنات اللي بيجوا كل يومين ينضفوا البيت اتنين منهم وهما بينضفوا المكتبة وقعوا كتب كتير من على الرف بتاعها، وأنا علشان عارفة ترتيب الكتب فرجعتهم، لكن استغربت لما لقيت الورق ده وسط الكتب اللي وقعت، كأنه كان محشور ورا الكتب من فترة طويلة، حتى الورق نفسه ناشف ولونه مصفرّ بس الكلام واضح، حتى أنا فكرت إن ممكن رسالة الدكتوراة تبقى عن ترميم المخطوطات وأرشفتها.

انتبهت هنا إلى (جابر) الذي أشعل سيجارة فقالت:

- معاد سيجارة حضرتك مش دلوقت!!!

سحب هو نفسًا قصيرًا من سيجارته تبعه بسعال ثم قال:

- انتي مش قلتيلي وقت ما كنتي بتعملي الماجيستير إنك عاوزة تسجلي رسالة الدكتوراة في الحياة الاجتماعية في عصر محمد علي، هاتغيريها ليه؟

مش عارفة بس الكلام اللي جوه البحث عن مراحل ترميم المخطوط وتاريخه ومحاولة قرايته حسسني بمتعة كبيرة، وبالصدفة المخطوط بيتكلم عن شخص كان مستشار لمحمد علي باشا برغم اسمه الغريب اللي حسب كلام (مجدي) اسمه أقرب للأسماء الأوروبية (vogole mostkin) ، كده كده أنا قدامي وقت أفكر رسالة الدكتوراة هاتكلم فيها عن إيه.

أنهت (نهلة) عبارتها لكنها لم تلحظ أي تأثير على وجه (جابر) الذي نظر بعينيه بعيدًا سارحًا.

- طب تحب أجيب لحضرتك أي حاجة دلوقت؟

- شكرًا يا (نهلة).

غادرت هي بينما نظر هو لباب القاعة وهو يقول لنفسه:

- (حمدي) ومن بعديه (نهلة).. إيه اللي بيحصل؟

خارج المنزل وقف (أليكسندر كولستانتين) تحت إحدى كاميرات المراقبة في بقعة عمياء تعجز الأربع كاميرات مراقبة الموجودة خارج المنزل أن تلتقطها، نظر لباب المنزل وابتسم وهو يقول عبارة بالروسي لكن تخللها اسم (جابر) بالعربية.

***

- والدي (جابر عبد السيد) كان شخصية مهمة جدًا زمان، محدش يعرف صِلاته واصلة لحد فين، ولحد اللحظة دي يقدر بمكالمة واحدة يغير حاجات كتير، أنا ما أعرفش هو واصل لحد فين، لكن فجأة بلاقيه عارف كل الناس وعارف إيه اللي المفروض يتعمل في أي موقف، لما اشتغلت في المباحث الجنائية نبهني لحوادث هاتحصل قدام بيت أبو خطوة، وفعلًا الجثث ظهرت زي ما قلتلك من شوية وشرحتلك موقف كل جثة، ملف

قضيـة بيـت أبـو خطـوة موصـول بتـلات جهـات عُليـا، (مباحـث أمـن الدولة) (الرئاسـة) (الاسـتخبارات الحربيـة)، وكل دول بيصبـوا في إدارة (البحـث الجنائي)، الملف نفسـه متقسـم لجزئـين، جـزء قديـم ممنـوع فتحـه إلا بـإذن مـن التلات جهـات الـلي فاتـوا مجتمعـين أو بـإذن مكتـوب مـن والـدي.

قال (أحمد) مندهشًا:

- إنـت مـش قلـت إن الوالـد ماكانـش ظابـط، إزاي يقـدر يفتـح الملـف ده بالطريقـة الـلي انـت بتتكلـم عليهـا، دا ولا شـغل الأفـلام الأجنبـي.

لثانية تكونت ابتسامة ساخرة على ملامح (سليمان) وهو يقول:

- الحاجـات الأمنيـة في بلدنـا ليهـا طريقيـن، الطريـق الأول الظابـط الـلي يخلصلـك رخصـة مـرور أو يخرجـك مـن القسـم، أو حتـى ظبـاط الرئاسـة وأمـن الدولـة الـلي عندهـم سُـلطة في البلـد يحلـم بيهـا كل واحـد، أمـا الطريـق التاني فـدول النـاس الـلي ورا السـتارة، معندهومـش شـهوة الظهـور والسـلطة التافهة عـلى النـاس العاديـة، لكـن عندهـم شـهوة التحكـم في كل حاجـة مـن غـير ما يبانـوا للعلـن، لا عمـرك هتسـمع أسـاميهم ولا هتشـوفهم، لكنهـم شـايفينك ومسـتمتعين، الفـرق بـين النـاس في الطريـق الأول والطريـق التـاني زي الفرق بـين الممثـل في العـرض المسرحـي الـلي بيطلـع في آخـر العـرض يحيـي النـاس ويسـمع تسـقيفهم بنفسـه وبـين مؤلـف العـرض المسرحـي الـلي بيسـتمتع أكـتر إنـه يقـف في الكواليـس يبـص عـلى وشـوش النـاس علشـان يشـوف تأثير المسرحيـة فيهـم، ويكـرة يظهـر في نهايـة العـرض علشـان مايفسـدش عـلى النـاس اسـتمتاعهم.

- مثال غريب أوي.

- الحقيقـة المثـال ده والـدي هـو الـلي قالهـولي زمـان، والـدي بقـى مـن رجالـة الطريـق التـاني، المهـم، والـدي كان مهتـم جـدًّا بـكل حاجـة تخـص البيـت والـلي حواليـه، وبـدأت أنفـذ كل الـلي طلبـه منـي، باختصـار يـا (أحمد)

حاجـات كتـير حصلتلـك انـت وأصحابـك ممكـن تكـون فاكـر إنهـا صدفـة، لكنهـا مـن تدبـير والـدي.

حاجات زي إيه؟

- قلتلـك حاجـات كتـير أوي، والـدي كأنـه لاعـب عرايـس ماريونـت، بيعشـق تحريـك الأحـداث والأشـخاص، عايـز أقولـك إني أنـا نفسـي واقـع تحـت تأثيره، مـا أعرفـش إيـه الـلي بعملـه في حيـاتي بـإرادتي وإيـه الـلي هـو مدبـره ليـا، الحاجـة الوحيـدة الـلي أنـا واثـق فيهـا إنـه مايعرفـش المقابلـة الـلي بتتـم بينـا دلوقـت.

- إنت لسه مافهمتنيش حاجة.

حرك (سليمان) يده على خصلات شعره مفكرًا:

- مـش كل حاجـة ينفـع أقولهالـك مـرة واحـدة، لكـن هاديـك دليـل يأكدلـك إني معـاك، النهـارده والـدي هايقابـل أصحابـك في بيتـه، كان المفـروض إنـك تبقـى معاهـم.

- يقابلنا؟

- وهايعـرض عليكـم تمويـل البرنامـج بتاعكـم علشـان تكملـوا تصويـر في بيـت أبـو خطـوة.. مـش بـس كـده.. هاتكتشـفوا إنـه شريـك بأسـهم 65% في شركـة الإنتـاج الـلي انتـوا شـغالين فيهـا.

ملامح الصدمة بدأت بالتشكل ببطء على وجه (أحمد) الجامد.

- انـت فاكـر يـا (أحمـد) إنـك لمـا خرّجـت معـدات التصويـر إمبـارح مـن المخـازن إن محـدش كان عـارف! والـدي هـو الـلي طلـب مـن مديـر الشركـة يسـهلك الحكايـة دي مـن غـير مـا تحـس، وعـلى فكـرة هـو ماقالـش أي حاجـة ليـا عـن علاقتـه بشركتـك لكـن أنـا كـمان عملـت تحريـاتي الخاصـة.

أحس (أحمد) بصفعة نفسية على قفاه بعد أن سحب (سليمان) منه شعوره بالتفوق والسيطرة وظهرت الصدمة واضحة على قسمات وجهه هذه المرة.

- الأهم إنكم لازم توافقوا على التمويل، وترجعوا البيت تاني بس باتفاق بيني وبينك.

- وضّح..

- يعني لو انت قعدت النهارده مع والدي وسألك على وجودك معايا هاتقوله زي ما هاتقول لأصحابك، إني استفسرت منك على تفاصيل وجودكم في البيت وبس، لازم التعاون بيني وبينك يفضل سر، أما بقى تفاصيل رجوعكم البيت تاني فأنا وانت هانظبطها مع بعضنا.

أسند (أحمد) مرفقه على حافة المكتب وسند برأسه على يده بعين زائغة تنظر لأركان الغرفة، حاول التجاوب مع (سليمان) لكن تفكيره منجذب لفكرة أنه كان مراقبًا الفترة السابقة وأن بعض أفعاله تمت متابعتها من قبل شخص مجهول، شعور مؤلم أن تعلم أنك قد فقدت اختيارك منذ زمن ولم تعلم بهذا.

- مش هاتحكيلي حاجة تانية؟

قالها (أحمد) بلا مبالاة فانحنى (سليمان) في مقعده للأمام قليلًا وهو يقول:

- الأيام الجاية هاحكيلك كل حاجة، لكن انت لازم ترجع لأصحابك بدري علشان تروحوا لوالدي، مع العلم إني مش هاكون معاكم في القعدة دي.

- وإيه يضمنلك إني مش هاقول لأبوك كل حاجة لما أشوفه.

- أملي إنك عايز تفهم زي ما أنا محتاج أفهم.

- بس انتوا بتلعبوا بيّا.

- وأنا زيك بيتلعب بيا، قطع شطرنج مالناش إرادة، لو الوقت تبقى معايا هنشوف الشطرنج من فوق لأول مرة ونعرف إيه اللي احنا رايحين ناحيته.

- هاسألك آخر سؤال وعلى أساسه هاقولك أنا معاك ولّا لأ.. إنت اخترتني ليه من وسط أصحابي علشان الموضوع ده، وليه أخدتني امبارح من قدام البيت بالطريقة دي؟

عاد (سليمان) ليسترخي على المقعد ونظرات عينيه موجهة مباشرة لعين (أحمد)، لم يرمش (سليمان) لفترة حتى شعر (أحمد) أن الثواني تحولت لدقائق وهما في هذا الوضع حتى قال:

- جبتك إمبارح من قُدّام البيت وخليت الكل يشوف ده علشان اللي يعرف إني جبتك بالعافية، لأني لو تواصلت معاك من وراه ممكن يعرف، عيونه حواليكم وحواليا وكان هايشك وفي نفس الوقت أنا طبعي عنيف وبارد زي الظباط بتوع الأفلام، فشكل اللي عملته ده طبيعي، أما ليه إنت بالذات، فَدَه لأنك أقرب واحد من أصحابك لطبعي، نفس الهدوء، ونفس الحدة، وأنا مش عايز مرشد يشتغل مع الداخلية، أنا عايز ند ليّا نعرف نتعامل مع بعض ويقدر يكتم اللي هايعرفه، تفتكر (راضي) صاحبك ماكانش هايفضحني في ثواني لو طلبت منه يبقى معايا، ولّا (عمرو) اللي خوفه كان هايمنعه من أي قرارات صح، مفيش غيرك.

- طب و(حسام)؟

- (حسام) ماقدرتش أفهمه، اللي بيدور جواه مش دايمًا بيظهر عليه، دا غير إن والدي بيعامله باهتمام خاص، لدرجة إنه عمل لنفسه مايعرفوش قدامي وطلب مني أوصله قريب، وأنا عارف إنه كان مبلّغ ناس تانية تتابعه وتتابعكم من زمان زي ما قلتلك، أنا زيي زيك يا (أحمد) والدي

بيتابعني من غير ما أعرف وبيمثل علينا الجهل وكأني أنا دراعه اليمين، لكن ٩٠٪ من حركاته مالهاش دعوة بيّا، يعني أنا مجرد كارت كوتشينة في وسط لعبة قمار، والكارت عمره ما يكسب ولا يخسر، إنما اللاعب الحقيقي هو والدي.

نهض (أحمد) من مقعده فجأة وهو يقول:

أنا معاك، دلوقت عايز أروح.

نهض (سليمان) هو الآخر:

- مش هاقولك استنى لكن هاكلمك على موبايلك النهارده وابقى ركز مع رقمي دايمًا.

- أنا قلت التليفونات متراقبة.

- والدي لو راقب تليفوناتكم هايلفت ليه الأنظار أكتر من الداخلية، ماتخافش، وأنا هابلغك بأي حاجة تحصل لو فيه مشكلة.

***

فتحت (صفاء) عينيها مفزوعة، أدركت أنها تنام على فراش صغير فنظرت حولها تتأمل المكان، غرفة نوم بأثاث عادي قديم لم تره من قبل، أدركت إدراكًا جديدًا، أنها ترتدي ملابس أخرى غير ملابسها التي تعرفها، جلباب نسائي مزخرف بالألوان متسع على جسدها كأنه لا ينتمي لها، الإدراك الثالث هو ما أفزعها، فمِن خارج الغرفة أتت عشرات الأصوات المختلطة تتحدث بلا معنى لها، أين هي؟

- بابا.

قالت الكلمة وهي تتذكر والدها (عبد الرحمن)، كحبات المسبحة المقطوعة التي تنفرط واحدة وراء الأخرى بسرعة شديدة تداعت ذكرياتها عن منزل (أبو خطوة)، فريق التصوير، معد البرامج (حسام)، اتفاقها

عى دخول المنزل مرة ثانية، ظهور أشباح الموتى، الموتى من عائلتها، دخول والدها المنزل، والدها ليس هو الحقيقي.. توقفت الذكريات فجأة عند تلك الذكرى، اتسعت عيناها برعب وهي تتذكر تفاصيل اللحظات الأخيرة التي جمعتها بوالدها في ذلك المنزل، ظهور الرجل العجوز الأعمى و(جعفر) معه.. (جعفر) وعائلة (الدهان).

تضخمت ذكرى انتسابها لعائلة (الدهان) فجأة في عقلها، انفتح باب الغرفة بسرعة ودخلت امرأة في الثلاثين من عمرها بملابس منزلية مبتسمة، دخلت الغرفة وأغلقت الباب لكنها شهقت فزعًا عندما وجدت (صفاء) مستيقظة، عادت لتضحك ثانية قائلة بفرحة:

- صحيتي يا (صفاء)!! صباح الفل يا حبيبتي.

لم تتحرك (صفاء) واكتفت بالنظرة الخاوية في عينيها للمرآة التي جرت ناحية الفراش وهي تقول:

- أنا (مروة) قريبتك، دا مامتك الله يرحمها كانت بتحبني أوي وأنا صغيرة، كانت بتخليني ألعب بيكي وانتي لسه مولودة.

انكمشت (صفاء) في الفراش أكثر واستسلمت لمروة وهي تحتضنها وتقبلها:

- أنا فين؟

- في بيت جدك يا حبيبتي، دا أهل البلد كلهم برّه قاعدين مع جدك بيباركوا ويهنوا برجوعه ورجوعك انتي و(جعفر)، مش انتوا الاتنين كنتم عايشين معاه في شبرا من ساعة الحادثة؟

النظرة الخاوية في عين (صفاء) تحولت لنظرة استفهام، في نفس اللحظة خفتت الأصوات في الخارج وجاء صوت طرقات على باب الغرفة يتبعه صوت (عبد الفتاح الدهان) يقول:

- أنا داخل يا ولاد.

انفتح ليدخل (عبد الفتاح) وهو يستند لعصا من الأبنوس ويغلق الباب خلفه وهو يقول:

- أنا بعتّ البت (مروة) تدخل تجيب حاجة، طالما اتأخرت يبقى صحيتي يا (صفاء)، صحتيها ليه يا بت يا (مروة).

هرولت (مروة) تمسك بيده تقبلها وهي تقول:

- والله هي اللي صحيت لوحدها يا جدي.

- طب خديني عندها.

أحاط (عبد الفتاح) بذراعه الأيمن كتف (مروة) فسارت هي وهو يسير معها بخطوات ثابتة واثقة حتى وصل إلى الفراش فأجلسته عليه.

- روحي انتي دلوقتي وقوليلهم محدش يدخل علينا، وماتنسيش تحضّري الغدا.

خرجت (مروة) تاركة (صفاء) تتأمله وهو يبتسم لها لكن اتجاه نظره يبتعد عنها، تذكرته جيدًا وتوالت الذكريات عن المنزل وخروجها معه ومع (جعفر) وبكاؤها الذي لم ينقطع حتى دخلوا تلك القرية ونصحها هو بالنوم حتى الصباح، نعم تتذكر أن بعض النساء أخذن بالتربيت عليها وهي تبكي بحرقة حتى نامت.

- (مروة) دي تبقى بنت بنت عمي، من العيال اللي ماخرجوش معايا من البلد يوم الحادثة وربنا نجاهم.

اختفت الابتسامة من على قسمات وجهه وابتلع ريقه وهو يكمل:

- أهل البلد قلتلهم اني أخدتك انتي و(جعفر) وربيتكم في شبرا علشان أبعدكم عن مشاكل العيلة.. طبعًا ماكانش ينفع أقولهم اني كنت معاهم في البلد طول الفترة اللي فاتت وإن كل واحد فيكم اتربى بعيد عني.

- بابا فين؟

- أبوكي اللي خلفك ولّا اللي سرقك مننا.

كادت أن تتكلـم لكنهـا صمتـت، ربمـا لهيبـة (عبـد الفتـاح) دخـل في عـدم قدرتها عـلى مجادلتـه.

- كنتي بتحبيه يا بنتي؟

- ولسة بحبه.

- واضح إنه رباكي كويس.

لم تفهم من نبرة صوته هل يسخر منها أم يتكلم بجدية.

- أنـا ماشـفتش الـلي حصـل امبـارح لأني زي مـا انتي شـايفة أعمـى حاليًا، لكـن مـن الـلي حـكاه (جعفـر) عرفـت إنـه اختفـى فجـأة، انتـي الـلي مفتحـة والمفـروض تكـوني أدرى منـي.

- أنا شُفت لكن مافهمتش.

- الراجـل الـلي سر... الراجـل الـلي ربـاكي اختفـى جـوه البيـت، أمـا الراجـل الـلي خلّفـك يبقـى ابـن أخويـا، (كامـل عبـد الفضيـل الدهـان)، وامـك تبقـى (ليـلى) بنتـي الصغـيرة، (كامـل) أبـوكي اللـه يرحمـه كان مـن ضمـن الرجالـة الـلي ماتـت يـوم الحادثـة، وأمـك ماتـت جـوه بيـت (أبـو خطـوة) جنبيـكي.

- أنا في قرية (أبو النور) دلوقتي؟

- آه.. في البلـد الـلي اتولـدتي فيهـا، وسـط أهلـك، وأنـا جـدك (عبـد الفتـاح)، أنـا مقـدر الـلي انتـي فيـه، بـس قـدري كـمان الـلي أنـا فيـه، حفيـدتي الـلي اتحرمـت منهـا سـنين قاعـدة جنبـي ومـش قـادر أشـوفها ولا حتـى أحضنهـا.

نهضـت (صفـاء) مـن عـلى الفـراش وجلسـت بجانـب جدهـا بتوتـر شـديد قائلـة:

- عينين حضرتك مالها؟

ضحك (عبد الفتاح) وهو يقول:

- تعبانة شوية، هابقى أكشف عليها بعدين.

مدت (صفاء) يدها مترددة وربتت على ظهر جدها فحرك هذا الأخير يده اليسرى في الهواء حتى عثر على رأسها فقربها منه برفق وطبع قُبلة على رأسها، شعرت للحظة بالأمان لكن سرعان ما عاد الخوف لها وهي تقول:

- عايزة أروح بيتي.

أخرج (عبد الفتاح) زفرة طويلة من فمه صمتَ بعدها مفكرًا ثم قال:

- مش هاقولك دا بيتك، لكن هاطلب منك تقعدي معايا كام يوم، اعتبري نفسك بتزوري جدك العجوز اللي عمرك ما شفتيه.

- تعرف اني قضيت ليلة في البيت ده لوحدي من حوالي شهرين علشان كنت عايزة أكتب عنه مقالة.

- عرفت من (جعفر).

- هو هنا؟

- مانامش من امبارح ومستنيكي تصحي من النوم.

- هو يقربلي إيه؟ إوعى يكون أخويا.

ضحك (عبد الفتاح) حتى ارتج جسده وقال والابتسامة لم تغادر وجهه:

- لا.. يبقى ابن خالك.

- طب ومعرفتي بيه كانت صدفة؟

- ودخولك البيت من شهرين يا بنتي كانت صدفة يعني هي كمان.. ما أظنش إن فيه حاجة صدفة في الحكاية دي.

- طب وبابا إيه اللي حصله في البيت امبارح؟

- اصبري والأيام الجاية هانعرف كل حاجة.

- حضرتك قلت إن (جعفر) برّه الأوضة؟

ابسم (عبد الفتاح) فقالت هي مستنكرة:

- هو حضرتك بتضحك ليه؟

- أصل الواد (جعفر) حكالي على كام حاجة كده.

- كام حاجة؟؟؟؟

قالت عبارتها بذهول ظهر في صوتها فقال هو:

- ماتخافيش كده، دا أنا جدك يا بت، أنا هاخرج دلوقت وأمشي الناس الغريبة عقبال ما (مروة) تجيبلك لبسك اللي جيتي بيه بعد ما اتنضف، وتخرجي علشان نتغدى كلنا.

نهض (عبد الفتاح) ونادى على (مروة) بصوتٍ عالٍ رنان أخاف (صفاء) نفسها لكنها تمالكت أعصابها وهي تنظر لباب الغرفة منتظرة بداية أحداث غامضة مستقبلية لتفسير أحداث غامضة ماضية.

***

فيلا (سلميان) لما تكن كبيرة بالمعنى المعروف، ولم تصل لمرحلة الصغر؛ فهي تشبه العديد من الفيلات في ذلك المربع السكني بالرحاب لا تمتاز أو تقل عن البقية، حتى في ديكوراتها الداخلية البسيطة التي اختارتها (هند) زوجته، فكر (سليمان) في زوجته وهو يغادر سيارته التي ركنها بجانب حديقة الفيلا وعقله يفكر في اختيار زوجته لأثاث منزله،

ابتسم لنفسه بسخرية مفكرًا بأنه لم يقم بالكثير من الاختيارات في حياته العملية.

برغم أنه أحب (هند) منذ أن كانت مراهقة في المرحلة الثانوية وبادلته هي أيضًا الحب واستمرا سنوات طويلة في مبادلة المكالمات الهاتفية واللقاءات من وراء العائلتين وخاصة أن والدها صديق والده، لكنه وقبل الزواج اكتشف أن والده ووالدها كانا يعرفان منذ أول لحظة بداية هذا الحب بل ويباركانه.

حتى اللقاءات التي جمعت بينه وبين (هند) كانوا يعلمونها جيدًا، وبمجرد أن طلب هو الزواج منها فوجئ بافتضاح أمره، شعر بأن قدرته على الاختيار سُلِبَت منه فلم يعد يفرق هل أحب (هند) بحق أم أن كل شيء أعده والده ليعتقد هو ذلك.

كان قد وصل في تلك اللحظة إلى باب الفيلا ففتحه بمفتاحه الشخصي ودخل ليجد (هند) مرتدية ملابس المنزل تجلس في بهو الفيلا على الأريكة المواجهة للتلفزيون تشاهد فيلمًا عربيًّا لم يميزه، الحمل يظهر عليها وخاصة أنها في بداية الشهر التاسع واقترب موعد الولادة كثيرًا، تأملها لثوانٍ وفكر كم هي جميلة حتى مع تلك الانتفاخات البسيطة من أثر الحمل في وجهها الذي لا يحتوي على أي مساحيق تجميل، حتى مع شعرها الأسود الذي لفَّته في شكل (كحكة) كما يطلق عليه العامة مازال وجهها جميلًا، نظرت له نظرة بلا معنى وعادت للنظر لشاشة التلفزيون.

- الولاد نايمين ولّا إيه؟

- اتغدينا وطلعوا فوق في أوضهم بيذاكروا، عايزهم في حاجة؟

قالت عبارتها بفتور ومازال نظرها للأمام، لكنه تقدم ليصعد سلم الفيلا قائلًا:

- لا مفيش، خلي (سلمى) الشغالة تعملي أي أكل سريع عقبال ما أريح في أوضتي.

- هاتنام؟

- آه.

أكمل هو صعوده حتى وصل للطابق الثاني من الفيلا ودخل لغرفة نوم مغلقًا الباب خلفه، فكر في تغيير ملابسه لكنه تذكر شيئًا آخر، أخرج حافظة نقوده من سرواله وفتحها يبحث بين أوراقه الشخصية بها حتى أخرج من وسطها بضعة صور فوتوجرافية لصفاء، بعض الصور حملت أجزاء من أختام رسمية كأن تلك الصور قد اقتطعت من ملفات رسمية، كانت صورًا تمثلها في مراحل مختلفة من عمرها منذ المراهقة إلى النضج، رص الصور على طرف الفراش وعقد يديه أمام صدره يتأمل ملامح (صفاء) في كل صورة.

انفتح باب غرفة النوم فجأة ودخلت (هند) بتعب تنظر للصور على الفراش التي جمعها هو بحركة سريعة في ثانية واحدة:

- ما تخبيش الصور، أنا شُفتها قبل كده.

أدخل (سليمان) الصور في حافظة نقوده بسرعة وهو يقول مستنكرًا:

- أخبي إيه انتي مجنونة.

صرخت فجأة فيه:

- بقولك شوفتها خلاص.

نهض جريًا ليغلق باب الغرفة وهي تكمل بنفس الصوت العال:

- خايف ولادك يسمعوك.

- وطي صوتك.

قالهـا بنـبرة حـادة وعينـاه متسـعتان غضبًـا، رفعـت هـي يدهـا اليمنى ليجـد أنها تحمـل صـورة شـخصية لصفـاء، وضعـت الصـورة أمـام عينيـه قائلة:

- العيلة دي هي اللي مغيراك معايا من زمان.

حاول خطف الصورة منها لكنها أبعدتها وهي تلكزه في كتفه وتصرخ:

- كل يـوم بشـوفك بتتسـحب مـن جنبـي عـلى السريـر وتفتـح محفظتـك وتتفـرج عـلى صورهـا.

سالت دمعة فجأة من عينيها فبكت وهي تكمل بصوت أقل حدة:

- في كل حتـة في البيـت بتقعـد تتفـرج عـلى صورهـا، لحـد مـا امبـارح عرفـت انـت بتبـص لصـور مـين.

- إنتي فتشتي هدومي يا (هند).

- كـمان عايـز تغلطنـي، أنـا مـش قـادرة أسـتحملك.. إنـت مابتفهمـش.. غبـي.

- إنتي اللي غبية.. دي واحدة براقبها.

- أومـال ليـه بتدمـع وانـت بتبصلهـا، أنـا مـش هاكمـل معـاك، إنـت أوسـخ وا...

وضـع يـده عـلى فمهـا مذهـولًا فلـم تقاومـه هـي مـن وسـط دموعهـا، أخـذ نفسًـا عميقًـا وقـال:

- كفايـة كلام لحـد هنـا، مـش هاقبـل تهيننيـي أكـتر مـن كـده ومـش هاقـدر أهينـك.. أنـا هامـشي وأسـيبك ترتاحـي في بيتـك.

أزاحت يده وقالت:

- أنا عايزة أتطلق وحالًا.

نظر لها بغضب ثم فتح باب الغرفة وغادرها وهي تبكي بحرقة أكثر.

***

أمام منزل (أبو خطوة) لم تكن هناك مبانٍ بل أرض فضاء، لكن العديد من العمارات بنيت بعد تلك المنطقة بمسافة قريبة، في إحدى تلك العمارات بالتحديد داخل أطول عمارة في المنطقة وداخل شقة في الطابق الأخير جلس رجل بجانب نافذة على مقعد خشبي وأمامه تلسكوب أرضي مقرب بسيط وضع على قاعدة بلاستيكية.

التلسكوب والرجل لا يظهران لأي عمارة أخرى قريبة بسبب ارتفاع الشقة عن بقية العمارات وبسبب معامل انكسار الضوء فقد جلس الرجل والتلسكوب أمامه في زاوية بعيدة عن النافذة لا تسمح لأحد برؤيتهم وفي نفس الوقت تعطيه رؤية واضحة لمنزل (أبو خطوة)، كان الرجل يمسك كوب شاي تتصاعد الأبخرة منه وهو يرتشف منه باستمتاع.

على بُعد بضعة أمتار جلس رجل آخر على مقعد ضخم يشاهد تلفزيون صغير يعرض أغاني مصورة، قال الرجل بجانب النافذة:

- تفتكر حاجة تاني هاتحصل في البيت بعد اللي حصل امبارح؟

- الله أعلم، ولو اني حاسس إن ماحدش هايدخله اليومين دول تاني والدنيا هاترجع رايقة.

رشف الرجل رشفة أخرى من كوب الشاي ونظر نظرة خاطفة ناحية المنزل، عاد للنظر ثانية بسرعة بعدما وجد شيئًا غريبًا، وضع كوب الشاي على الأرض بجانبه ووضع عينيه في التلسكوب وهو يقول:

- إلحق.. دا فيه حركة بتحصل في البيت، اكتب عندك في النوتة تاريخ النهارده والساعة، إيه ده؟ باب البيت بيتفتح، فيه شاب في العشرينات بيخرج منه، بيبص حواليه و...

- وإيه؟؟ مالك؟

- بيبص عليا.. عينه ما بتتحركش كأنه شايفني.

ترك الرجل التلسكوب مفزوعًا وابتعد عن النافذة وهو ينظر للرجل الآخر الذي نهض هو الآخر ونظر في التلسكوب وقال:

ماحدش واقف قصاد البيت، تفتكر نبلغ اللي انت شُفته دلوقت ولا نستنى ونسلم التقرير بالليل.

- أنا بقول نكتب اللي حصل ونبلغ (جابر) باشا بالليل عادي، يمكن تحصل حاجة تانية باقي اليوم، ويمكن أكون اتخيلت.

***

- تفتكر (جابر) ده علاقته إيه بالبيت؟

قلت عبارتي وأنا أشتم رائحة سجائر (راضي) الذي مازال جالسًا أمام شاشة الكمبيوتر لكنه هذه المرة يطالع ملفًا غريبًا، فالشاشة بالكامل ممتلئة برقميّ (1) و(0) بتتابعات مختلفة وهو ينظر لها بدقة وينفث دخان سيجارته، ذلك الدخان الذي بدأ يضايقني فعلًا.

ربما الذي ضايقني أكثر هو تجاهل (راضي) لكلماتي وانشغاله بتلك الأرقام، حتى جملتي السابقة قلتها ليتحدث معي لكنه على هذا الحال منذ ساعتين، بعد ذهاب (عمرو) لمحاولة أخيرة باحثًا عن مكان تواجد (أحمد) وقبل أن نذهب لمقابلة (جابر).

- طب (صفاء) بعد ما طلعت من عيلة (الدهان) تفتكر هانقدر نروحلها في قرية (أبو النور) دي ونفهم منها اللي بيحصل؟

لم ينتبه لكلامي وظل ينظر للأرقام كما هو ويظلل بضعة أرقام بجانب بعضها ويقصها من موضعها ليضيفها في موضع جديد، نهضت بتثاقل وذهبت لمكتبي الصغير في طرف الغرفة وفتحت الدرج الجانبي قائلًا بصوت تصنعت فيه الاندهاش:

- الحشيش ده بتاعك يا (راضي)؟

نظر هو ملهوفًا ورده يأتيني أسرع من الضوء:

- أكيد بتاعي.. هو فين يا (حسام)؟

- قولك فين وماتزعلش.. ما انت فايق أهو.

اقتربت منه وخيبة الأمل تزين وجهه وهو يتمتم بكلمات لم أسمعها:

- ماتسبنيش أكلم نفسي كده يالا، بطّل الهبل اللي بتعمله وركز معايا في موضوع البيت.

قالها عند وصولي لشاشة الكمبيوتر فأطفأ سيجارته في المطفأة بجانبه وأشار للشاشة قائلًا:

- يا ابني ما أنا باشتغل على الفيديو اللي جابتهولك (صفاء) من يومين، الفيديو اللي هي صورته لما كانت جوه البيت لوحدها والهوا متأيّن فيه برضه بس بطريقة مختلفة.

- متأين يعني الهوا بقى مكهرب صح؟

- حاجة زي كده..

- أومال فين الفيديو ده، أنا شايفك عمال تلعب سودوكو باين.

- أنا باستخدم هندسة عكسية على الفيديو علشان أصلح اللقطات اللي مش عارفين نشوفها فيه.

- طب وده وقته يا تافه.

- ممكن الفيديو يدينا إجابة لأن اللي حصل فيه شبه اللي حصل امبارح، يبقى لازم أعرف بقية المقاطع المختفية.

كلامه منطقي جدًا، تنحنحت محرجًا وقلت ململمًا شتات نفسي:

- طب فين المقاطع المحذوفة دي.

- مقاطع محذوفة إيه هو أنا بوريك فيديوهات ساخنة، لسه فيه شغل كتير.. بس استنى أوريك كام ثانية ممكن يكونوا جم.

عاد للعمل على الأرقام وهو ينقل بضعة أرقام ويرصها في ملف جديد ثم يشغل هذا الملف على طريقة عرض الفيديو، فعلًا ظهر مقطع فيديو فجأة بدقة أقل، مدة المقطع عشرون ثانية وهو يعرض صورة لصالة المنزل من على الأرض، العجيب أن الغرفة التي على يمين الصالة مفتوحة ويأتي منها بخار كما شاهدها من قبل، جاء صوت من داخل الغرفة لاثنين يتحدثان، لكن الصوت غير واضح، خرج شابان من الغرفة شعرت أنني أعرفهما، الإضاءة لما تظهرهما جيدًا، مازالا يتحدثان لكن فجأة أصبح صوت أحدهما ظاهرًا وسمعت عبارة (دي مغمى عليها، تعالى نفوقها)، أما الثاني فأشار للكاميرا كأنه يراها وقال (كاميرا صفاء بتسجل دلوقت.. هو ده المقطع).. الشاب الثاني اقترب من الكاميرا أكثر وبدأت ملامحه تظهر.. لحظة، هذه الملامح رأيتها من قبل، رأيتها في المرآة.. إنها ملامحي أنا، هذا الشاب هو أنا وقد رأيت نفسي أقترب أكثر من الكاميرا وأنا أقول (جعفر دلوقت بيتحرك، الحق فـ) انقطعت العبارة عند حرف الفاء وتوقف الكادر فجأة.

نظرت لراضي لأراه ينظر لي ثم ينظر للشاشة التي أصبح وجهي يملأها.

- إيه الهبل ده؟!

قلتها غير مصدق رافعًا حاجبي الأيسر.

- إنت عامل مقلب فيَّا؟

قال (راضي) تلك العبارة مستنكرًا وهو مازال ينظر لوجهي ولشاشة الكومبيوتر، ما هذا الهراء، أنا لا أتذكر أنني قلت هذا الكلام ولا بوجودي في ذلك المنزل.

أخرج (راضي) سيجارة بسرعة ودسها في فمها وهو يشعلها بعود الثقاب ويحرك نظره مرة أخرى بيني وبين الشاشة فصرخت فيه:

- كفاية بَص في وشي يا أخي، إنت لعبت في الفيديو يا (راضي) علشان تهزر؟

- والله أبدًا.. أنا لسه حالًا شايف المقطع ده معاك، أنا اللي المفروض اقولك إنك بتهزر، مش دا الفيديو بتاع (صفاء)؟، إيه اللي جابك فيه؟

ضغط هو على زر إعادة تشغيل المقطع فراقبته ثانية، نعم هذا صوتي، صرخت في (راضي) أن يوقف المقطع فأوقفه

- الصوت التاني ده مابيفكركش بصوت؟

- لا مش مركز.

- دا صوتك؟

اتسعت عين (راضي) حتى ملأت نصف وجهه وهو يتأمل الشخص الثاني الذي وقف بعيدًا عن عدسة الكاميرا، نعم هو (راضي) هيئته الجسدية وصوته.

رن هاتفي المحمول فقفزت من المفاجأة وانتفض (راضي) هو الآخر، التقطت أنفاسي ونظرت لشاشة الهاتف لأجد اسم صديقي المخبول الذي يذكّرني براضي يطالعني على الشاشة، ضغطت زر الرد ووضعت الهاتف على أذني وأنا أقول بتعجل:

- مش وقتك خالص يا (فرغلي) أنا مش فايق لـ..

أتاني صوت (فرغلي المستكاوي) من الطرف الآخر للمكالمة بصوت لاهث وهو يقول والصوت يتقطع:

- الحلم .... با...... بيـ..قق .... صاحبك .... ألو.

- يا ابني مش سامع حاجة.

- طب كده سامعني؟

- آه.

سمعت صوت غير مفهوم ثم صوت (فرغلي) كأنه يتحدث مع شخص آخر ويقول:

- لا والله عيب تدفع إيه، دا معرفة الرجال كنوز.

ما الذي يقوله هذا الغبي هو الآخر، صوته يأتيني وهو يتعازم مع شخص آخر على دفع أجرة ميكروباص، لا وقت عندي لهذا الغباء، أغلقت الهاتف في وجهه ونظرت لراضي.

- عايزين نتفق على اتفاق.

قالها (راضي) وهو يأكل سيجارته أكلًا وعيناه متسعتان كما هما منذ قليل.

- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- لو حد فينا بيهزر مع التاني يقول دلوقت.

رن جرس هاتفي ثانية.. (فرغلي) ثانية يثير أعصابي، ضغطت زر رفض الاتصال ونظرت لراضي مفكرًا، لماذا أستبعد حدوث شيء غير مفهوم هذه الأيام بعدما رأيت منزلًا مسكونًا بالأشباح بالأمس!، أعتقد أنه من الأسلم أن أتعامل بحكمة مع هذا الموقف حتى تتضح الصورة.

- اسمع يا (راضي)، محدش فينا يجيب سيرة اللي شفناه لحد ما أقولك.

- هو كل يوم سر هانخبيه عن الفريق يا أسطى.

- بلا أسطى بلا زفت، إنت تكمل شغل على الفيديو...

قطعت عبارتي وباب الغرفة يفتح ويدخل (عمرو) ووراءه (أحمد عصفور)، جريت عليه أصافحه في نفس اللحظة التي أغلق فيها (راضي) الفيديو.

- (عمرو) عرف يوصلك أخيرًا، الحمد لله.

قلتها وأنا أربت على كتفه فقال (عمرو) بسرعة.

لا خالص دا اتصل بيا من لص ساعة وهو اللي قابلني برّه الشركة.

صافحه (راضي) بحرارة شديدة حتى إن طرف سيجارته المشتعل احتك بيد (أحمد) الذي صرخ من لسعة النار.

- كنت فين من امبارح يا (أحمد)؟

- الظابط اللي أخدني إمبارح من قُدّام البيت استجوبني شوية عن سبب دخولنا البيت، هاحكيلكم بعدين، المهم إيه اللي حصل في غيابي!

أشار (راضي) لكاميرا تصوير في طرف الغرفة وقال:

- أنا عرفت أنقل شريط الكاميرا للكمبيوتر عندي لكن مش هاعرف أعمل مونتاج إلا في غرفة البث بتاعة القناة، وبقية معدات التصوير خبيتها في الميكروباص بتاع قريبي.

قلت أنا بسرعة:

- إحنا ماعرفناش نعمل إيه بمعدات التصوير اللي انت خرّجتها من المخازن، ربنا يستر والإدارة ماتكونش لاحظت.

ظل وجهه صارمًا وهو يهز رأسه متفهمًا فقلت:

- طب انت هاترجّع المعدات إمتى؟

- سيبك من المعدات دلوقت ماتخافش، قولي بس حصل إيه؟

- تسمع عن (جابر عبد السيد).

أطرق رأسه مفكرًا لفترة كأنه يبحث عن إجابة ثم هز رأسه نافيًا، شعرت أنه اصطنع ما فعل لكنني قمت بشرح موضوع المقابلة له وهو ينصت بنفس برودة ملامحه.

***

وقـف (جابـر) في حجـرة مكتبـه أمـام أحـد الدواليـب، لقـد حـرص في بداية تصميمـه لهـذا المنزل أن يمـلأ مكتبـه بالعديـد مـن الدواليـب الخشـبية المزروعـة في الحوائـط، وكلها مغلقـة بشـكل جيـد يمنـع المتطفلـين مـن التلصـص عـلى محتوياتهـا بـدون أذنـه، وهـا هـو يقـف أمـام أحـد الدواليـب وقـد فتحـه متأملًا لـوح الكتابـة القديـم الـذي مـا زال يحتفـظ بـه في شـبابه، اللـوح الـذي يمتلـئ بعـض جوانبـه بالمعـادلات وبجانـب آخـر خـط طويـل يخـرج منـه خطـوط تسـير نصـف دائـرة وفـوق تلـك الخطـوط كتبـت أرقـام عديـدة.

رن هاتفـه المحمـول فالتقطـه مـن عـلى المكتـب بعدمـا أغلـق الـدولاب وأجـاب عـلى (سـليمان) سـأله عـن سـبب اختفائـه منـذ بدايـة اليـوم فلـم تعجبـه ردود ولـده، شـعر أنـه حزيـن، طلـب أن يمـر عليـه بعـد أن ينتهـي مـن عملـه، قبـل أن يغلـق المكالمـة دخلـت عليـه (نهلـة) وهـي تقـول:

- فيه ناس واقفة برّه باب البيت وعمالين يخبطوا على الباب!!

فجـأة رن جهـاز البوابـة الـذي يحملـه في جيبـه فعلـم أن مـن يقـف خـارج المنـزل يضغـط زر المحادثـة المعلـق بجانـب البوابـة، فتـح صـوت الجهـاز فسـمع أصـوات متداخلـة ميَّـز منهـا عبـارات (حاسـب انـت التاكـسي وأنـا الـلي هاكلمـه.. طـب شـكل البتـاع ده مـش شـغال.. خبـط يـا (عمـرو) تـاني.. ألـو يالـلي جـوه)، ابتسـم وضغـط زر فتـح البوابـة الكهـربي وقـال لنهلـة:

- خـلي أسـتاذ (فكـري) يجيـي مـن قاعـة الضيـوف للمكتـب هنـا، وخـلي أي بنـت مـن الـلي شـغالين معـاكي النهـارده يجيبـوا النـاس دول مـن الجنينـة لحـد المكتـب.

***

دخلـت بعـض الفيـلات والمنـازل الفارهـة بحكـم عمـلي في إعـداد البرامـج، لكـن منـزل هـذا المدعـو (جابـر عبـد السـيد) شيء آخـر، لم تقـع عينـي قـط على شيء بهـذا الجـمال، في الواقـع لم أسـتخدم كلمـة جـمال مـن قبـل في وصـف

مبنى، ربما وصفته بالمبهر أو الغالي، لكن هذا المنزل هو عالم آخر غير عالمنا البذيء.

بعيدًا عن تأخرنا عن موعدنا مع (جابر) بسبب أننا مررنا بسيارة الأجرة أمام المنزل أكثر من مرة وقد شككنا فيه لكن مظهره الخارجي أجبرنا على الاعتقاد أننا نمر أمام متحف أو مبنى أثري في البداية، وهذا ما يعيدني لسؤال تردد في ذهني لحظة تخطينا البوابة الخارجية أنا و(عمرو) و(راضي) و(أحمد): لماذا يطلق (جابر) على هذا المكان لفظة (منزل)؟ كيف يطلب مني المرور عليه في منزله ولم يقل القصر أو السرايا أو حتى الجنة!

لم أخفِ انبهاري ونحن نسير وسط حشائش الأرض وجميعنا يتأمل الأشجار على الجوانب والنباتات الملونة التي لم أعرفها بالمناسبة لكنني خمنت أنها أزهار من التي أسمع أسماءها العجيبة والتي لا أعلم من أطلق عليها تلك الأسماء المضحكة، هذه الزهرة القرمزية ربما أسموها (بلبل النيل) وهذه الزهرة البنية ربما أطلقوا عليها (عصفور الحشيش) أو (وردة القرعة)، وهذه الأشجار القصيرة الملتفة حول نفسها بالتأكيد يسمونها (السمكة الحيرانة)، لا يهم ما تحويه تلك الأسماء المهم أنها وضعت بشكل بديع يجذب إليها النظر فتفقد متعة النظر ببقية الأشياء، وخاصة زهرة (بلبل النيل) هي أكثرهم جذبًا.

أما تلك البوابة الخشبية الضخمة المزخرفة داخل الحديقة فقد انفتح منها باب صغير بطول الشخص الطبيعي وخرجت منه فتاة حسناء ملامح الجدية على وجهها أشارت لنا بدخول البوابة وهي تقول بصوتٍ خالي من المشاعر:

- «دكتور (جابر) مستنيكم جوه قاعة المكتب»

قاعـة المكتـب، مـن ذا الـذي يسـتخدم لفـظ قاعـة في وصـف مكتـب، لم أسـمع لفظـة قاعـة مقترنـة بكلمـة مـا بعدهـا إلا لوصـف قاعـة الأفـراح في الفنـادق.

تخطينـا البوابـة والفتـاة تتمـشى أمامنـا كعسـكري المرور أو كلاعـب كـمال الأجسـام الـذي يسـير في الشـارع ببـطء وثقـة شـديدة متوعـدًا أي رجـل يقـترب منـه بـأكل أذنـه.

المشـكلة أن الممـرات التـي سرنـا بهـا هـي أيضًـا احتـوت عـلى الكثـير مـن النقـوش عـلى الحوائـط التـي لم أرَ مثيـلًا لهـا، هـذا الرجـل يمتلـك الكثـير مـن المـال بحـق.. بضـع ثـوانٍ ووجدنـا أنفسـنا في أرض فسـيحة وسـطها نافـورة حولهـا مزروعـات والكثـير مـن زهـور (عصفـور الحشـيش)، أمـا حولنـا فتراصـت العديـد مـن المبـاني غريبـة الطابـع التـي ذكرتنـي بوكالـة (الغـوري) بمنطقـة (الحسـين)، تشـبهها لكنهـا ليسـت هـي، مبـانٍ مزخرفـة بالأخشـاب التـي بـرزت عليهـا نقـوش الأرابيسـك إن كان تخمينـي صحيحًـا، والعديـد مـن المشربيـات في الطوابـق الأعـلى تطـل علينـا.

صـوت خريـر المـاء في النافـورة ولَّـد داخـلي احسـاس باحتياجـي للذهـاب للحـمام حـالًا.. لكننـي تحاملـت عـلى نفـسي وعينـي تـزوغ عـلى كل شيء حـولي، أشـارت لنـا الفتـاة للدخـول في إحـدى تلـك الغرفـة الجانبيـة فدخلنـا.. وعرفـت حينهـا لمـا سـميت باسـم قاعـة، فقاعـات الأفـراح التـي أعرفهـا أقـل حجـمًا مـن تلـك القاعـة.

في بدايـة دخـولي أنـا وبقيـة أصدقـائي انشـغلنا بتأمـل سـقف القاعـة والـذي هـو بارتفـاع ثلاثـة طوابـق عـلى أقـل تقديـر وعـلى شـكل قبـة كقبـاب المساجد الضخمـة، مكتـب بقبـة بهـذه الضخامـة لم يكـن ليسـهل عـليّ اسـتقباله، أمـا قاعـة المكتـب هـذه فامتـلأت بأطقـم جلـوس عليهـا زخـارف الصـدف الأبيـض

ونعشيقات الخشب وأمامها سجاجيد تغوص بها الأقدام حتى الركب.
فنت من (راضي) عبارة غريبة وهو يتأمل السقف:

- بسم الله ما شاء الله، دا فيه شغل أوبهة في السقف.

كلنا كنا في حالة انبهار إلا أنني وعندما وقعت عيني على (أحمد) لم أجده ينظر للقاعة مثلنا، بل ينظر إلى نهاية القاعة بثبات وبنظرته الباردة التي رأيتها منذ ساعة.

نظرت لموضع نظره لأجد رجلًا عجوزًا يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا بدلة بنية يقف خلف مكتب على نفس طراز القاعة وينظر هو الآخر لأحمد مضيقًا عينيه، وجه الرجل من النوع المألوف الذي يذكرنا بجدودنا. جسده الطويل منحني قليلًا للأمام وبرغم الامتلاء البسيط لبطنه وبعض أجزاء جسده إلا أنني أعتقد أنه تعود في شبابه أن يكون جسده متناسقًا. أما وجهه الممتلئ قليلًا بلحيته البيضاء وشاربه البسيط مع شعر رأسه الأبيض حول تلك الصلعة فقد أعطته مظهرًا يجمع بين الحكمة والألفة. كما قلت سابقًا يشعر من يراه أنه شاهده من قبل، فيمن بلغ من أقربائه أرذل العمر، أو حتى في الأفلام العالمية، تجاعيد وجهه الأبيض أضافت عليه هيبة واحترام نظرت بها لجدي قديمًا، هذا الوجه ربما كان وسيمًا في الماضي لكنه الآن نسخة من كل العجائز في العالم.. أما صوته الرخيم فقد أكمل تلك الهيئة لأنه مستحيل أن يخرج إلا هذا الصوت من ذلك الوجه وهو يقول:

- أنا (جابر عبد السيد).

ثم أشار لرجل يقف أمام المكتب في الأربعينيات وسيم ذي شعر أسود ربما يصبغه أو لا لكنه لا يتناسب مع عمره، يرتدي بدلة غالية الثمن وينظر لنا نظرة حادة، قال (جابر) وهو مازال يشير إليه بحركة مسرحية:

- وده الأستاذ (أحمد فكري) مدير شركة الإنتاج اللي انتوا شغالين فيها.

نظرا صحيحًا بذهولٍ لأحمد فكري ماعدا (أحمد) الذي ثبت نظرته البارده على وجهه وكأنه كان يتوقع وجود هذا الرجل، برغم أنني لم أره من قبل على عكس (أحمد) الذي يعرفه بالتأكيد لكن هل علم أنه سيكون هنا!!

اتفضلوا ارتاحوا.

قالها وهو يشير لمجموعة من المقاعد أمام المكتب رصت في شكل صفين مقابلين لبعضهما، المقاعد نفسها كأنها خرجت من إحدى المسلسلات التاريخية لعصر (صلاح الدين الأيوبي).

جلسنا متراصين بجانب بعضنا البعض على صفٌ واحدٍ وعلى الصف المقابل جلس (أحمد فكري).

ممكن تشرفوني بأسمالكم؟

(راضي) هو اختار الجلوس بجانبي وهو أول من نطق باسمه ومهنته.

(راضي) مهندس ومونتير واحتمال أبقى مذيع أو أي حاجة.

أما بقيتنا فعرفنا أنفسنا بطريقة عادية فهز (جابر) رأسه بابتسامة دبلوماسية وقال:

أنا شريك الأستاذ (فكري) في الشركة اللي انتوا شغالين فيها.. وممكن تكونوا شوفتوني إمبارح قُدّام بيت (أبو خطوة) اللي كنتوا عايزين تصوروا جواه حلقة في برنامج الرعب بتاعكم.

شعرت أن هناك اتهامًا من نوع ما فأسرعت بالقول:

على فكرة إحنا كنا عايزين نعمل برنامج بس الإدارة هي اللي رفضت.

أكد (راضي) على كلامي وهو يشير ناحيتي ويقول:

كلامه صح.

هاكملت:

والبرنامج لو كان كمل للآخر والله هايكسر الدنيا.

كلامه صح.

. وحضراتكم أنا المسئول عن البرنامج فلو فيه أي عقوبة أنا متحملها.

. كلامه صح أوي.

نظرت لـراضي مندهشًـا بينـما (أحمـد) و(عمـرو) يتكلـمان في نفـس الوقـت عـن أننـا جميعًـا متحملـين مسـئولية مـا حـدث أمـس، علـت أصواتنـا حتـى قطعهـا (أحمـد فكـري) وهـو يتكلـم بطريقـة فهمـت أنهـا طبيعتـه، يلـوّح بيـده كثـيرًا ويتحـرك في مقعـده مغـيّرًا أوضـاع جلسـته حتـى أثنـاء الحديـث وهـو يقـول:

- اسـمعوا.. ماتخافـوش مـن حاجـة، بالعكـس أنـا شـايفكم عيـال مجـدع وجبتـوا الناهيـة بتاعـة الحـوار ده، كفايـة تعبكـم علشـان تعملـوا حلمكـم، اللـه ينـوّر عليكـوا يـا رجالـة، مـش كـده برضـو يـا دكتـور (جابـر).

وكأن الصـوت والكلـمات غـير متوافقـة مـع الصـورة، (أحمـد فكـري) هـذا طبعـه غريـب في اختيـار الكلـمات والتعبـيرات، عـلى عكـس (جابـر) الـذي نظـر في ساعته ثـم قـال بهـدوءٍ:

- أنـا كنـت شـاب زيكـم ومتفهـم لحماسـكم، علشـان كـده اتفقـت مـع (فكـري) إنكـم تكملـوا البرنامـج بتاعكـم عـلى مسـئوليتي وبالتمويـل الـلي يريحكـم.

نظـرت لـراضي لأجـده مذهـولًا، أمـا (عمـرو) فقـد ظهـرت الفرحـة جليـة عـلى وجهـه، توجهـت بنظـرتي لأحمـد لأجـده ينظـر نظـرات سريعـة حولـه بـدون سـبب.

- إيه رأيكم يكون اسم البرنامج (عفاريت وأرواح).

قال (أحمد فكري) عبارته السابقة بانفعالٍ شديدٍ وابتسامة واسعة لا تتناسب مع انفعاله، نظر (جابر) مرة ثانية لساعته ثم قال وهو يشعل سيجارة سحبها من علبة سجائر على المكتب:

- أنا رأيي طالما أول حلقة بتصوروها في منطقة الحادثة وعند طريق جهنم يبقى ممكن اسم البرنامج يكون (ليلة في جهنم).. إيه رأيكم؟

الاسم جميل لا أنكر ذلك، وأيضًا لا أنكر أن (أحمد فكري) هذا لا يتحكم بشيء في شركة الإنتاج، صاحب القوة المطلقة في هذه الشركة هو (جابر) و(أحمد فكري) يجلس معنا واجهة لا أكثر، وحتى لا أعرف سبب اختياره كواجهة.

- والله فكرة يا دكتور (جابر)، اسم عالي مووووت، أنا اشتريت.

قالها (أحمد فكري) محرجًا بينما قال (راضي) وهو يشير بيده لجابر:

- حضرتك دكتور؟

- آه.

- طب ممكن أدخن عادي.

لم يفهم (جابر) سؤاله في البداية لكنه أخرج سيجارة من علبة سجائره ومدّ يده بها لراضي الذي نهض وهو يخرج علبة سجائره من جيبه يمدها ناحية (جابر) وهو ويقول:

- دا واجب علينا يا دكتور، خدلك سيجارة L.m تنضفلك صدرك بدل الكيلوباترا اللي بتشربها.

نظر له (جابر) نظرة بلا معنى وكأنه لم يفهم تصرفه وكلماته، جريت أجذبه أنا من ملابسه لأعيده بجانبي محاولًا تلطيف الجو

- معلش يا دكتور بس أصل (راضي) لما بيهزر دمه بيبقى تقيل.

- أنا بتكلم بجد، الراجل دكتور وعارف إن الكيلوباترا خطر على الرئة.

ابتسم (جابر) وهو يقول:

- أنا مش دكتور طبيب يا (راضي).. دكتور في الفيزيا النظرية، تقدر تقول مهندس زميلك.

- العفو يا دكتور.

أشعل (راضي) سيجارته، وفي نفس الوقت دخلت من باب القاعة فتاة في العشرينيات من العمر، تعقص شعرها الأسود بشكل ذيل الحصان، وجهها خالٍ من مساحيق التجميل لكنه جميل، هذا الجمال المريح الذي يحمل علامة معينة بالوجه تذكرك به، كانت ترتدي ملابس عادية فرجحت بعقلي أنها لا تعمل بالمنزل، لأن الفتاة التي استقبلتنا بالخارج ارتدت ما يشبه زيًا رسميًا لفتاة، اقتربت حتى وقفت بالقرب منا، فجأة سمعت صوت سعال (راضي)، نظرت له لأجد الدخان يتطاير من فمه ووجه أقرب للون الطماطم و(جابر) يقول في نفس اللحظة:

- دي أستاذة (نهلة)، اللي ماسكة شئون بيتي وشغلي، أقرب لمديرة الأعمال والسيكرتيرة والابنة ليا، جاية ليكم بنفسها علشان تعرف هاتشربوا إيه.

لم يتوقف (راضي) عن السعال ووجهه يحمر أكثر حتى إن (نهلة) جرت على مكتب (جابر) الذي وضع عليه كوب ماء مملتئًا لنصفه، أخذته وأعطته لراضي الذي ابتلعه كله على دفعة واحدة وهو ينظر لنهلة بعين متسعة، حضرني للحظة خاطر مضحك عن موت (راضي) فجأة بلا مقدمات وهو يسعل، ستكون أعنف أنواع الموت وأكثرها خفة دم.

هـدأ السـعال ولكـن نظـرات (راضي) لنهلـة لم تهـدأ بنفـس عينـه المتسعة وتعبـيرات وجهـه التـي أصبحـت متلهفـة وهـو يتابعهـا عندمـا أخـذت كـوب المـاء الفـارغ منـه ووقفـت بعيـدًا عنـا بقليـل تلقـي عليـه نظـرات جانبيـة بدهشـة.

- سلامتك يا باشمهندس، هو حد بيجيب في سيرتك ولّا إيه.

قالها (جابر) فتمتم (راضي) ببضعة كلمات بلا معنى ثم قال:

- أنا اسمي (راضي) وهاشرب أي حاجة ساقعة.

بـدأت أشـك فيـه، هـل يحـاول أن يشـاغل تلـك الفتـاة؟ عـلى كلٍّ بقيتنا طلبـوا مشروبـات مختلفـة وهـذا المجنـون مـازال ينظـر لنهلـة بـلا توقـف حتى بـدأت هـي في الحـرج وهـي تتحـاشى النظـر لـه بعدمـا اسـتمعت لطلباتنا وانصرفـت.

- فيه حاجة يا باشمهندس (راضي)؟

قالها (جابر) وهو يشعل سيجارته وينفث دخانها الغزير في الهواء.

- لا مفيـش يـا باشـا، أصـل أسـتاذة (نهلـة) شَـبه واحـدة قريبتـي بالظبـط، افتكرتهـا هـي في الأول.

- طـب نرجـع للشـغل، انتـوا إيـه فكركـم عـن برنامـج الرعـب ده، يعنـي إيـه الخطـوط العريضـة؟

نظر أصدقائي لي فتطوعت بالكلام:

- البرنامـج فكرتـه إننـا نصـور كل حلقـة حـدث غريـب وناخـد آراء النـاس فيـه، وكـدة ممكـن نبـدأ بعـمارة رشـدي الـلي في...»

قاطعني (جابر) بطريقة مهذبة:

- آسـف يـا يـا بنـي عـلى مقاطعتـك، بـس انتـوا ماخلصتـوش الحلقـة الأولى

من برنامجكم، لازم ترجعوا تكملوا تصوير، مش انتوا صورتوا اللي حصل امبارح؟

هززنا رؤسنا بالموافقة فأكمل:

- خلاص يبقى لازم تكملوا في حلقة أوسع وخصوصًا إن كل طلباتكم التقنية هاتتوفر ليكم.

نظر فجأة لأحمد فكري الذي كان يتابع كلماته باهتمام وقال له بلهجة جامدة:

- أنا عارف يا أستاذ (فكري) إني عطلتك عن شغلك النهارده، باعتذر وأتمنى ليك التوفيق في يومك.

هز رأسه وهو يقول:

- لا أنا مش متعطل ولا حاجة يا دكتور.

(جابر) مازال ينظر له ببرود وبلا أي تعبيرات كأنه ينتظر منه شيئًا ما، حتى نهض (أحمد فكري) محرجًا وهو يعدل في هندامه ويقول لنا:

- أنا حقيقي متعطل أوي وعندي شغل النهارده، أسيبكم يا شباب.

هذا الرجل كاريكاتيري جدًا كأنه خرج من رسومات هزلية غير متقنة، كاد أن يتجه لباب القاعة إلا أن صوت (جابر) أوقفه عندما قال:

- الـ (I D) يا أستاذ (فكري).

توقف (أحمد فكري) و(راضي) يهمس في أذني:

- (I D) إيه؟ همّا هايشربونا (فودكا)؟

بحث في جيب بدلته حتى أخرج بضعة كروت مغلفة بطبقة بلاستيكية شفافة وأعطاها لجابر وهو يقول:

- كنت هانسى يا شباب، أنا عملتلكم الكروت دي تخلوها معاكم

واسوا في الشركة بحليكم تدخلوا المخازن أو الأرشيف أو أي مقر أو مسر تابع للشركة، وباقي التفاصيل مع دكتور (جابر).

شكرًا يا أستاذ (فكري)، مع السلامة.

قالها (جابر) لأحمد فكري الذي أصبحت أنا محرجًا له أكثر من إحراجه الشخصي أمامنا وهو يتحرك كالعروسة الماريونت في يد (جابر).

هرول (أحمد فكري) حتى خرج من باب القاعة و(جابر) يقول لنا:

- النهارده فيه مندوب من الشركة هايتصل بأحمد ويشوف طلباتكم إيه في مكاتبكم جوه الشركة، يعني تحبوا تقعدوا في أنهي مقر من مقرات الشركة وعايزين مكاتبكم فين وقاعة الاجتماعات اللي تحبوها تكون...

قاطعه (أحمد) وهو يقول:

- إحنا هانفضل في نفس الأوضة القديمة بتاعتنا بعد أذنك، بس ممكن نحتاج مكاتب جديدة وشوية أجهزة هايطلبها (راضي).

- زي ما تحبوا، مرتباتكم زادت من الشهر اللي فات بأثر رجعي وتقدروا تستلموا فَرق الفلوس من الخزنة في أي وقت النهارده.

مصباح (علاء الدين) هذا بدأ يقلقني، أتمنى أن لا يكون كل هذا نوع من الكاميرا الخفية ويخلع (جابر) هذا قناعه ليظهر من تحته (إبراهيم نصر).

- اللي انتوا صورتوه امبارح محتاج منه نسخة في أقرب وقت.

- ليه؟

ردّ (أحمد) بنبرة شبه حادة على طلب (جابر) والذي التفت له مندهشًا وهو يقول من وسط دخان سيجارته:

- علشان أتفرج على شغلكم مش أكتر، أعتقد إنه من حقي طالما بدعم مشروعكم يا أستاذ (أحمد).

زاغت عيني على (راضي) فوجدته يكتب كلمات على ورقة صغيرة قطعها من علبة سجائره.

دخلت (نهلة) وبجانبها فتاة أخرى تحمل صينية عليها المشروبات التي طلبناها، لاحظت أنها بمجرد دخولها رمت بنظرة سريعة متشككة على (راضي) الذي نظر لها هو الآخر بلهفة، الحوار بين (أحمد) و(جابر) يدور حول البرنامج لكنني كنت أتابع بعيني حوارًا من نوع آخر.

نهلة تسحب منضدة صغيرة من أحد أركان القاعة وتضعها أمامنا ونظراتها تتحول من الشك إلى الخجل، أمسكت هي بالمشروبات من على الصينية التي تحملها الفتاة الأخرى ووضعتها أمامنا، و(راضي) يطوي الورقة التي كان يكتب بها، ظل يطويها أكثر وأكثر حتى صار حجمها صغيرًا، وضعت (نهلة) قدحًا من القهوة على مكتب (جابر) وكوب ماء، سبقتها الفتاة حاملة الصينية وذهبت باتجاه باب القاعة، أما (نهلة) فهمت بالابتعاد عنا لكن (راضي) الغبي قام بالشيء الذي خفت منه منذ رأيته يكتب الورقة.

ألقى بالورقة المطوية بقوة شديدة باتجاه (نهلة)، لكن الورقة مرت من بين يديها واصطدمت بوجه (جابر)، توقف الزمن فعليًا خاصة بعدما تسمرت (نهلة) في مكانها لتنظر للورقة التي اصطدمت بوجه (جابر) الذي أوقف حديثه مع (أحمد) وارتدى نظارته الطبية وهو يفتح الورقة المطوية. صمت يغلف القاعة وكلنا تحولنا لتماثيل إلا (جابر) الذي قرأ الورقة.

- أنا (راضي) وده رقم موبايلي مستني تليفونك في أي وقت.

نظر له (جابر) مندهشًا وهو يقول:

- إيه ده يا ابني، بترميلي رقم تليفونك ليه؟

- عشان لو احتجتلي يا دكتور.

انسحبت (نهلة) و(جابر) يضع الورقة جانبًا وهو يهز كتفه. أعتقد أن لم يفهم تمامًا ما الذي حاول (راضي) عمله. لكن هذا الأخير لم يكتف. بل نهض فجأة وقال قبل أن تغادر (نهلة) القاعة:

- أنا عاير أروح الحمّام.

وريه الحمّام اللي في قاعة الاستقبال يا (نهلة).

قالها (جابر) وهو يخلع نظارته الطبية ويعود للالتفات لأحمد.

***

خرجت (نهلة) من قاعة المكتب وبجانبها (راضي) يسيران في الساحة صامتين. متجهين إلى إحدى القاعات فجأة قال (راضي):

- لا أنا مش هاينفع أسكت، أنا رميت الورقة ليكي انتي.

توقفت (نهلة) وهي تحاول أن تمنع ابتسامة تتكون على وجهها وهي تقول:

- كل اللي في القاعة جوه عرفوا الحكاية دي ماعدا دكتور (جابر)، وإلا كان طردك..

- ما أنا أول مرة أرمي رقمي لحد.

- وبترميه ليه؟

- ما أنا عايز أكلمك.

- في إيه؟

- في أسماء أولادنا، إيه رأيك في اسم (هادي).. يبقى (هادي راضي).

لم تستطع إخفاء ابتسامتها ولكنها عادت لتحاول كتمها وهي تقول:

- حضرتك لو مابطلتش معاكسة أنا مضطرة..

قاطعها:

- والله أنا مابعاكسش، أنا بحاول بس، بس واضح إني فاشل.

خرجت ابتسامتها عن سيطرتها وتبعتها بضحكة مكتومة فقال هو:

- أنا لما برتبك بقول أي كلام، بس أنا هاقول الصراحة، أنا معجب بيكي وعايز أكلمك، تفهميني صح تفهميني غلط مايهمنيش، المهم اني هافضل وراكي لحد ما توافقي نتقابل، فكل حتة هاتلاقيني طالعلك و.. إلا انتي بتدرسي ولا خلصتي؟

- بحضّر دكتوراة في كلية آداب.

- جامعة إيه؟

- عين شمس.

- هاتلاقيني ناطت ليكي في كلية آداب عين شمس.

ضحكت ثانية وقالت:

- خلاص نتقابل بكرة في كلية آداب.

- برضو هاقابلك.. استني كده، هاتقابليني بكرة في الكلية؟

- آه..

- إيه ده خلاص كده؟ يعني موافقة؟

- على المقابلة وبس، لكن فيه سؤال هاموت وأسأله من أول ما شُفتك.

- أؤمري يا ست الكل، هو انت مربي شنبك ليه؟

لمس (راضي) شاربه برعب وهو يقول:

- أنا مش ممكن أحلقه ده جزء من كياني وهويتي.

- أنا بسألك إنت مربيه ليه مابقولكش احلقه.

- والنبي ما أنا عارف أنا مربيه ليه.

خلاص. أنا بكرة هاكلمك الصبح أشوفك فين ولما أوصل الجامعة هاكلمك.

أخرج هاتفه المحمول وقال:

- طب هاتي رقمك علشان أرنلك.

أملته رقم هاتفها المحمول فقال:

- أول ما هاخرج من هنا وأشحن هارنلك.

- طب يالا ارجع بقى قاعة المكتب.

- لا ما أنا بصراحة عايز أخش الحمّام برضو.

ضحكت وهي تسير باتجاه قاعة الاستقبال وهو يتبعها حتى خرجت فتاة تحمل دلوًا من القاعة فسألتها (نهلة):

- انتوا بتعملوا إيه؟

- لسة بننضف الحمّام جوه.

نظرت (نهلة) حولها ثم اتجهت إلى أول قاعة عند المدخل و(راضي) يتبعها:

- بص دي قاعة استقبال خاصة بدكتور (جابر)، هو مابيحبش حد يدخلها وهو مش فيها، هاتلاقي الحمّام بتاعها على اليمين لما تدخل، هاسيبك واروح أشوف شغلي.

تركته وهو يبتسم لها ثم يدخل من باب القاعة، أطلق صفيرًا بفمه من الانبهار وهو يشاهد أثاث القاعة وينظر للسقف المزخرف والقُبة التي تعلوه، حتى إنه توقف عند حائط بالكامل يطل على الحديقة الداخلية، حائط من تعاشيق الخشب تدخل منه إضاءة الشمس لتنير القاعة بشكل خلاب، وجد باب خزانة خشبية مفتوحًا فتحة صغيرة.

نظر حوله كأنه يتأكد أن لا أحد يراه، ثم فتح باب الخزانة أكثر ناظرًا لما وراءها بتردد، وجد ممرًا صغير في نهايته باب خشبي.

- معقولة يكون ده الحمّام؟

دخل من باب الخزانة وسار في الممر حتى وصل إلى الباب، فتحه ودخل، كان بعض الضوء يأتي إليه من ضوء الشمس الذي ينير القاعة نفسها، على هذا الضوء وجد زر إضاءة الغرفة، فتحه فغرقت الغرفة في الضوء الأبيض.

جرى بعينيه في الغرفة يتأمل الرفوف المعلقة على الحوائط التي رصت عليها أكوام من الملفات الورقية، والمنضدة في وسط الغرفة بجانبها لوحة بيضاء مربعة على حامل حديدي علق عليها بقطع مغناطيس صغيرة صورة لجثة، أما اللوحة نفسها فكتب على مساحة منها شيئًا جذب (راضي) كثيرًا ووقف يتأمله.

بالقلم الفلوماستر الأسود كتبت معادلات احتوت على أحرف إنجليزية كاختصار وأرقام في حالة قسمة وضرب، المعادلات ملأت معظم مساحة اللوحة عدا جزء الصورة المعلقة.

فكر أنه رأى مثل هذه المعادلات من قبل في مسائل خاصة بالفيزياء الكمومية، لكنها مختلفة، هذه المعادلات هي معادلات إثبات لنظرية، لكنه لا يميزها الآن.

أخرج هاتفه المحمول وبدأ يصور به اللوحة جزءًا جزءًا، برغم أن جودة الصور غير جيدة إلا أنه استطاع التقاط صور واضحة لكل أجزاء اللوحة، أعاد الهاتف لجيبه وهو يغلق إضاءة المكان ويخرج من الغرفة.

***

حضرتك كنت قلت إنك مهتم بالبيت ده بشكل خاص.

قال (عمرو) ممسكًا بكوب عصير يرتشف منه وهو ينظر لجابر، ابتسم هذا الأخير وقال:

أنا هاديكم ملف وقت ما تسلموني نسخة من الشرايط اللي صورتوها إمبارح، ملف فيه معلومات عن البيت وعن حوادث قديمة لها علاقة بيه.

قلت أنا بسرعة:

حضرتك تقصد حادثة الستات والأطفال اللي اتقتلوا في البيت؟

الحوادث أكتر من كده، ناس ظهرت قُدّام البيت، ناس اختفت جوه البيت، ناس اتقتلت علشانه، وناس حييت جواه.

مصطلحاته بدأت في الرمزية وأنا أكرهها بشكلٍ عامٍ، لذا دلوت بدلوي وأنا أعتدل في مقعدي الوثير وأقول:

تعرف واحد اسمه (جعفر)؟

بتسأل ليه عليه؟

لأنه كان موجود امبارح في البيت، جه مع الراجل العجوز و(صفاء) كانت عارفاه كويس، إيه حكايته.

(جعفر) ده يبقى حفيد (عبد الفتاح الدهان) من ابنه (صابر)، اتربى مع خاله في (باسوس) بعد ما نجي وهو عيل صغير من اللي حصل في البيت زمان، ماكانش يعرف حاجة عن اللي حصل لعيلته بالتفصيل لحد وقت قريب مع إن خاله اللي رباه كان بيمنعه إنه يذكر اسم عيلته بالكامل لأي حد علشان عيلة (السلاموني) ما يوصلوش ليه، أما (صفاء) تبقى بنت بنت (عبد الفتاح الدهان)، ماكانتش تعرف إنها من العيلة دي لحد امبارح، أبوها (عبد الرحمن) كان موجود الليلة اللي اتقتل فيها

أهلها في البيت، وأخدها يربيها بعد ما زور شهادة ميلادها على إنها بنته.
(جعفر) و(صفاء) على حد علمي كانوا بيحبوا بعض زمان وماحدّش فيهم يعرف بصلة القرابة اللي بتربطهم ببعض.

ما هذا الفيلم العربي القديم الذي يرويه، مخي يستقبل معلوماته بصعوبة. فكرت لثوانٍ ثم قلت:

وهمّا حبوا بعض إزاي يعني.. صدفة؟؟

مفيش صدف في الحياة.

. طب وحضرتك عرفت كل الحاجات دي ازاي؟

لم يصدر أي تعبيرٍ بوجهه وكأنه ينتظرني أن أكمل فقلت:

. (جعفر) كان موجود إمبارح جوه البيت معانا، وفي نفس الوقت خرج من أوضة وسحب أبو (صفاء) معاه لجوه، يعني كان فيه اتنين (جعفر) في نفس الوقت.

ملامح الاهتمام نطفت فجأة على وجهه وهو يقول لي:

. إنت شوفت (جعفر) ده وهو بيخرج من الأوضة؟

أنا اللي شُفته ووريتهوله.

قائل هذه العبارة هو (راضي) الذي دخل من باب القاعة بعدما عاد من دورة المياه وجلس بجانبي.

شُفته إزاي؟

في فيديو صورته كاميرا من الكاميرات، ظبط الفيديو لحد ما شُفت الكادر وقدرت أحسّن صورته برغم إن الحكاية كانت صعبة علشان الهوا كان متأيّن.

سأل (أحمد) (راضي):

. يعني إيه متأيّن؟

كانت الإجابة من (جابر) الذي تكلم بنبرة شخص غير مرتاح للمناقشة:

- لما ذرات الهوا تتفكك عن بعضها بتبقى موصلة للكهربا، بس ازاي يا (راضي) الكاميرا ممكن تلقط تفاصيل جوه وسط مشحون بالكهربا؟ الكاميرا هاتشوفها في شكل ألوان وبخار.

أمسك (راضي) بكوب البيبسي وارتشف منه ثم قال:

- ممكن تكون زاوية الكاميرا كانت مناسبة بالصدفة. إلا حقيقي يا دكتور انت تعرف البيت ده إيه مصدر الطاقة اللي فيه اللي ممكن تعمل حالة التأين دي؟

شرد (جابر) بشكل غريب، لماذا أشعر بأنه مرتبك ولا يريد أن يتحدث مع أحدٍ الآن، لكن (عمرو) لم يتركه لأنه قال:

- أنا رأيي إننا نتمهل في دخول البيت ده تاني، أصل اللي حصل امبارح...

قاطعه (جابر) فجأة:

- عندك حق، لازم نستنى، كل حاجة وعدتكم بيها ماشية زي ما هي، لكن بلاش تدخلوا البيت دلوقت لحد ما أقولكم.

لم نكن ننوي الدخول ثانية من البداية، تحولات هذا الرجل المريبة زرعت في نفسي تلك اللحظة فضولًا حول هذا البيت، بعدما حدث البارحة اعتقدت أن خوفي غلب فضولي واكتفيت بما حدث، لكن ظهور هذا الرجل التراجيدي ثم حماسته، ثم فتوره الآن، كل هذا سيجعلني أراجع ما دار بيننا في هذه الجلسة لأصل إلى الكلمات التي غيرت دفة حديثه.

رن هاتف محمول فجأة فنظرنا لبعضنا البعض حتى عرفنا أنه هاتف (جابر) لأنه رد عليه بفرحة شديدة:

- مش ممكن المكالمة اللي هاتظبط يومي النهارده دي، عامل إيه يا حبيبي.. إيه؟ إنت برّه في عربيتك؟ شوط باب البيت وادخل، أنا هابعتلك كل اللي في البيت يقفولك تشريفة على الباب.

أغلق (جابر) المكالمة والفرحة بادية على وجهه لكنه فجأة نظر لي نظرة عجيبة، كأنه تفاجأ بوجودي، ثم ابتلع ريقه وقال بضيق:

- أنا مضطر أنهي المقابلة دلوقت علشان فيه ضيف عزيز علينا وصل، هازوركم اليومين الجايين في المكتب.

نهضنا ونحن نصافحه وخرجنا من القاعة وهو مازال ينظر لي بنفس الطريقة الغريبة، خرجنا من قاعة المكتب ومضينا في طريقنا لنخرج من الباب الخشبي إلى الحديقة الخارجية، انفتح الباب الحديدي للمنزل ودخلت سيارة مرسيدس سوداء يجلس في مقعدها الخلفي رجل عجوز، ترجّل من السيارة بصعوبة وهو يستند على عكاز، مررنا بجانبه ونحن في طريقنا للخروج، هذا الرجل معروف بطريقة ما، رأيته على التلفزيون أو شاهدت صورته بشكل رسمي يصافح رئيس الجمهورية.

نظر هو لنا نظرة سريعة في البداية، لكنه عاد ونظر لي بتدقيق، وأنا أمر بجانبه، نظرته طالت أكثر وهو يقطب جبينه كأنه يتأكد من ملامحي، فتح فمه وكأنه سيقول شيئًا لكنه لم ينطق حتى مررنا جميعًا بجانبه.. لا أعرف ما شأن الجميع بوجهي هذا اليوم، يحملقون في كأنهم اكتشفوا وجودي في الحياة فجأة.

***

خرج (جابر) من قاعة المكتب وهو ينادي على (نهلة) بأعلى صوته حتى أتته هذه الأخيرة جريًا.

- تعالي معايا علشان فيه ضيف هاتفرحي بيه أوي.

تقدم بخطواته وهي تتبعه حتى خرجا للحديقة الخارجية ليجدا رجلًا عجوزًا غزا الشيب رأسه وزادت تجاعيد وجهه، يستند على عكازه وهو يقف في الحديقة بجانب إحدى الأرائك الخشبية التي تحاوطها الزهور، بمجرد أن رأته (نهلة) جرت بفرحة إليه وهو يبتسم لها فاتحًا ذراعيه، ارتمت هي في حضنه وأطبق هو يديه عليها وهي تقول:

- جدو (حلمي).

اقترب (جابر) منه وهو يقول:

- يعني هو يتقاله جدو (حلمي) وأنا يتقالي حضرتك، إيه الحركات دي.

تركها (حلمي) وصافح (جابر) وهو يحتضنه وهذا الأخير يقول:

- معالي الوزير بنفسه جالي.

- وزير سابق يا (جابر).

- طب يلّا بينا ندخل نريح في البيت.

نظر (حلمي) حوله وهو يقول:

- لا خلينا قاعدين هنا شوية.

نظر (جابر) لنهلة وقال:

- خشي انتي وخليهم يحضّروا غدا معتبر كده وتكوني انتي فوق دماغهم، عايز أشوف (حلمي) هايقدر يشد باللحمة بسنانه ولّا خلاص حُسن الختام.

هزت (نهلة) رأسها بفرحة وهي تجري لباب المنزل الداخلي وتقول:

- راجعلكوا تاني.

جلس (حلمي) بمساعدة (جابر) على الأريكة الخشبية وجلس هو

بجانبه وهو يخرج علبة سجائره ويناول سيجارة لحلمي وهو يقول بابتسامة ساخرة:

- خدلك سيجارة صناعة محلية وشجع بلدك.

ضحك (حلمي) وسعل كثيراً حتى هدأ وأخذ السيجارة قائلًا:

- إنت لسه فاكر أول يوم قابلتك فيه، دا فات عمر يا راجل.

- وهو إحنا باقيلنا حاجة غير الذكريات، فاكر كنت بتترعب إزاي زمان من الكلام عن الحكومة.. لحد ما بقيت واحد منهم.

أشعل (جابر) السيجارة لحلمي وأشعل لنفسه واحدة مخالفًا مواعيد تناول سجائره، حتى قال (حلمي):

- حكومة إيه بقى دا كان زمان، أدينا راقدين في البيت من سنين طويلة ومحدش فاكرنا.

- ما احنا خللنا فيها برضه يا (حلمي)، دي دفعتنا انطلبت من فترة بس مكنتش عايز أقولك.

ضحك (حلمي) ثم قال:

- الأيام الجاية (نهلة) واللي زيها، فاكر (إمام) جدها.

- الله يرحمه، لولاه ماكناش عايشين أنا وانت لحد دلوقت.

- (إمام) مات صغير، حتى ابنه (سعيد) ربنا افتكره بدري، ياريتني أنا اللي ربيت (نهلة) بدالك وأخدت ثوابها.

نفث (جابر) دخان سيجارته وهو ينظر للأمام ويقول:

- ماكانش المفروض جدها يموت بالشكل ده.

- ولا كان المفروض نعيش إحنا للوقت ده.

ابتسم (جابر) وهو يقول:

- وانت داخل البيت شُفت حاجة غريبة؟

ابتسم (حلمي) هو الآخر قائلًا:

- شُفته يا (جابر)، ولو إني مش مصدق، إلا انت بتشرب معاها سيجارة إزاي؟ هي دي مواعيد سجايرك اللي انت قارفنا بيها؟

- طظ في المواعيد وأنا معاك يا حاج (حلمي).

- طب أطفي في الأرض عادي ولّا هاتزعل؟

ضحك (جابر) ضحكة جلجلت وهو يلقي برماد سيجارته على أرض الحديقة ويقول:

- طظ في النظام الأيام دي.

مرت فترة صمت قليلة ودخان السجائر يلتف حول وجهيهما حتى قال (جابر):

- أنا عارف إني مقصر في زيارتك.

- وأنا كمان مقصر.

- بس انت جاي علشان حاجة يا صاحبي.

ابتسم الاثنان و(حلمي) يضع يده في جيب سرواله وهو يقول:

- البت (هند) زعلانة من (سليمان).

- يا ابن الكلب يا (سليمان)، زعلها في إيه وأنا أمسحهولها من على وش الدنيا.

أخرج (حلمي) من جيبه شيئًا ما قبض عليه بكفه وهو يقول:

- عملت زيطة وخلتني أروحلها البيت علشان تقولي يا بابا (سليمان) بيخوني، وإنه ليل نهار عمال يبص في صورة البنت دي.

رفع (حلمي) قبضة يده وأظهر صورة شخصية جعلت وجه (جابر) يتحول من الدهشة إلى الصدمة و(حلمي) يكمل:

- طبعًا ماقدرتش أتكلم ولا أقول حاجة، أنا عارف إن (سليمان) مظلوم وإنه مش هايقدر يقولها الحقيقة عشانك، بس الضغط اللي انت حطيته عليه بدأ يقطم ضهره.

نظر (جابر) للأرض بحزن ولم يتكلم.

***

- بيت كبير عيلة (الدهان) فين.

قلتها وأنا أجلس بجانب سائق التاكسي لشخص أوقفناه على مدخل قرية (أبو النور)، هز الرجل كتفيه وأخبرني أنه لا يعيش هنا، نظرت للسائق الخائف والذي أقنعته بصعوبة أن يأتي بي هنا وطلبت منه السير داخل القرية علنا نقابل أحدًا ما يعرف المنزل الذي أبحث عنه.

أكمل السائق سيره وأنا أنظر من حولي متأملًا تلك القرية التي بدأت من عندها المذبحة القديمة.

فضولي قتلني على تكملة هذا الطريق منذ تركت منزل (جابر) من ساعات قليلة، عدنا أنا وأصدقائي لمنازلنا، ولكنني وبعد الكثير من التفكير وبعد تناول الغداء قررت الذهاب لمقابلة (صفاء) و(جعفر).

برغم أن الساعة وقتها قد اقتربت من التاسعة مساءً إلا أنني لم أتمكن من الانتظار للغد، نزلت إلى الشارع وحاولت استقلال تاكسي لكني فوجئت أن السائقين يعرفون (أبو النور) لكن يخشون من دخولها حتى إن بعضهم نظر لي بدهشة كأنني أطلب منهم شيئًا مشينًا.

أخيرًا عثرت على هذا السائق الصامت الذي قبل أن يذهب معي بعدما أشعرني بأننا نسير نحو موتنا، بعد توغلنا قليلًا وصلنا لموقف

ميكروباص مزدحم بدد قليلًا من صورة القرية القديمة خاصة أن المكان هنا مزدحم أكثر من شبرا الخيمة نفسها.

أخرجت رأسي من النافذة أسأل أحد المارين عن منزل كبير عائلة (الدهان) فنظر لي بدهشة في البداية، ثم وصف لي طريقًا قريبًا. هنا أخبرني السائق أن هذه هي حدوده ولن يمكنه السير لأكثر من ذلك. أعطيته النقود ونزلت أسير بقية الطريق بنفسي، حتى وصلت لمنزل من ثلاثة طوابق، وجدت جرس لباب المنزل فضغطته، ظهر لي فجأة من إحدى النوافذ بالطابق الثاني رجل في الخمسين يسألني عمن أريد، لو أخبرته أنني أطلب مقابلة (صفاء) سيلقون بي في أقرب مقلب قمامة، إن ظللت على قيد الحياة. فكرة طلب مقابلة فتاة في هذا المكان خطيرة.

لذلك طلبت منه مقابلة (جعفر)، لم يفهمني، فأخبرته بأنه (جعفر) حفيد (عبد الفتاح الدهان)، سألني إن كنت جئت لأبارك برجوعه فأمنت على كلماته. غاب لدقيقة وخرج من المنزل وهو يصافحني ويدعوني لشرب الشاي، لم سبب الدعوة إن كنت سأقابل (جعفر) في هذا المنزل، هل سيستقبلني في خارجه؟. بعدها فهمت أن هذا المنزل لأحد أفراد عائلة (الدهان) لا منزل كبيرهم، أخذني وسرنا قليلًا حتى توقفنا عند منزل أكبر في الحجم وسيارات ملاكي كثيرة تقف أمامه. نادى الرجل على من يدعى المعلم (سميح) فخرج لنا هذا الأخير ليصافحني.

لكنه تذكرني فجأة وتذكرته أنا أيضًا. هذا الرجل كان ينتظر أمس أمام منزل أبو خطوة مع بقية رجال عائلته. طلبت منه مقابلة (جعفر) لأمر هام فدعاني للدخول بشك وهو يتأملني من الأسفل للأعلى. أدخلني لغرفة استقبال بسيطة فطلبت منه قبل أن يتركني ليبلغ (جعفر) أن أقابل (صفاء)، نظر لي ببرود ثم غادر. جلست أنظر حولي لكنني سمعت أصوات

ضحك لرجال، منهم صوت شعرت أنني سمعته في وقتٍ قريب، لم تمر لحظة حتى دخل عليّ آخر شخص أتمنى رؤيته الآن.. (جابر عبد السيد)، كان يبتسم بخبث وهو يرحّب بي وبجانبه (سميح) والرجل العجوز الضرير الذي عرفته باسم (عبد الفتاح).

إيه يا (حسام) عايز تقابل (جعفر) و(صفاء) ليه؟، مش اتفقنا النهارده إنك ماتتحركش إلا لما أقولك.

نهضت من مقعدي أتأمل هذا الكمين الغريب، ما الذي يفعله (جابر) هنا؟ وكيف يحدثني بتلك الطريقة.

إحنا ما اتفقناش على إني آخد الإذن منك لما أحب أتحرك، وأنا جاي في مقابلة شخصية لناس أعرفها.

- إنت ماتعرفش (جعفر).

- بس أعرف (صفاء)، وليها عندي أمانة سبتهالي قبل ما تدخل البيت.

ظهر (جعفر) من خلفهم ينظر لي بدهشة وهو يقول:

- أمانة إيه؟

- ازيك يا (جعفر)؟

- مش انت كنت معانا امبارح في البيت.

- هو واضح إن كل مصركانت مع بعض في البيت إمبارح، أنا عايز أتكلم معاك بشكل شخصي لو سمحت.

اقترب (جابر) مني وربّت على كتفي وهو يبتسم ويقول بمودة:

- اقبل اعتذاري يا (حسام) لو قلتلك كلمة ماعجبتكش دلوقت، بس أرجوك تصبر الأيام دي لحد ما نتفق هانتحرك إزاي، (جعفر) و(صفاء) ذهنهم مش صافي علشان يناقشوك.

نظرت لجعفر فوجدته يهز رأسه هزة سريعة لا معنى لها، كأنه

يلمح لي لشيء لكني لم أفهمه. نظرت لجابر ثانية ولا أعرف نوعية هذه الشجاعة التي أخذتها لأبدأ بمهاجمة (جابر) لكنني أكملت:

- اسمع يا دكتور (جابر)، مش معنى إني شغال في الشركة بتاعتك إني هاتحرك بأوامرك. أنا هامشي من هنا علشان مش مرغوب في وجودي، لكن طظ في البرنامج وطظ في الشركة.

انتهت عبارتي واشتعلت رأسي بأفكار الندم على ما قلته. كأنني دمرت مستقبلي فجأة بدون سبب حقيقي، حتى إنني اكتشفت أنني مازلت واقفًا في مكاني ولم أغادر والجميع ينظر لي. آه لو أمكنني التراجع فيما قلت.. لكن لا وقت.

- سلام.

قلتها وأنا أغادر الغرفة وأمر من بينهم وأنا أفكر فيما فعلت الآن من جنون.

***

دخل (جابر) قاعة مكتبه وهو يدعك عينيه بيده طاردًا النوم الذي يطارده وهو في طريق عودته من قرية (أبو النور)، أضاء القاعة وأخرج هاتفه المحمول يطلب رقم (نهلة)، هو يعرف أنها دخلت لغرفة نومها منذ فترة بالتأكيد لكنه يحتاجها الآن.

ردت على الهاتف وبدا على صوتها أنها لم تنم بعد، طلب حضورها في قاعة المكتب على الفور ثم أغلق الخط وهو يخلع جاكيت البدلة ويلقيه على أقرب مقعد.

مرت دقيقتان ثم دخلت (نهلة) القاعة مرتدية ملابس النوم وهي تهرول مفزوعة، نظر لها (جابر) وشعر بالشفقة عليها لطلبه إليها بتلك الطريقة فقال:

- اهدي يا بنتي ماتخافيش، أنا عايزك في موضوع.

- حضرتك كويس يعني؟

- أنا كويس.. قوليلي مش انتي النهارده الصبح كلمتيني على الورق اللي لقيتيه في المكتبة وبيتكلم عن ترميم مخطوط؟

- آه..

- إنتي قريتي فيه لحد فين؟

- هو حضرتك بتسأل ليه؟

كانت الدهشة ترتسم على وجهها وهي تجيبه وهو يقول:

- خديني على أدّ عقلي يا بنتي، قريتي لحد فين؟

- تقريبًا نص البحث، لما ظهرت كلمات افتتاحة جديدة في الورقة التانية بتوصف مكان بيت.

هدأ (جابر) قليلًا وكاد يبتسم وهو يجلس على مقعد قريب من مكتبه وهو يقول:

- طب معلش يا بنتي أنا محتاج الورق ده دلوقت علشان أقرأ فيه شوية حاجات، ولما هاخلصها هارجعهولك تقري فيه.

كادت أن تقول هي شيئًا لكنها توقفت فقال (جابر):

- فيه حاجة يا (نهلة)؟

- لا مفيش حاجة، أنا هاروح المكتبة أجيب البحث وآجي لحضرتك.

غادرت (نهلة) قاعة المكتبة وهي تقدم خطوة وتؤخر الأخرى، فكرت في سبب طلبه الغريب والمفاجئ للبحث، وتساءلت لمَ لم تخبره منذ قليل أنها صنعت نسخة مصورة من أوراق البحث على آلة تصوير المستندات بالمكتبة وتطالع تلك النسخة في غرفتها، كانت ستخبره لكنها تراجعت،

هل خافت أن يطلب منها تلك النسخة أيضًا؟؟ وما السبب الذي سيجعله يمنعها من تكملة القراءة فيه.

حزمت أمرها أنها لن تخبره لأنه لم يسألها، وهو لن يمانع، خاصة وأنها تتمتع بقراءة مراحل فك شفرة هذا المخطوط المدمر، والاطلاع على جمل غريبة ربما فتحت لها أفاقًا في البحوث التاريخية.

داخل قاعة المكتب أراح (جابر) رأسه على يده وأغمض عينيه حتى جاءه جرس من الجهاز الذي يحمله بجيبه المتصل بالبوابة الخارجية ثم صوت (سليمان) يطلب الدخول، ضغط على زر فتح البوابة ونهض يتمطى وهو ما زال يكافح الشعور بالنوم، دخل عليه (سليمان) وهو يقول بلهفة:

- إيه يا بابا اللي حصل؟ إنت مش المفروض نايم؟

- ماتقلقش يا حبيبي مفيش حاجة، أنا طلبتك من شوية علشان موضوعك.. اقعد وارتاح يابني.

جلس (سليمان) على مقعد مجاور له و(جابر) يقول:

- النهارده حماك عدى عليا وحكالي على اللي حصل، عرفت إنك سيبت بيتك بسببي.

ظهر الضيق على وجه (سليمان) من عبارة (جابر) الذي أكمل:

- اتغديت مع حماك وأخدته وروحنا بيتك، فهمت مراتك إن فيه سوء تفاهم وكل حاجة اتحلت، هي أصلًا بتموت فيك وبتتلكك علشان تكون معاها، إنت عارف الحمل بيجنن الواحدة ازاي.

رن هاتف (سليمان) المحمول فنظر لشاشته وهو يقول:

- دا رقم (هند).

ابتسم (جابر) وقال بخبث:

- البت مش طايقة تبعد عنك يا ابن الكلب، رد عليها وروح صالحها.

ابتسم (سليمان) وهو يرد على الهاتف، فجأة تغيرت ملامح وجهه ثم قال لمحدثه إنه سيكون في المستشفى الآن، أغلق الخط ونهض وهو يقول بقلق:

- دي أخت (هند)، بتقول إن الطلق جالها وهما في طريقهم لمستشفى النزهة.

نهض (جابر) من مقعده وهو يقول:

- يلا بينا.

فجأة رن هاتف (جابر) المحمول فرفعه وهو يقول بدهشة:

- رقم (حمدي) بيتصل دلوقت؟

فتح الخط فجأة صوت (حمدي) من الطرف الآخر يقول:

- مساء الخير يا باشا، لامؤاخذة فيه موضوع كده محرج أكلمك فيه.

- مش وقتك يا (حمدي) اقفل دلوقت وأنا هاكلمك بكرة.

- لا يا باشا إوعى تقفل والنبي، مش هاينفع نستنى لبكرة.

- موضوع إيه اخلص..

- أنا كنت لا مؤاخذة نايم يا باشا وحسيت بحاجة باردة كده بتلزق في نافوخي، صحيت لقيت مسدس من أبو ماسورة طويلة اللي هي كاتم الصوت ولا مؤاخذة، واللي ماسك المسدس مصمم يكلم حضرتك.

اختفى صوت (حمدي) وجاء مكانه صوت (أليكسندر) وهو يقول:

- ازيك يا (جابر)، بقى ماتسألش عليا كل السنين دي وأعرف أخبارك من الغريب.

اتسعت عين (جابر) ثم أنزل الهاتف من على أذنه وهو يشير لسليمان أنه يذهب هو قائلًا بصوت خافت بارد:

- اسبقني انت وأنا هاحصلك.

- فيه حاجة يا بابا؟

- لا يا حبيبي دا شغل هاخلصه.

نظر له (سليمان) بشك في البداية ثم خرج من القاعة، رفع (جابر) سماعة الهاتف لأذنه مرة ثانية.

- إيه يا (جابر) رُحت فين؟

- ازيك يا (أليكسندر)، إيه لازمة العرض المسرحي اللي انت بتعمله ده، مسدس.. وبتهددني بحمدي، ماتيجي تزورني على طول من غير كل ده ولّا انت مش عارف بيتي.

- أنا عارفه بس مش هاخشه إلا لما تستقبلني على الباب بنفسك.

دخلت (نهلة) من قاعة المكتب تحمل الأوراق فأشار لها (جابر) بأن تضعهم على المكتب وترحل وهو يقول لأليكسندر:

- وإيه لازمة استقبالي ليك، دا بيت أخوك، تخشه أي وقت، ولّا خايف من حاجة فيه؟

جاء صوت ضحكات (أليكسندر) وهو يقول:

- بيت (جابر عبد السيد) مش هايخلا من رصد هنا أو فخ هناك.

- لا دا انت خايف بجد.

- إحنا الاتنين خايفين من بعض، إنت هربان مني وبتراقبني، وأنا عرفت مكانك وخايف أجيلك.

- ولو إنها زيارة مش متوقعة، لكن أهلًا بيك.

- بعد نص ساعة هاكون قُدام باب بيت.

قالها (أليكسندر) وأغلق الخط.

***

الفصل السادس

حكايات منسية

«1966»

في شقة (جابر) جلست (سلوى) على الأريكة وبجانبها (جابر) يتحدث مع (حلمي) الذي جلس على مقعد مقابل له، و(حلمي) يقول:

طب تحب أجي معاك المسرحية دي؟

مش ناقصة شبهات، أكيد الحكاية هاتتم بسلاسة، أنا بس اللي بقلق على الفاضي.

ماتخافش يا حبيبي أنا جنبك.

قالتها (سلوى) وهي تربت على كتفه بحنان فنظر لها وهو يقول:

إنت اللي مصبرني يا جميل.

حاول أن تكون عبارته ساخرة لكنه فشل فقالت هي:

يا سيدي إحنا هانبسط النهارده، هو انت مابتحبش (فؤاد المهندس).

حاول (جابر) الابتسام لكنه فشل، فقال (حلمي):

إنت دخلت نفسك في دايرة كبيرة يا (جابر)، قلتلك من الأول خليهم يدخلوني معاك في المشروع ده وانت رفضت.

خليك انت بعيد عن الجو ده، انت ليك طريق تاني.

رن جرس باب الشقة فقال (جابر) لحلمي:

هو السواق بتاعك لسه واقف تحت؟

لأ أنا جايلكم بعربيتي.

همت (سلوى) بالنهوض لكن (جابر) أشار بيده لتتوقف ونهض هو،

ذهب لباب الشقة وفتحه، خلف الباب وقف شاب في العشرينيات يرتدي قميصًا وسروالًا غير مهندمين وملطخين ببعض الأتربة، شعره أيضًا غير متناسق وكأنه لم يمشطه منذ أيام، وعلى وجه هذا الشاب الكثير من الغضب والانفعال كأنه سينفجر في أي لحظة.

نظر له (جابر) في البداية بطريقة طبيعية يتأمله، لكن عيني (جابر) اتسعتا وهو يشهق متراجعًا للخلف خطوات وهو ينظر لهذا الشاب الذي دخل الشقة ثم أغلق الباب بقوة.

تراجع (جابر) للخلف أكثر وهو ينظر للشاب الذي خطا ببطء لداخل الشقة حتى وصل الاثنان إلى الصالة، كان الشاب ينظر في عين (جابر) نظرة الغضب ذاتها منذ فتح باب الشقة.

نهضت (سلوى) و(حلمي) يتبعها وهما يشاهدان (جابر) يقف غير مصدق وهو ينظر للشاب، فجأة انتفضت (سلوى) في وقفتها بعدما تأملت الشاب لثوانٍ قليلة، ابتلع (جابر) ريقه وقال بصوت متحشرج:

- أنا عملت إيه بالظبط خلاك تجيلي هنا؟

نظر الشاب إلى (سلوى) التي قالت برعب:

- إيه اللي بيحصل؟

قال (حلمي) بدهشة:

- هو فيه إيه؟ مين ده؟

- ازيك يا أستاذ (حلمي)؟

قالها الشاب وهو ينظر لحلمي كأنه انتبه لوجوده، فردَّ هذا الأخير:

- إنت تعرفني؟ مين ده يا (جابر)؟

حاول (جابر) تمالك أعصابه وهو يقول:

- دا صديق قديم، بس وقت زيارته مش مناسب لينا.

***

أغلب من وُلدوا في الأربعين عامًا المنصرمة لا يستطيعون تخيُل مصر في حقبة الستينيات وما قبلها إلا وكل شيء فيها باللونين الأبيض والأسود، الشوارع، المنازل، البشر، وهو بالطبع ما يناقض الحقيقة لمن عاشوا في تلك الفترة.

هنا أمام (المسرح العائم) بالمنيل وقف عشرات الناس يرتدي الرجال منهم البدلات غامقة اللون وترتدي النساء فساتين مختلفة التصميم متشابهة في الألوان القاتمة، الساعة تقترب من الثامنة والجميع متلهف وبعضهم ينظر بين الحين والآخر إلى اللافتة الكبيرة المرفوعة على باب المسرح والتي رسم عليها بورترية للممثل (فؤاد المهندس) و(شويكار) ونقشت أسماؤهم بخط عريض وبخط أصغر نقشت أسماء بقية أبطال العرض المسرحي الذي كتب بحروف ضخمة (مسرحية أنا فين وانتي فين)، وبجانب الاسم علقت لافتة متوسطة الحجم كتب عليها (أبطال الرواية يرحبون بالسيد وزير النقل والسيد نائب رئيس الحزب الاشتراكي).

وقف (جابر) بعيدًا عن الجميع عاقدًا يديه أمام صدره مرتديًا بدلة بنية ورباط عنق من نفس اللون، و(سلوى) تقف بجانبه بفستانها الأسود تحمل حقيبة يد صغيرة وتعبث بمحتوياتها.

- بتلعبي في إيه؟

قالها (جابر) وهو يراقب الجمع و(سلوى) تكمل بحث داخل حقيبتها وتقول بعصبية وصوت عال:

- مش لاقية كاميرا التصوير، إحنا نسيناها في البيت ولّا إيه؟

- معلش.. ربنا يعوض عليكي.

- يعني مش هاتصور مع (فؤاد المهندس) و(شويكار)..

- لا.

نظرت له مندهشة فلاحظت توتره.

- مالك لاوي بوزك كده ليه يا (جابر)؟

نظر لها لثانية ثم عاد لينظر أمامه.

- طب طلع سيجارة واشربها.

نظر لها ثانية وقال:

- لسة معاد السيجارة ماجاش.

ابتسمت وقالت وهي تربت بيدها على كتفه:

- معلش اشربها علشان خاطري دلوقت.

- بتحلفي عليّا بالطلاق يا (سلوى).

قالها بنبرة جادة فارتبكت هي للحظة قبل أن تضحك ويبتسم هو مخرجًا علبة سجائره ويسحب منها سيجارة ليضعها في فمه، أخرج قداحته فأخذتها هي وأشعلتها، اقترب بسيجارته من لهب القداحة فسمعها تهمس له:

- ماتخافش يا حبيبي، كل حاجة هاتمشي كويس.

ابتسم بدون أن ينظر لها، سمعا صوتًا يأتي من منتصف الشارع لرجل يسير وهو يقول بصوت واضح:

- صاحب الفارت بورج الصفرا، صاحب الفارت بورج الصفرا.

نظر (جابر) لسلوى بدهشة والرجل يسير على الرصيف ويردد نفس العبارة، رفع (جابر) يده بمجرد اقتراب الرجل فأشار له هذا الأخير وقال:

- حضرتك صاحب العربية الفارت بورج اللي راكنة في الشارع الرئيسي؟

- آه..

- إنت قافل على عربيتي، لو سمحت تعالى انقلها معايا.

انفتحت بوابة المسرح في نفس اللحظة فدخل الجميع ما عدا بضعة أفراد، أشار (جابر) لسلوى بأن تظل واقفة في موضعها وسار مع الرجل في الشارع الهادئ، بعد بضعة أمتار قال (جابر):

- أنا آسف اني قفلت على عربيتك.

- لا العفو ماتقولش كده.

سارا صامتين حتى ابتعدا عن المسرح واقتربا من بداية الشارع الرئيسي، دخل فجأة من ناحية الشارع الرئيسي رجل في الأربعينيات يشرب سيجارة، اقترب الرجل منهما من الجهة المقابلة حتى مر بجانبهما فقال الرجل المصاحب لجابر:

- كده محدش ورانا يا فندم.

ابتسم (جابر) بدون أن ينظر للرجل وقال:

- حضرتك تقصد إيه؟

لم يجب عليه الرجل حتى خرجا من شارع المسرح وأصبحا في الشارع الرئيسي وقد اقتربا من سيارة (جابر)، قال الرجل:

- ادخل عربيتك وابعدها لحد ما أخرج عربيتي، ماتقعدش جوه عربيتك أكتر من دقيقتين أو تلاتة بالكتير، أنا هاتلكع وأنا بخرج بعربيتي.

- أنا لسه مش فاهم كلام حضرتك.

وقفا بجانب السيارة ففتح (جابر) باب سيارته وركبها وهو يضع مفتاحه في فتحة التشغيل، انفتح باب السيارة الآخر وركب (عصام خليل) فجأة بجانب (جابر) الذي قال بنفس الابتسامة:

- حلو شغل الأفلام ده يا سيادة العميد.

- إنت طلعت فعلًا متراقب زي ما بلغتني آخر مرة.. دور عربيتك واطلع قُدّام شوية بشكل طبيعي وارجع اركن مكان الراجل اللي هايخرج بعربيته.

قال (جابر) وهو يخرج من جيب جاكيت بدلته مظروفًا أبيض محشورًا بالأوراق أعطاه لعصام:

- علشان كده حضرتك بعتّلي تذاكر المسرحية.

بمجرد أن قال (جابر) عبارته أدار السيارة وخرج من موضعه ببطء، و(عصام) يقول:

- آخر تقرير بعتهولي حذرتني من إن الـ (كي جي بي) ممكن يكونوا اخترقوا كل الجهات الأمنية وانهم بيراقبوك، أنا اتأكدت، بيتك عليه مراقبة شديدة، دا غير إن فيه اتنين كانوا واقفين جنبك قبل ما باب المسرح يفتح، علشان كده بعتلك واحد من رجالتي يجيبك بالطريقة دي.

- وازاي عرف إن محدش ماشي ورايا؟

- الراجل اللي دخل شارع المسرح وكان معاه سيجارة مولعها، لو كان رماها يبقى شاف حد ماشي وراكم، ولو كمل شُرب عادي وعدى من جنبكم يبقى كل حاجة تمام، على العموم المراقبة اللي عليك ماكنتش هاتتمشى وراك في شارع هادي زي شارع المسرح علشانماينكشفوش.

خرجت سيارة الرجل من مكانها فعاد (جابر) بسيارته للوراء ليركن بموضعها ببطء.

- اسمع يا (جابر) عايزك تفضل معاهم لحد ما تعرف تدخل بيت حلوان، ولو حسيت إنهم هايغدروا بيك انت عارف هاتوصلي إزاي، واوعى تدي أي تقارير لحد غيري، محدش بقى مضمون.

- خلي بالك انت علشان ممكن يكشفوا إني بابعت تقارير ليك، ساعتها هانعمل أزمة، وأرجو إنك تنفّذ الكلام المكتوب في التقرير بتاعي.

انتهى (جابر) من عبارته وانتهى في نفس الوقت من ركن السيارة، لم يقل (عصام) شيئًا وهو يخرج من السيارة ويغلق الباب بهدوء، بقيت

في سيجارة (جابر) التي أشعلها من دقائق بضعة أنفاس، فنظر لها وهو يتنفس براحة ثم ألقاها من نافذة السيارة.

بينما مد (عصام) في خطاه ناحية سيارة سوداء مركونة ودخلها جالسًا على المقعد بجوار السائق وهو يقول:

- اطلع على مكتبي.

بمجرد تحرك السيارة أخرج (عصام) المظروف الذي استلمه من (جابر)، فضوله هو ما حرّكه وهو يحاول أن يقرأ التقرير بصعوبة بسبب عدم وجود إضاءة كافية، لكنه استطاع قراءة أول ورقة في التقرير، نظر فجأة لسائقه وهو يقول:

- بعد ما تودينـي المكتب هاتستناني تحت علشان هاتوديني على القصر الجمهوري بعديها.

***

- إيه يا (عصام) إنت مش كنت لسه معاه الصبح؟

قال كبير ياوران الرئيس عبارته وهو يقف في بهو القصر الرئاسي ينظر لعصام الذي حمل حقيبة جلدية بيده اليمنى وارتدى بدلة كاملة مع ربطة عنق مفكوكة.

- قوله بس إني عايزه ضروري.

- بس الريس كان بيحضر نفسه علشان يروح دلوقت، مانقابله بكرة أحسن علشان...

قطع الرجل عبارته وهو يسمع صوت (جمال عبد الناصر) من خلفه يقول:

- تعالى يا (عصام) لسه شوية قبل ما أمشي.

كان يقول عبارته وهو يسير ناحية غرفة من غرف الاستقبال في البهو مرتديًا قميصًا أبيض اللون على سروال بدلة رمادي، لحق (عصام) به إلى الغرفة والرئيس يفتح إضاءة الغرفة ويجلس على مقعد الاستقبال الوثير ويشير لمقعد بجانبه ليجلس عليه (عصام).

- تشرب إيه يا (عصام)؟

- حضرتك هاتشرب معايا يا ريس؟

جاءت طَرقات على باب الغرفة دخل بعدها رجل عجوز يرتدي قميصًا وسروالًا فقال له الرئيس:

- شوف (عصام) هايشرب إيه وهاتلي أي عصير.

طلب (عصام) شاي فخرج الرجل والرئيس يقول وهو يعتدل في جلسته:

- والله يا (عصام) لو دماغي رايقة كنت شربت معاك قهوة، بس أنا شربت قهوة كفاية أوي النهارده وعايز أنام بليل كويس، ها يا سيدي، هات اللي عندك.

- فيه عملية بعملها بشكل غير رسمي بقالي سنتين، والعميل بتاعي بلغني النهارده بتقارير أنا شايف إن سيادتك لازم تطلع عليها بنفسك.

لم يظهر الاهتمام على الرئيس وهو ينظر لعصام ببرودٍ فأكمل هذا الأخير:

- فيه دكتور في الفيزيا كان منتدب للرئاسة من كام سنة والرئاسة كانت بتبعته للمشاريع العسكرية يشرف عليها، اسمه (جابر عبد السيد).

- ماله؟

- زمان كنت فاكر إن الرئاسة باعتاه علشان يكون عين ليها على مكتب الاستخبارات العلمية اللي أنا رئيسه.

- تعجبني صراحتك يا (عصام).

قالها الرئيس وهو يسند رأسه على قبضة يده بلا أن تتغير ملامحه.

- في نفس الوقت يا ريس كان الروس بيشتغلوا على مشروع (إيزيس) اللي محدش كان فاهمه.

اعتدل الرئيس في مقعده وظهر الاهتمام عليه و(عصام) يكمل:

- قلت في نفسي ليه ما أضربش عصفورين بحجر، أخترق مشروع (إيزيس) اللي الروس عاملينه في مصر وأبعد دكتور (جابر) عن شغلي، العجيبة إنه كان متوقع اني خايف منه وتعاون معايا كويس علشان يتنقل.

أخرج الرئيس من جيب بنطاله علبة سجائر معدنية وهو يقول:

- إنت من فترة جيتلي علشان أقنع الروس إنهم يدخلوا عالم مصري معاهم، هو ده (جابر)؟

- بالظبط يا ريس، من سنتين بالظبط، وأنا كنت ظالمه من الأول في موضوع إنه عصفورة عليا.

- كنت فاكر مين اللي باعته عليك في الرئاسة، (أبو صلاح) ولا (الناجي)؟

أعطى الرئيس سيجارة لعصام الذي نهض وهو يأخذها بأدب ويقول:

- ماكنتش شاكك في أي اسم يا ريس، إنت فاهم أنا كنت خايف في العموم.

أشعل الرئيس سيجارته بعود ثقاب وألقى العود المحترق في المطفأة الموضوعة على المنضدة بجواره وهو يقول:

- أنا فاكر إن الروس فضلوا معاندين سنة كاملة لحد ما وافقوا يدخلوا واحد مصري.. بس هو مش الجهاز بتاعنا بيتابع نشاط مشروع (إيزيس) ده؟، مفيش أي تقارير استخباراتية جاتلي عنه.

- المشروع فعلًا ملوش دعوة بالاستخبارات، هو بعيد عن الفكر الأمني تمامًا، المشروع أغرب ما حضرتك تتخيل يا ريس.

- وإيه الغريب فيه؟

- هما بقالهم فترة بينقبوا عن الآثار علشان يدرسوها، وبيستخدموا الفرقة العسكرية السوفيتية اللي جت في مصر علشان السد العالي.

بدأت عين الرئيس المرتخية من أثر النوم في الاتساع قليلًا وهو يقول:

- إنت شاكك إنهم (كي جي بي) يا (عصام)؟

- أنا متأكد 100% بس في نفس الوقت مفيش أنشطة أمنية جوه المشروع، علشان كده (جابر) دخل وسطهم، وسلمني يد بيد بعد 6 شهور أول تقرير، وكان عادي جدًا، بعد كده بدأت تقاريره تزيد وشكي يزيد أكتر، لحد ما تأكدت إن المشروع ده ليه صلة بكتير من ناس في مناصب سياسية عندنا.

مال الرئيس في مقعده للأمام بتحفز.

- (جابر) كان شاكك إنه متراقب منهم وآخر تقرير سلمهولي من ساعة اتأكدت ساعتها إنه متراقب، ولما قريت التقرير ماقدرتش أفكر غير اني أعرض الموضوع على سيادتك علشان تديني توجيه أقدر أتعامل على أساسه بعد كده.

فتح (عصام) حقيبته الجلدية وأخرج منها مجموعة من الأوراق الفلوسكاب خط عليها بخط يد بحروف صغيرة ناولها للرئيس وهو يقول:

- دي كل التقارير اللي بعتها (جابر).

سمعا طرقات على باب الغرفة دخل بعدها عامل البوفيه يحمل صينية عليها المشروبات المطلوبة، فقال الرئيس وهو ينظر في الورق:

- نزل الحاجات دي واعملنا اتنين قهوة دوبل.

***

(التقرير الأول)

اعذرني يا سيد (عصام) فأنا لا أمتلك خبراتٍ في كتابة التقارير المرسلة للجهات الأمنية، ناهيك عن عدم حكمي على نظام عملي هل هو مدني أم عسكري، أعرف كيفية كتابة تقرير علمي عن العالم ما دون الذري وطموحات (ريتشارد فاينمان) الذي حضرت معه ندوات علمية كثيرة وهو يعرض أفكاره عن الكهروديناميكية الكمية، لكن فكرة أن أنقل تفاعلات حقيقية بين البشر في الواقع لتقرير مقدم لسيادتك شيء غريب، فتحمل معي ما ستراه في هذا التقرير لأني أعامله كخطاب بين صديقين، طبعًا أعرف أنك لا تعتبرني صديقًا وأنا كذلك، لكن هناك احترامًا متبادلًا بيننا تكون مع الوقت بعدما تشابهت أهدافنا واختلفت سبلنا، الهدف هو تقدُّم مصر، وصدقني الكتابة عن هذا الهدف غريب فهو يشبه مواضيع الإنشاء التي تكتب في الكثير من الصحف عن حب الوطن، لكن في الحقيقة أعلم أن هدفي هو هدفك، لكن أنت تؤمن بالسيطرة العسكرية وأنا أؤمن بالسيطرة العلمية.

سيادة الرئيس (جمال عبد الناصر) قد أقنعهم أخيرًا بدخولي في هذا المشروع، تعرفت على (أنطون زيريانوف) بعدما وصلت لشقة في شارع المعادي تمتلئ بالمكاتب الخشبية القديمة يبدو أنها أحد مقراتهم، (أنطون) هذا كان أحد المديرين الذين عرفت أن له سطوة قوية وسط المشروع، بعد أن استقبلني بلغة عربية فصحى ليست جيدة لكنها مفهومة عاملني بأدب واحترام، ناقشني في درجتي العلمية فأسهبت في شرح حياتي السابقة وسفري للمملكة المتحدة لدراسة الفيزياء، كان مستمعًا بدرجة مريبة، لدرجة أنني حكيت له بعض التفاصيل عن الفيزياء الكمومية واستخداماتها الغريبة فلم يبدُ عليه التأثر، تعبير وجهه لا يتغير، تعبير مجامل جدًا وكأنه يمثل دور المستمع، فذكرت اسم شخص أثناء الحوار معه كنت قد ذكرته في

بداية الحوار لأعلم هل هو في كامل تركيزه معي ففوجئت أنه يتذكر جيدًا كلماتي، كأنه يحفظها ولا يفهمها، كثرت التساؤلات في عقلي عند تلك المرحلة، هل (أنطون) يقيمني بشكل ما؟ فقمت بتمثيل دور الساذج وأخذت ألقي بالكثير من التفاصيل التافهة غير الحقيقية عن سنوات دراستي ومناقشة رسالة الدكتوراة وعودتي لمصر وعملي في الرئاسة.

دخل علينا فجأة في مكتب (أنطون) رجل روسي أخذ يحدثه باللغة الروسية وينظر لي كثيرًا حتى إنني سمعت اسمي بشكل واضح أكثر من مرة، صدِّق أو لا تصدِّق شعرت أنهما يختبران لغتي الروسية أو يحاولان مراقبة تعبيرات وجهي ليعرفا إن كنت أعرف ولو قليل من تلك اللغة لدرجة أنهما كلما ذكرا اسمي كانا بطيئين في الضغط على حروف نطقه لأسمعه بشكلٍ واضح.

لو تتذكر يا سيد (عصام) عندما اقترحت عليَّ تعلم اللغة الروسية بشكلٍ سري خلال الأشهر السابقة عندما تفاوضتم على دخولي المشروع، وأنا رفضت بشكلٍ قاطعٍ كي لا أثير شكوكهم وأكتسب ثقتهم بشكل أسرع، وهذا ما حدث، فبعد انتهاء الحوار بينهم صافحني الرجل وكلمني بعامية مصرية كسيحة يهنئني على الانضمام للمشروع بابتسامة عريضة.

عاد (أنطون) لي ليستمع لبقية كلامي والذي بمجرد أن انتهيت منه تكلم هو بهدوء ورصانة يعرِّفني بالمشروع وهذا ما قاله بتصرف مني طبعًا لأنني لا أتذكر نص كلماته بالكامل، قال إن الاتحاد السوفيتي يحاول تنمية مهارات علمائه في التعرف على مصر بشكلٍ أعمق، وهذا التعرف لن يكتمل إلا لو اقترب الروس أكثر من المصريين وقاموا بدراسة تاريخهم بشكل خاص، تاريخ الفراعنة بالتحديد لمحاولة اللحاق بفرنسا وأمريكا في علم المصريات، كما يندرج قِسمٌ من المشروع على دراسة أفكار المصريين وأساطيرهم الحديثة والتي تتمثل في العفاريت والجان وقدرات الأولياء

وغيرها من الأمور التي يؤمن بها قطاع كبير من المصريين، وهناك قسم ثالث لدراسة طبائع المصريين في العصر الحالي ومقارنتها ببقية العصور السابقة، هذه الأقسام الثلاثة هي نواة مشروع إيزيس، أما سبب تسمية المشروع بهذا الاسم فهذا يرجع إلى معهد الاستشراق بموسكو والذي قد بدأ مشروعًا يقارن فيه تطور الأديان لدى المصريين منذ القدم حتى هذه اللحظة فسمي المشروع باسم إيزيس معبودة المصريين القدماء الشهيرة.

في حقيقة الأمر يا سيد (عصام) لم أصدق ما قال لأنه بدا منمقًا واقعيًا ومنطقيًا أكثر من كونه طبيعيًا، فأنا على معرفة وثيقة بالعديد من الأدباء المصريين ورأيي هو أن الخيال يجب أن يكون منطقيًا أما الواقع فيجب أن يكون خياليًا، الأديب يحاول منطقة خياله أثناء الكتابة لذلك نقرأه منمقًا وواقعيًا، أما ما يحدث في واقعنا فهو أكثر خيالًا من أن يصدقه القراء، لذلك فقد شعرت بأن كلمات (أنطون) مؤلفة بدقة.

ادعيت أمامه أنني غير مهتم وزدت في إدعاء السذاجة حينما تكلمت بعبارات محفوظة عن جمال الفراعنة والمصريين وجمال أرض مصر ووافقته وشجعته على تكملة هذا المشروع وأخبرته أنني سأتشرف بالعمل معه في هذا الواجب الوطني.

بعد كل ما قلته شعرت أنه لا يصدقني بشكلٍ كاملٍ، أو كأنه لم يتوقع مني هذه الطريقة في التعامل، أخبرني أنه ينوي أن يستعين بخبرتي في الفيزياء النظرية عندما تأتي الفرصة، وحتى تأتي الفرصة يمكنني أن أحضر بضعة أعمال من أعمالهم إن أردت بعد بضعة أيام، حددنا الموعد وكان الاتفاق أنني سأحضر لنفس المكتب الساعة التاسعة صباحًا لأبدأ أول يوم عمل لي معهم.

مرت الأيام وأنا أنتظر بقلق ما سأشاهده في اليوم الموعود، وتقابلت معهم في المكتب فعلًا في الساعة التاسعة لأجد أوتوبيس رحلات ينتظر

أمام العمارة وهناك ما لا يقل عن عشرين شخصًا روسيًا ينتظرونني بداخله، دعني أقول لك يا سيد (عصام) أنه كان مقلبًا سخيفًا منهم، فجميعهم يرتدي ملابس ملونة وبعضهم يحمل مظلات شمسية وآخرون يعلقون كاميرات فوتوغرافية على رقابهم، والسعادة ترتسم على وجوه الجميع، جلست بجانب أحدهم داخل الأتوبيس أحاول أن أستفسر منه عن وجهتنا لكنه جاوبني بالروسية، لأكتشف أن كل مَن حولي لا يتحدثون العربية، ذهبنا إلى الأهرامات بالجيزة واستعددت لأرى ماذا سيفعلون لأكتشف أن هناك مرشدًا سياحيًا مصريًا تابع لوزارة الآثار ينتظرنا، وأخذ يتكلم عن الأهرامات باللغة الروسية، وأنا أحاول البحث عن شيء مريب أو علامة على أن من معي علماء بمشروع إيزيس لكن بلا فائدة، طلبت من المرشد أن يترجم لي حوارًا بيني وبين أحد هؤلاء الروس، فعرفت المقلب، هؤلاء الروس هم علماء ومهندسون فعلًا، لكنهم يعملون بمشروع السد العالي، واليوم هو إجازة لهم لزيارة معالم مصر التاريخية.

فكرت بتركهم والعودة لبيتي بعد هذه الإهانة لكنني تحملت وأكملت اليوم معهم بل واستمتعت كثيرًا، ولكنني لاحظت شيئًا ما، فعندما كنت أجلس بجانب سائق الأتوبيس المصري ندخن ونتكلم لاحظت أن أحد هؤلاء الروس لا يتفاعل مع البقية وكأنهم لا يعرفونه، كما أنني شعرت بنظراته ناحيتي كثيرًا لكنني لم أشاهدها، هو شعور المراقبة الغريب الذي يدفعك للنظر خلفك باتجاه شخص معين، وخاصة وأن عدم الاهتمام بالآثار التي زرناها كان جليًا من بداية الرحلة، لذلك فقد قررت الحديث مع السائق المصري بشكلٍ يظهر أنه طبيعي ومستفيض لكنني كنت أتكلم معه عن مشاكل البلد والعلم في مصر وأن العلماء المصريين أقوياء كعلماء أمريكا وألمانيا لكنهم لا يقدرونهم هنا في هذه البلد، أتمنى أن لا يقرأ هذا التقرير غيرك لأنني لم أكن أكذب في كلامي مع السائق، فبرغم اهتمام مصر

الآن بالعلماء الشباب إلا أنها تجبرهم على الإبداع في خطوط معينة ترسمها الحكومة لهم ومثال على ذلك دراستي للفيزياء النظرية جعلت الحكومة تتركني في كثير من مشاريعها التسليحية مع عدم إعطاء فرصة للبحث النظري في مجالات كثيرة يمكن أن تنقل هذا البلد عشرات السنوات تقدمًا عن بلدان أخرى، وسأكتفي هنا في هذه النقطة لأنني لا أضمن أن يقع هذا التقرير في يد أحد القادة السياسيين ليفهمني بشكل خاطئ.

انتهت تلك الرحلة في المساء بالعودة إلى مقر المكتب في المعادي كما غادرناه صباحًا، صعدت للمكتب وطلبت مقابلة (أنطون) فقابلته لأخبره بأن هناك خطأ فيما حدث اليوم، لكنه استقبلني بترحاب شديدٍ وأخبرني بأن أحد أنشطة مشروع إيزيس هو تنظيم رحلات سياحية للروس في مصر حتى يتعرفوا بحضارتنا ويرتبطوا بها أكثر، لم أعلق وأبلغته تمنياتي أن أشارك في فاعليات تميل للعلم أكثر من السياحة، فلم يعلق بأكثر من أنهم سيتصلون تليفونيًا بي حين يبدأون بحثًا جديدًا.

بعد أسبوع تلقيت اتصالًا على هاتف منزلي من (أنطون) يطلب مني الحضور للمكتب، ذهبت لأجدهم قد أعدوا لي مكتبًا صغيرًا في غرفة وبجانب هذا المكتب ثلاثة مكاتب أخرى خالية، أخبرني (أنطون) أن هذا مكتبي ويمكنني أن آتي للمقر في أي وقتٍ سواء طلبوني أو لم يطلبوني، ولك أن تتخيل أنه مرّ إلى الآن أربعة شهور أذهب كل بضعة أيام أجلس في المكتب لساعات بلا عمل سوى مشاهدة بعض الروس الذين لا يجيدون العربية من وقتٍ لآخر في المكاتب الأخرى، أتمنى منك التدخل، وعلى كل حال سأقابلك لأعطيك هذا التقرير لأطلب منك نفس الموضوع.

***

أغلق الرئيس أول ثلاثة أوراق ونظر لعصام الذي جلس منتصبًا على مقعده وقال:

- (جابر) ده لسانه طويل أوي يا (عصام)، بس شكله بيفهم.

- مع الوقت يا ريس كنت بكتشف إنه عقلية قوية فعلًا وده اللي هاتلاحظه في التقارير الجاية.

- هو مين اللي إداله تدريب أمني عندنا قبل ما يدخل مشروع إيزيس.

- محدش، حتى بعد التقرير التاني اللي سيادتك هاتقراه حالًا أنا أصريت إنه ياخد توجيه أمني لكنه رفض علشان كان متأكد إنه لو التعامل بطبيعته هايكون فعال أكتر، والغريب إن كان عنده حق.

- أومال إزاي قدر يكشف مراقبة وراه وهو في الأتوبيس زي ما مكتوب وأتعامل معاها كمان.

قال الرئيس عبارته وهو يخرج علبة سجائره ثانية ولكن قبل أن يخرج منها سيجارة أعادها لجيبه وهو يقول:

- بلاش دلوقت، لما أخلص التقرير التاني.

لم يتحدث (عصام) وحتى لم يجرؤ على أخذ كوب القهوة من على المنضدة التي تراصت عليها أكواب القهوة والشاي والعصير حتى يبدأ الرئيس بنفسه.

***

(التقرير الثاني)

السلام عليكم يا سيد (عصام) أعتقد أنك الآن تفهم سبب كتابتي للتقارير وهو سبب منطقي، كي يتم تدوين التجربة بشكلٍ واضحٍ في حال تعرضي لمشكلة، ولأنه من الممكن أن أفقد بعضَ المعلومات مع الوقت

من ذاكرتي أو أبدلها مع معلومة أخرى كما أخبرتني عندما سلمتك التقرير الأول.

أعتقد أنني ناقشتك في المقابلة السابقة بشكلٍ واضحٍ عن أنني تعرفت على علماء من جنسيات مختلفة ولي صداقات عديدة جدًا بهم. بينما كثير ممن رأيتهم في مقر مكتب مشروع إيزيس لم يقتربوا من العلماء سواء من قريب أو بعيد، سأحاول تقريب صورة ما أرى أكثر لأنني لاحظتهم أكثر في الشهر المنصرم.

منذ شهور أهداني صديق بريطاني رواية لكاتب إنجليزي شاب يدعى «جون لو كارية» ولا أعلم هل الكاتب من أصول فرنسية أم لا لكن تلك الرواية التي صدرت من فترة قريبة باسم «الجاسوس الذي أتى من الصقيع» تحكي عن صراعات عملاء أجهزة المخابرات في أوروبا وخاصة صراعات أجهزة مخابرات أوروبا الشرقية مع مكتب الاستخبارات البريطاني، الرواية أشعرتني بأن عالم المخابرات الحقيقي لا علاقة له مع عالم روايات جيمس بوند ذي الصورة النمطية للجاسوسية، أقرب تصور لهدوء رجال المخابرات في تلك الرواية وخاصة رجال الكي جي بي يقترب ممن أتعامل معهم في المكتب هنا.

لذلك قررت أن أحرك المياه الراكدة قليلًا، واظبت في الأسابيع الأخيرة على الحضور للمكتب في مواعيد متقطعة أحمل معي جرائد ومجلات أتصفحها أثناء وجودي وفي نفس الوقت أتيت بكتبي الخاصة بالإشعاع والفيزياء بمجالاته وأخذت في إعادة مطالعتها مع تدوين بعض المسائل الفيزيائية الحديثة ومحاولة حل معادلاتها، وكل مرة كنت أترك بعض المجلات والكتب وملاحظاتي بشكل طبيعي إذا كنت سأرجع المكتب في اليوم الثاني لأكملها، وإن كنت سأغيب أحمل كل شيء معي عائدًا لمنزلي.

ما فعلته كان الغرض منه تنبيه بعضهم للتناقض في شخصيتي بين

معرفتي العلمية وعدم استغلالي لها لأنني لم أكن فضوليًا للاشتراك معهم بشكل حقيقي، وتمنيت أن يحاولوا فك المعادلات التي أتركها مهملة عبر المكتب، انتظمت على تلك العادة لما يقرب من شهرين حتى دخل عمّ (أنطون) وأنا أقرأ أحد الجرائد في يوم ما وهو يجر معه شاب روسي مذهول الملامح دائمًا، عرفني عليه بأنه مهندس فيزياء ديناميكية هوائية يساعدنا كمصريين في التعامل مع بعض أنواع الطائرات الحربية، وأنه لا علاقة له بمشروع إيزيس، هذا المهندس لا يتحدث العربية مطلقًا وهو فعلًا مهندس فيزيائي بحق لأنه يتعامل بشكل طبيعي كبقية العلماء الذين أعرفهم، طلب (أنطون) أن يكون هو المترجم بيننا لأن هذا المهندس وجد بعض المعادلات بالصدفة في مكتبي فطالعها ويريد مناقشتها معي.

رحبت به برغم شعوري أن هذا المهندس مجبر على هذه المحادثة وأن (أنطون) هو الذي يريد مناقشتي لكنه يستخدم هذا المهندس ليتأكد منه مما سأقول، يتكلم المهندس بالروسي و(أنطون) ينقل للعربية وأنا أجيب بالعربية بنبرات بطيئة كي تترجم للروسية، ما هي المعادلات التي كنت أقوم بها، فأخبرته بأنها معادلات بدأها العالم الأمريكي «جون ويلر». تختص بظاهرة يحب أن يسميها هذا العالم باسم الثقوب السوداء برغم أنني لا أراه اسمًا علميًا لكنني أحاول مساعدته في تلك المعادلات على إثبات تلك الفرضية وخاصة أن هناك معادلاتٍ نظرية أخرى تتم الآن للعالم الكندي «ويرنر سرائيل». عن نفس الموضوع ويبدو أن خطواته أسرع منا بكثير.

زاد الدهاش المهندس الروسي أكثر برغم أن ملامحه الطبيعية عبارة عن الدهاشة كبيرة، أما (أنطون) فقد أدار حوار معه لدقيقتين بالروسية بدون أن يترجم لي، عاد ليسألني هل أميل إلى تفسيرات النظرية النسبية ومعادلاتها أكثر أم أميل لنظرية الفيزياء الكمومية لأن المهندس لاحظ معادلات أخرى لي تشبه معادلات الفيزياء الكمومية، ابتسمت لهما وأنا

أشرح باستفاضة أنه في رأيي ليس هناك ثلاثة أنواع من الفيزياء وليس نوعين، الفيزياء العادية أو الكلاسيكية وهي التي نعمل بها في حياتنا حتى اليوم مثل قانون الجذب وغيرها وهي ناجحة على مستوى طبيعتنا العادية، والنوع الثاني فيزياء النسبية كما أحب أن أسميها وهي نظرية النسبية بأنواعها لتفسير الأجسام الضخمة وقوانينها كحركة الكواكب والأفلاك والنجوم والكون بشكل عام متضمنًا النسيج الكوني وأبعاده.

أما الفيزياء الثالثة فهي النظرية الكمية أو الفيزياء الكمومية (أترجمها كمومية يا سيد (عصام) ولكن لها أكثر من ترجمة في رأيي)، وهذا النوع من الفيزياء يتعامل مع الأجسام الذرية وما دونها، فكل ما يتعلق بالأحجام المتناهية في الصغر كالذرة والأصغر منها يحتوي على قوانين مختلفة تمامًا عن عالمنا الطبيعي، قوانين أعلم أن أغلب العلماء لا يقتنع بها لكنها قوانين ناجحة جدًا ولها مستقبل لامع ربما يتخطى قدرة النظرية النسبية في تفسير الكون ونشأته.

ومع كل هذا فأنا أفضّل محاولة التوفيق بين النسبية والفيزياء الكمومية لأن كل ما يحدث في الكون الضخم يكون بتأثير مباشر من الأجسام الدون الذرية.

دار حوارٌ أطول هذه المرة بين المهندس المندهش و(أنطون)، وبين الحين والآخر ينظر لي بطرف عينيه حتى نهض المهندس وحيّاني بهزة من رأسه مغادرًا الغرفة، و(أنطون) ينظر لي طويلًا بتفكير حتى إنني بدأت بالقلق حتى أخبرني أنه يعلم من أنا ويدرك خبرتي العلمية العالية وفي نفس الوقت لا يصدق أن الحكومة المصرية ترسل عالمًا حقيقيًا ليمثل الجانب المصري المشرف على مشروع إيزيس.

حتى لو أن المصريين أرسلوا عالمًا فسيدربونه أمنيًا كي يخترق المشروع وهذا بحسب رأي (أنطون) ليس لقوة الأجهزة الأمنية المصرية بل لأن الكي

جي بي هم من دربوهم ومستحيل أن يتعاملوا بهذا التراخي في قضية بهذا الحجم.

برغم أنه كان يتحدث لي بانفعال إلا أنه حاول الحفاظ على ابتسامته طوال وقت المحادثة، أما أنا فقد التقيت طرف الخيط من كلامه وقلت له بأنه أخبرني في بداية التحاقي بالمشروع أنه مشروع تثقيفي فما سبب التدخل الأمني الذي ينتظره، كما أن الحكومة المصرية لم ترسلني بل إن العميد (عصام الدين خليل) أرسلني لهنا كشكلٍ من أشكال العقاب لشعوره بأن الرئاسة تضعني في مكتب الاستخبارات العلمية الحربية الذي يترأسه كي أراقب حركاته، وفي نفس الوقت أراد أن يضايق المشروع قليلًا ضاربًا عصفورين بحجر واحد.

اعذرني يا سيد (عصام) لما اضطررت أن أقوله عنك ولكنها كانت الطريقة الطبيعية لسير الأمور فكما قلت لك لا وجود لأسباب منطقية في العالم الواقعي وبسبب ما قلت شعرت بأنه صدّقني بسبب وجود تلك المصادفة التي لا تحدث في الروايات الخيالية لكن في أرض الواقع صدقني (أنطون) وقد ظهر ذلك بوضوح على وجهه وهو يخبرني أنه قد شعر بخدعة في وجودي معهم لكن ولأنه يحتاج رأيي العلمي في بعض الأشياء سيشركني معهم لأن معظم علماء المشروع ليست لهم خبرة في الفيزياء الكمومية وفي نفس الوقت قال إنني لو أخبرت أحدًا ما سأراه في المشروع فلن يصدقني فتصبح المعادلة مظبوطة، يستفيد هو من رأيي العلمي ولو تحدثت أنا سأصبح مجنونًا.

تركت كلماته تلك أسوأ تأثير عليّ حتى إنني فكرت بعد عودتي لمنزلي أن أعتزل تلك المهمة لكن هاتف منزلي رن لأجد (أنطون) يطلب مني الحضور الليلة الساعة الحادية عشر مساءً لمقر المكتب مرة ثانية برغم أنني غادرته منذ ساعات.

حضرت في الموعد لأجد (أنطون) ينتظرني أمام باب العمارة في سيارته الخاصة ويطلب مني الركوب بجانبه، لم نبتعد عن المكتب كثيرًا فقد ذهبنا لمنزل على أطراف المعادي أعتقد أنه خليط من نمط الفيلل القديمة والمنازل الحديثة، طابعه خليط بين النمط المعماري المصري والنمط البريطاني والقدم يظهر عليه جليًا، وخاصة أن له حديقة صغيرة مهملة أشعرتني بكآبة وحزن وأنا أمر فيها بجانب (أنطون).

أعلم يا سيد (عصام) أنني سأحكي لك كل ما سأكتبه في التقرير عندما أسلمه لك وجهًا لوجه، لكن الغريب أنني كلما اقتربت من هذه الحكاية أشعر بالخوف يعود لي ثانية وأنا أكتب تفاصيلها وخاصة أنني الآن قد عدت من ذلك المنزل وأجبر نفسي إجبارًا على كتابة ذلك التقرير كي لا تضيع مني التفاصيل، ومن هذه اللحظة لن أخبرك من أعطاني التفاصيل لكن سأصف لك ما عرفته وشاهدته مباشرة.

هذا المنزل بني في بداية هذا القرن لتاجر أثاث مصري اسمه (عبد الهادي السناري)، بنى المنزل على أطراف المعادي على مساحة 600 متر بحديقة صغيرة له ولعائلته المكونة من زوجتين وتسعة أولاد، المنزل مكون من طابقين، غرف النوم كلها بالأعلى وغرف المكتب والخدام والاستقبال والبهو كلها في الطابق الأرضي، البدروم تحت الأرض مهمل جدًا ولا يحتوي على شيء سوى كراكيب المنزل عبر العصور.

سكن (عبد الهادي) وعائلته في هذا المنزل لعشرين عامًا حتى تزوج كل أبنائه ماعدا ولدًا واحدًا، استيقظ أهل الحي على جريمة مقتل (عبد الهادي) وزوجته وابنه وخادميه، لصوص مجانين اقتحموا المكان ليلًا واشتبكوا مع (عبد الهادي) وابنه بهمجية وعدم تخطيط حتى مات أحد اللصوص في المنزل وهرب البقية بعدما قتلوا الجميع، جثة اللص تم التعرف عليها ووقع بقية اللصوص في قبضة الشرطة المصرية وكانت

قضية مشهورة في تلك الأيام انتهت بالحكم بالإعدام على الثلاثة لصوص المقبوض عليهم، بقية أبناء (عبد الهادي) أغلقوا المنزل حتى عام 1936 عندما عرض عليهم طبيب إيطالي مقيم في مصر شراء المنزل بسعر كبير.

وافق الأبناء واشترى الرجل المنزل وأعاد إعماره وغيّر في بعض الديكورات والأثاث والدهانات ليناسب الطابع العصري لتلك الفترة، كان الطبيب أعزب يضع كامل همه في عمله الطبي في مستشفى القصر العيني وبعيادته القريبة من المنزل بالمعادي، طبيب الباطنة في مصر كان مهمًا في تلك الفترة لأنه يمس معظم الأمراض التي اشتهرنا بها، حتى إن الرجل اكتسب سمعة محترمة وسط كل طبقات المجتمع الراقية والمتوسطة والفقيرة فكان صديقًا للجميع يزور كل معارفه بانتظام لكن لا أحد يزوره في منزله، في شهر مايو عام 1942 اختفى الطبيب الإيطالي فجأة في ذروة الحرب العالمية الثانية ومع اقتراب (رومل) قائد الفيلق الأفريقي لقوات المحور من مصر، لم يتساءل الكثيرون عن سبب اختفاء الطبيب وأغلق منزله لأيام بعلم الحكومة المصرية حتى طلب الجيش البريطاني في مصر توفير أكبر قدرٍ من المساكن في مناطق المعادي ليعيش بها جنود قوات الحلفاء الذين يأتون من بلاد أوروبا ففتحت الكثير من المنازل المغلقة التي لم يُستدَل على أصحابها أو ماتوا من فترة كما تم تأجير البقية سواء بالرضا أو بالإجبار.

حتى استلم الجيش البريطاني هذا المنزل ليقيم داخلة 80 جندي من الأستراليين والكنديين والبريطانيين إقامة نوم فقط.

بدأ الجنود يعانون من كوابيس مرعبة وأحداث غريبة لم يتحدثوا عنها إلا بعد مرور أسبوعين على إقامتهم في المنزل، يسمعون أصوات صراخ تأتي من اللامكان في أوقات مختلفة من اليوم، ولأنهم من بلاد مختلفة فقد اعتقدت كل مجموعة من الجنود تنتمي لبلد أن المجموعة الأخرى تقوم بهذه الأصوات كمقلب سخيف ليختبروا شجاعة المنتمين للبلد الآخر.

استمرت الأصوات والصرخات على مدار الأيام واستمرت معها الاتهامات حتى بدأت المشاهدات، رجل يسير في بهو الصالة تغرق الدماء ملابسه ووجهه، أصوات أقدام سريعة كأنها تهرب من شيء ما، يستيقظ أحد الجنود فيجد رجل يحدق فيه بعين واحدة والأخرى مفقوعة تجلطت الدماء عليها، يصرخ الجندي فيختفي الرجل ببساطة.

لا يعلم ما الذي حدثَ لكن في ليلة نهض جندي كندي وأمسك بخنجرٍ صغيرٍ يحمله معه في حقيبته الحربية وقتل بها جنديان أحدهما كندي والآخر استرالي ثم طعن نفسه.

بدأ الجيش البريطاني تحقيقًا سريعًا لم يتوصل معه لشيء محدد لكن لظروف الحرب تم ترحيل الجنود من المنزل مع إخضاع بعضهم لعلاج نفسي وأغلق المنزل وأغلق معه التحقيق لأن (رومل) ببساطة كان على أعتاب العلمين واقترب ميعاد الحرب فلا وقت لهذه الأمور التافهة بالنسبة لقوات الحلفاء.

انتهت الحرب وظل المنزل مغلقًا حتى عام 1958 عندما تم فتحه من قِبَل الشرطة العسكرية للجيش المصري وعرضه للسكن، وهذه العروض كانت مخصصة في الأصل لضباط الجيش المصري فكان المنزل من نصيب مقدم شاب انتقل له هو وزوجته وابنه مقابل إيجار رمزي شهريًا بعد التأكد من عدم وجود ورثة لصاحب المنزل بمصر.

أعصاب الضابط الشاب قوية فلم يؤمن بأي أصوات صراخ يسمعها واعتبرها من خياله، لكن زوجته وابنه هما من وقعا فريسة للخوف والرعب من الذي شاهداه، لم يحك الضابط لأصدقائه أكثر من أن عائلته تتخيل أشياء تافهة ويطلبون منه مغادرة المنزل، تحمَّل الضابط الشاب الخيالات وصراخ عائلته في بعض الليالي حتى عام 1960 عندما ترك المنزل،

ومنـذ هـذا الوقت أصبح مغلقًا حتى علم (أنطـون) بحكايتـه مـن مصدر موثـوق وبحث وراءه وهـا هـم يقومـون بتجارب عليـه.

عندما دخلت للمنزل وجدتـه أكثر بشاعة مما تخيلتـه، أنماط مختلفة مـن الأثـاث بعضهـا محـلي والآخـر أوروبي التصميـم مـع لمحـة مـن عـدم الـذوق داخل بهو المنزل من خلال دهانـات بألـوان غير متناسـقة إلى لمبات إضاءة ركبت على عجل وأثر أسمنت في السـقف في مواضـع اللمبات يبدو أنـه ركب منـذ سـنوات قليلـة، أما مـا لم أفهمـه هـو وحـدات إضـاءة كالتي تنصب في أسـتديوهات التصويـر تملأ البهـو وكلهـا مغلقـة، وداخـل الصالة وجد ثلاثة مـن الـروس يرتـدون ملابـس النـوم ويجلـس أحدهـم عـلى أريكة قديمة وأمامه زجاجة فودكا وكوب زجاجـي ويبـدو عـلى هـذا الرجـل البرود، أما الاثنـان الآخـران فكانـا أكثر ودًا عندمـا عرفهـما (أنطـون) عـليّ، لا أتذكر أسماءهما لكنـي أتذكـر اسـم مـن كان يتنـاول الفـودكا، اسـمه (فاديـم)، أكاد أجـزم أنـه قـد أتى مـن نفـس العـالم الـذي أتى منـه (أنطـون)؛ نفـس البرود والثقـة بالنفس بالإضافة إلى تحدُّثه اللغـة العربيـة بلهجتهـا المصريـة بطريقة جيـدة، أمـا الاثنـان الآخـران فـلا يعرفـان مـن اللغـة العربيـة سـوى «مسـاء الخـير»، «صبـاح الخـير»..

هـذان الاثنـان عالمـان، أحدهـما في فـرع في الهندسـة لم يسـتطع (أنطـون) أو (فاديـم) ترجمتـه للعربيـة أو شرحـه، والثـاني حاصـل عـلى ماجيسـتير في الهندسـة الكهربيـة مـن موسـكو.

هـل تعلـم يـا سيد (عصـام) مـاذا يفعـل هـذا الخليـط الغريـب في هـذا المنـزل؟، إنهـم يريـدون التواصـل مـع الـروح أو الكيـان الـذي يسـكن هـذا المكان ومـن ثـم يأمرانـه بفعـل أشياء معينـة، هـل شـاهدت جنونًـا مثـل هـذا مـن قبل؟ يريـدون استخدام الـروح لأغراض عسـكرية أو عـلى الأقـل التوصل لمصـدر طاقتهـا واسـتغلاله.

كيف يفعلون هذا؟ يملأون المنزل بكاميرات تشبه كاميرات السينما ومعدات من الإضاءة وأجهزة تسجيل صوت وينتظرون هنا منذ أيام يستفزون الروح بتحريك ساعة وضعوها على منضدة في غرفة المكتب من موضعها، وقد رسموا حول الساعة خطوطًا تحدد موضعها بدقة كي يحسبوا عدد السنتيمترات التي تحركتها الساعة.

يقول (فاديم) بأنهم نجحوا في تحريك الساعة في بعض الأيام لكنهم كلما استيقظوا من النوم يكتشفوا أن هناك أشياء أخرى تتحرك في غرفة المكتب، فهناك دولاب للخمر كان قد وضعه الطبيب الإيطالي الذي عاش قديمًا هنا يفتح من تلقاء نفسه ويسمعون جميعًا طرقات به، وهناك كتب بلغات كثيرة في مكتبة بجانب دولاب الخمر تقع كثير من تلك الكتب صباحًا.

حجم الكتب أثقل من حجم الساعة ومع ذلك تتحرك الساعة حركة بسيطة بينما تطير الكتب من المكتبة في أوقات أخرى، بشكل عام تأتي أصوات صراخ من جميع أنحاء المنزل وهناك بعض المشاهدات لاحظوها ولم يستطيعوا تسجيلها على الكاميرات فقد كانت تظهر كضوء أبيض ساطع، لكنهم لاحظوا أن غرفة المكتب هي أكثر غرفة تتحرك فيها الأشياء.

أعرف أن العلم لا يعترف بهذه الأشياء، لكنني عرفت في نفس الوقت لم سألني (أنطون) عن إيماني بالفيزياء الكمومية؛ لأنها قريبة جدًا من خيالات الأشباح والعفاريت التي يراها العامة، لكنني ظللت مصدومًا لدقائق بعد دخولي المنزل لا أصدِّق ما يقال، ولعبت الظنون برأسي عن إمكانية أن يكون هذا مقلبًا جديدًا من (أنطون) لكنهم أسمعوني صوت تسجيل به صرخات وصوت يتحدث بلغة لا أفهمها وربما هي لغة لا يفهمها بشر، صوت يهمس بسرعة ويصرخ فجأة وسط الهمس ثم يعود للهمس مجددًا.

جلست على أقرب مقعد في بهو الصالة أختبر لحظات الخوف وأنا أنظر لوجوههم الباردة الهادئة كأنهم في سهرة عائلية مملة قد تعودوا عليها، أعرف أن التعود يقتل الخوف، لكنني لم أتعود على هذا الجنون ولم أفهم سبب اجتماع عالمين في الهندسة مع (فاديم) ليطلبوا من الروح تحريك ساعة، أي شخص يمكن أن يفعل ما سيفعله هؤلاء، أم إن هذا يشبه أن تتخرج في مصر من كلية الحقوق فيأتي جواب التنسيق ليبشرك بالعمل في مصلحة الأرصاد!، هل نفس النظام يسري على الاتحاد السوفييتي ويجمعون العلماء بشكل عشوائي ليحققوا في ظواهر غامضة لا تمس العلوم التي درسوها بصلة؟

استغرقت نصف ساعة تخللها عرض من (فاديم) بأن أشرب كأسًا من الفودكا وبالطبع رفضت ثم بعض الأسئلة عن تخصصي في الهندسة، وسط الأسئلة قام (أنطون) بتشغيل راديو صغير على منضدة بجانب السلم فسمعت صوت أم كلثوم يتغنى بأغنية لم أتبينها في البداية من التشويش، لكنني أنصتُّ لها فعرفت أنها أغنية (مادام تحب بتنكر ليه)، تعرفت عليها بصعوبة وسط التشويش لكنني تذكرت شيئًا آخر.

في هذا التوقيت لا تذاع أي أغاني لأم كلثوم على أي محطة عربية، نظرت لهم وسألت أي تردد هذا الذي تستقبلون عليه أغنية أم كلثوم فأجابني (فاديم) أنه تردد الإذاعة المصرية العادي وهم كثيرًا ما استقبلوا أغانيها هي وأغاني ليلى مراد.

هذه الأغنية لا يعلمها كثير من محبي أم كلثوم بسبب أنها من فترة ما قبل ثورة 23 يوليو ولم تهتم الإذاعة بإذاعتها في آخر خمسة عشر عامًا، ولأنني من عشاق صوت أم كلثوم وأمتلك أسطوانات كثيرة لحفلاتها الخاصة فأنا أتذكر أن تلك الأغنية ظهرت بين عامي 1941 و 1942، كما أن أغاني ليلى مراد توقفت الإذاعة عن عرضها منذ فترة طويلة.

جريت على الراديو أغلقه وأنا أطلب من (أنطون) مساعدتي لنقله لغرفة المكتب، ساعدني الكل بدون أي أسئلة وهذا ما أدهشني في البداية، شددنا قابس الكهرباء وحملنا الراديو لغرفة المكتب ووضعناه على منضدة بجانب فتحة كهرباء ثم أوصلنا وشغلناه، البداية كانت تشويش قوي، بغتة قفزت ثلاثة كتب من المكتبة، أمسكت بهم وكانت كلهم كتب طبية باللغة الإنجليزية، انفتح باب دولاب الخمور بقوة مصدرًا صريرًا مرعبًا، بدأ تشويش الراديو يقل وسمعنا لأول مرة أصواتًا متقطعة جعلتنا ننظر بعضنا لبعض بدهشة، أصوات مع مرور الوقت ميزناها جميعًا صوت صفارات متقطعة تمثل شفرة موريس.

لقد كان استنتاجي سليمًا، أغنية أم كلثوم كانت في نفس فترة اختفاء الطبيب الإيطالي مالك المنزل السابق، وكأن الذبذبة التي يستقبلها المنزل للإذاعة محبوسة بداخله، فأردت سماع أي شيء في المكتب ربما استقبلت شيئًا جديدًا، لكن ما لم أتوقعه أن أستقبل شفرة موريس، جرى (فاديم) وأحضر ورقة وقلما وبدأ بتدوين خطوط الصفارات المتقطعة على الورقة، ظل كذلك لفترة طويلة حتى توقف (فاديم) عن الكتابة وقال إن المقطع يعيد نفسه بلا توقف.

أمسكت أنا بالكتب مرة ثانية أتصفحها فنظر (أنطون) لفاديم وتبادلا كلمات بالروسية عرفت فيما بعد أنهم يقترحان نظرية غريبة، الطبيب الإيطالي كان جاسوسًا لقوات المحور وقبض البريطانيين عليه أو قتلوه وهو يرسل رسالة لقوات المحور، أخذ (أنطون) الكتب الطبية مني وتأكدت شكوكه بأنها كتب تحتوي على مفاتيح شفرات كي يفك الطبيب الإيطالي الرسائل الشفرية في حالة أرسلت إليه على جهاز الراديو.

هناك شيء في دولاب الخمور هو الآخر، نبهتهم لذلك فحاول المهندسان فحص الدولاب لكن ما حدث جعل الشعيرات على ساعدي تقف منتصبة،

صوت الصفارات المتقطعة ما زال يأتي من جهاز الراديو ومن داخل دولاب الخمور المفتوح يخرج رجل شِبه شفاف، رجل يرتدي قميصًا وسروالًا بحمالة كتف، الدماء تغرق وجهه وإحدى عينيه مفقوعة.

خطا على الأرض بخطوات مسموعة بوضوح وهو يسير وسطنا، أغرب موقف تعرضت له مع هذه المجموعة، فجميع من كانوا في الغرفة ينظرون بدهشة لهذا الرجل بينما أنا الوحيد الذي ينظر بخوفٍ ورعب، خطى حتى اقترب مني ولم يبقَ بيني وبينه أكثر من متر واحد، نظر لي بعينه الوحيدة يتفحصني ثم نظر حوله يتفحص بقية مَن بالغرفة ثم خرج إلى بهو المنزل بخطوات بطيئة، بمجرد خروجه سمعنا صوت شيء يتحرك في الخارج.

خرجوا جميعًا بسرعة وتبعتهم جريًا خوفًا من أن أظل وحيدًا فلم نجد الرجل بل وجدنا أحد مقاعد البهو قد تحرك لعدة أمتار من مكانه، ابتسموا جميعًا وتحدثوا بالروسية كأنهم يهنئون بعضهم حتى إن (فاديم) أخبرني بفرحة أنني نجحت في إثارة تلك الروح لدرجة أنها حركت مقعد من موضعه.

هؤلاء المجانين لم يشعروا بذَرة خوف وبرغم أن هدوءهم هو ما منعني من الصراخ على قدر ما اندهشت من ثباتهم الغريب في ذلك الموقف، طلب مني (فاديم) أن أعيش معهم في هذا المنزل لمحاولة السيطرة على تلك الروح لأنني نجحت في أول ساعة في إثارتها وكشف غموضها، لكنني طلبت منهم كوبًا من الماء معه كوب من أي مشروب ساخن لألتقط أنفاسي.

ومع سيجارتي وكوب شاي مذاقه غريب قدّمه لي (أنطون) أخبرتهم أنني أريد الانسحاب من تلك التجربة المجنونة، (فاديم) حاول أن يقنعني

بأنني أمام بحر من الاكتشافات الخاصة بخواص الذرة وتكوين الروح والوعي وغيرها من الأشياء التي ستحدث ثورة علمية لكنني طلبت العودة لمنزلي الآن.

وافقوا على مضض وقبل أن أغادر مع (أنطون) توقفت وأنا أصيح بفاديم بكلمة «قفص فاراداي». ، المهندسان انتبها لكلمتي لكن (فاديم) و(أنطون) طلبا مني شرحًا فطلبت منهما ورقة وقلمًا وعدت لأجلس وأنا أرسم على الورقة وأشرح لهم فكرتي.

طالما أنهم يريدون دراسة تلك الروح بشدة وبما أن البيت بشكل ما يحتفظ ببعض الذبذبات الكهربية منذ عام 1942 فيمكن إنشاء قفص مصنوع من النحاس لأنه مادة موصلة للكهرباء، ذلك القفص يمنع أي تيار كهربي من دخوله وفي نفس الوقت يمنع أي شحنات كهربية من مغادرته.

رسمت لهم رسمًا تقريبيًا لفكرة عمل قفص فاراداي وطلبت منهم أن يقوموا بتصميم واحد داخل المكتب على كامل جدران غرفة المكتب من الداخل، ويكون له باب يفتح ويغلق بسهولة، وعندما تثار تلك الروح مرة أخرى في المكتب يغلقوا القفص وهم داخله، فلو كانت تلك الروح هي بقايا شحنة كهربية ما كذبذبات الراديو القديمة فستسجن داخل «قفص فاراداي» ويمكنهم دراستها عن قرب، حتى إنني كتبت لهم بالإنجليزية على الورقة بعض المواد الموصلة للكهرباء التي يمكنهم استخدامها ليصنعوا ذلك القفص، بينما المهندسان ينظران للورقة ويشيران برأسيهما علامة الموافقة و(فاديم) يترجم لهم كلامي للغة الروسية.

تركتهم وأوصلني (أنطون) لسيارتي أمام مقر مكتب المشروع مرة ثانية وهو يطلب مني لقائي بعد ثلاثة أيام عندما يعود من السفر لأنني بما قدمته الليلة سيتغير كل شيء.

هـذه هـي نهايـة تقريـري ولا أكـذب إن قلـت لـك إننـي لم أتمالـك أعصابي منـذ عـدت لمنـزلي ومازلـت أنظـر حـولي فجـأة خوفًـا مـن أن أرى الطبيـب الإيطـالي المقتـول ينظـر لي بعينـه الوحيـدة، لا أعـرف مـا الـذي سـأقبل عليـه لكننـي أشـعر بـأن حيـاتي تتغـير وأن العلـم سـيختلط بالخيـال في مزيـج أخـاف أن لا أسـتطيع فصلـه فيـما بعـد.

***

وضـع الرئيـس كـوب القهـوة بجانبـه وأخـرج علبـة سـجائره ثـم أعطـى واحـدة لعصـام وأشـعل لنفسـه واحـدة وهـو يسـترخي في مقعـده ويفكـر.

- أوعـى يـا (عصـام) يكـون (فاديـم) الـلي مكتـوب اسـمه في التقريـر ده هـو ظابـط «الـكي جـي بي (فاديـم كيربيتشـينكو)»

أخرج (عصام) دخان السيجارة من فمه وهو يقول:

- (كيربيتشـينكو) كان في العـراق في نفـس وقـت كتابـة التقريـر ده، وأنـا اتأكـدت مـن (جابـر) لمـا قابلتـه ووريتـه صـوره لكيربيتشـينكو وماطلعـش هـو.

أراح الرئيـس ظهـره أكـثر في المقعـد وبـدا كأنـه يفكـر في شيء مـا، مـر مـا يقـرب مـن دقيقـة وهـو في هـذا الوضـع حتـى نظـر لعصـام وقـال:

- إيـه الـلي يخـلي الجماعـة الـروس يفكـروا في الخرافـات دي؟ دا أنـا افتكـرت إنـك هاتجيبـلي تقاريـر بتقـول إنهـم بيجنـدوا مصريـين أو بينـشروا الفكـر الشـيوعي.

- الـروس ماعندهمـش فـرق بـين الخرافـات أو الحقايـق، طالمـا يقـدروا يسـتغلوا أي حاجـة في الفكـر العسـكري هـا...

قاطعه الرئيس قائلًا:

- فكـر عسـكري إيـه، انـت جـاي تقـولي بيفتحـوا المنـدل ويضربـوا الـودع

وعايزني أصدق، طب دول عالم مهابيل سيبهم يعملوا اللي هما عايزينه طالما هما بعيد عن الأمن المصري.

بسبب التفكير ده أنا مافكرتش أعرض التقارير على سيادتك، لكن لما الموضوع وصل لدرجة كبيرة من التدخل في مصر قدرت أهمية كلام (جابر) وشكه فيهم من الأول.

نظرات الرئيس كانت تنم عن رفض منطق (عصام) والاستهزاء به، عاد ليكمل نظر في الورق بملل متمنيًا أن يصل لأي شيء يعتبره هامًا.

***

(التقرير الثالث)

هذا التقرير ستجده مرسلًا مع السيد (أمجد) الذي يعمل معك بالمكتب وأعتقد أنني لا يجب أن ألتقي بك بشكل طبيعي في مكتبك يا سيد (عصام) أو حتى في مكان عادي منذ هذه اللحظة، يجب أن تجد طريقة لكي أوصل إليك التقرير القادم لأن السيد (أمجد) أخبرني بأنه انتدب للعمل بالسفارة المصرية في فرنسا ولا أعرف موعد عودته لمصر، وأنا لا أثق إلا فيه من بعدك في استلام التقارير، آخر مرة قابلتك اتفقنا على عدم إرسال تقارير أو الاتصال بك قبل مرور عدة أشهر حتى أكون قد حصلت على الكثير من المعلومات القيمة وكي يمكنهم الثقة بي أكثر.

صدقني وصلتني رسالتك التي استنبطتها من حديثك معي، تقريري السابق الذي سلمته لك ومناقشتي معك أزالت من قلبك أي خوف من مشروع إيزيس لأنك شعرت بأن هذا المشروع بعيد عن أعمال الاستخبارات الدولية ويدور حول تحضير الأرواح ودراسة الأساطير وغيرها فأردت إيصال رسالة غير مباشرة لي بأن لا أثقل عليك بالتقارير حول ما أفعله مع هؤلاء الروس المجانين.

سيد (عصام) أحب أن أبشرك بعد مرور أكثر من عشرة أشهر على آخر تقرير سلمته لك أنك مخطئ، لقد وفقتك لسبب واحد أن تبحث عن دليل حقيقي يجعلك تهتم بما يحدث، وها أنا الآن أحد أركان هذا المشروع وفي جعبتي الكثير من الحقائق التي تهمني أنا شخصيًا لا أعرف هل ستهتم بها أم لا لكن العجلة دارت ولن يستطيع أحدهم أن يوقفها.

مبدئيًا كل ما عرفته عن المشروع سابقًا كان معلومات صحيحة بنسبة 20% والباقي خاطئ، وأول ما سأخبرك به أن هذا المشروع سمي باسم إيزيس لأنه يرمز لكل ما يتعلق بمصر، وأما المشروع نفسه فهو يتلخص في الآتي:

«نائب رئيس الحزب الاشتراكي القومي العمالي في ألمانيا والذي نسميه نحن الحزب النازي الذي تزعّمه هتلر، نائبه في رئاسة الحزب «رودلف فالتر هس». والذي سُجِنَ في بريطانيا عام 1941 ومازال مسجونًا إلى هذه اللحظة قد بدأ مشروعًا طموحًا في الثلاثينيات من هذا القرن يقوم على دراسة المصريات بحثًا عن أسرار الفراعنة في البناء وإقامة الحضارة لكن المشروع النازي كان له إيمانًا خاصًا بأن الآلهة المصرية القديمة ليست رموزًا قدسها الفراعنة، بل هم حضارة متطورة مرت بكل مراحل تطور الحضارات والأمم الطبيعية لتصل إلى أفكار في الطب والكيمياء والعمارة والحرب أكثر تطورًا من أفكارنا الحالية، ولكن لأسباب غامضة اندثرت تلك الحضارة وبقي أحفادهم يقدسونهم كرموز داخل أرض مصر.

إيمان «رودلف هس» هو والكثير من علماء النازية بهذه الأشياء هو ما دفعهم لبداية مشروع باسم «الإله المجنح» لدراسة أسرار الفراعنة ولأن «رودلف هس». وُلِدَ في محافظة زفتى بمصر وعاش بها فترة طويلة قبل ذهابه لسويسرا للدراسة فلغته العربية جيدة بدرجة عالية، ومعارفه في زفتى والإسكندرية والقاهرة مكنّوه من الوصول لعدد ضخم من تجار

الآثار بل وبدأ حملات سرية للتنقيب عن الآثار، تلك الحملات أسفرت عن مئات القِطَع الأثرية التي قاموا بتهريبها لألمانيا سرًا، منها قطع أثرية نادرة ترصد تاريخ المصريين القدماء، وعشرات القِطَع والبرديات والمخطوطات التي تشبع الرغبة الأوروبية في إضفاء خيالات أسطورية على المصريين، كربط حضارة أطلنطس بالحضارة المصرية، أو البحث تحت تمثال أبو الهول للوصول إلى غرف سرية ربما كانت مستودعًا لأسرار الفراعنة.

كل أمة متطورة مازالت تحمل داخلها إيمانًا بالقوى العليا غير المرئية، ولا أقصد هنا الإله، بل أقصد السحر والعفاريت والجان عند المناطق الشرقية، والفضائيين وأصحاب القوى الخارقة عند المناطق الأوروبية، فألمانيا كانت تبحث عن أصولها وجذورها في حضارة الفايكنج لتستمد منها أفكارها عن التطور، لكن يبدو أن الفايكنج لم يشبعوا نهمهم للحضارات الغابرة فبحثوا في مصر القديمة، وخرجوا بتفسيرات غريبة اعتمادًا على ما قاموا بتهريبه من بلدنا، منها تفسير أن المصريين القدماء قبل عصر الأسرات الذي نعرفه كانوا قد امتلكوا تكنولوجيا حربية مخيفة هي ما مكنتهم من السيطرة على حدود الدولة المصرية طوال آلاف السنين السابقة بالرغم من تغيُّر حدود كل دول العالم في الأوقات الغابرة، وأن هذه التكنولوجيا ورثها أحفادهم لكنها ظلت حكرًا على الكهنة وعلى الأسرات التي حكمتنا، وفي رأيهم تلك التكنولوجيا كانت أرقى بكثير مما نعرفه الآن، تكنولوجيا لا تستخدم وقودًا أحفوريًا مضرًا للبيئة، لا تستخدم ثروات باطن الأرض من المعادن بشكل جائر، تكنولوجيا اندثرت مع الوقت بسبب احتكارها من قبل الكهنة لكن أسرارها مازالت موجودة في المقابر الفرعونية.

على حسب ما عرفت فإن بحثوهم عن تلك الأشياء الجنونية تركزت على الأسلحة، لم يصلوا لمبتغاهم بسبب بدء الحرب العالمية الثانية، وكما تعرف يا سيد (عصام) أن الرايخ الثالث الألماني بعدما وقع منهزمًا عام

1945 قامت دول الحلفاء بتوزيع تركته العلمية والعسكرية فيما بينها، أمريكا أخذت تركة ألمانيا النازية الخاصة بعلوم الطيران والاتحاد السوفيتي حصل على أسرار الصواريخ ومنظوماتها، وفرنسا وبريطانيا اكتفوا بالأبحاث الزراعية والطبية وبعض الأنظمة العسكرية لأنهم كانوا الطرف الأضعف في نهاية الحرب، وكما تم هذا التوزيع الذي اعتمد على من يخطف الفرصة أولًا، تم توزيع الأبحاث والمشروعات السرية على تلك الدول وكان لأمريكا نصيب الأسد في ذلك المضمار، بينما استطاع الاتحاد السوفيتي أن يحصل على بعض مشاريع الاستخبارات السرية ومنها مشروع «الإله المجنح».

الاتحاد السوفيتي قسّم الأشياء التي حصل عليها لثلاثة عصور حسب فهم علمائه البسيط عن التاريخ المصري، عصر ما قبل الأسرات في مصر القديمة، عصر الأسرات والتاريخ المسيحي في مصر، عصر حكم الدولة الطولونية لمصر حتى عهد الأسرة العلوية منذ محمد علي باشا حتى الملك فاروق، ونقلت التماثيل والمخطوطات إلى مخازن معهد الاستشراق التابع لجامعة موسكو حتى أبدى العالم الروسي (كراتشكوفسكي) رأيه في إحدى تلك المخطوطات، هذا العالم الذي نقل الاستشراق الروسي لمنطقة رائدة في السنوات السابقة حاول فك شفرة تلك المخطوط التي كتبت باللغة العربية لكن للأسف لم تعطه الدولة التمويل الكافي للاستعانة بعلماء لترميم المخطوط الذي تأكل الحبر المستخدم في كتابته.

لم يستطع إنقاذ بقية المخطوط الذي تكسر أجزاء من أوراقه اليابسة ولكنه نقل ما استطاع من كلمات كتبت على هذا المخطوط، لا أعرف إلى الآن سوى أن كاتب المخطوط رجل يلقّب نفسه باسم «فوجل المستكين» أو «فوجول مستكين». لا أعرف لأن اسم كاتب المخطوط مسح بعد بضعة سنوات من مطالعة (كراتشكوفسكي) له ولم يبقَ سوى الاسم بالحروف الروسية التي كتبها هذا العالم، وهو اسم يرجّح البعض أنه لمصري

مسيحي منتمي للكنيسة وربما كان قسًا أو راهبًا بسبب لفظة المستكين التي تلحق باسمه، والبعض يرى أنه اسمٌ أوروبي حرفه المصريين ليتمكنوا من نُطقه، المهم أن هذا الرجل كان مستشارًا لمحمد علي باشا والمخطوط الذي كتبه هو في الأصل رسالة كتبها في آخر حياته يتحدث فيها عن حياته في مصر وخدمته لمحمد علي باشا وأشياء غريبة شاهدها، لدرجة أنه رسم في إحدى صفحات المخطوط رسمًا توضيحيًا لم يتبينه (كراتشكوفسكي) لكنه رجّح أنه لمعبد فرعوني أو شيء من هذا القبيل، كما تحدث كاتب المخطوط عن الكثير من الأسرار المدفونة في أرض مصر والتي تتكلم عن تكنولوجيا متطورة تركها الفراعنة.

عند هذا الحد ابتعد (كراتشكوفسكي) عن المخطوط وأهمله لأن هذا العالم لم يكن يؤمن بتلك الفرضيات، وظل المخطوط حبيس الأرشيف حتى عثر عليه أحد رجال حكومة الاتحاد السوفيتي وقرر إحياء المشروع النازي القديم لدراسة مصر ولكن لأسباب مختلفة، المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية يخطو خطوات سريعة بسبب إنفاقه الجنوني على أبحاث التسليح، وفي واقع الأمر المعسكر الشيوعي يتمنى أن يصرف القليل من النقود مقابل أن ينتقل إلى صدارة الأبحاث العلمية، تكون في منتصف الخمسينيات جبهة جديدة في الحكومة الروسية تؤمن باستغلال منطقة الشرق الأوسط وخاصة مصر عن طريق دق مسمار جحا بها، ومسمار جحا في مصر هو توريد الأسلحة السوفيتية بأسعار زهيدة وبأنظمة دفع تعتمد على التقسيط طويل المدى.

يستخدمون مصر كبوابة عبور لمنطقتنا العربية كما تستغل فرنسا وأمريكا إسرائيل كمسمار جحا لهم في الشرق، تلك الجبهة في الحكومة نجحت في مسعاها بعد أن دعمها من كانوا يؤمنون بمشروع إيزيس وأهميته للإتحاد السوفيتي في عمل أبحاث قليلة التكلفة بمصر يمكنها أن

تستخدم فيما بعد في المجال العسكري سواء الحربي أو الاستخباراتي.

ربما تقول الآن يا سيد (عصام) ما فائدة تلك المحاضرة التاريخية التي كتبتها في السطور السابقة، الموضوع أنني أحاول إعطاء صورة أكبر لك كونتها أنا في شهور، شهور من التقرب لهؤلاء الروس وعقد الصداقات والتحالفات والعداوات معهم لأصل إلى تلك السطور، وفي نفس الوقت أردت تهيئتك لما ستعرفه الآن.

القائمون على مشروع إيزيس في مصر يتخطى عددهم الستة آلاف، هل تتخيل الرقم؟؟ ومعظمهم من الاتحاد السوفيتي بكل دوله، لكن هناك عدد ليس بالهين يعمل معهم من المصريين، المصريين يا سيد (عصام)، يمدونهم بالمعلومات ويساعدونهم ويحذرونهم إن لزم الأمر، كل هذا مقابل المال في بعض الأحيان أو مقابل السلطة والنفوذ.

لهم مصادر في حكومتنا المصرية تطلعهم على كل ما يخدم أهدافهم، لا أعتقد أن القصة تتعلق بالتخابر، لكن ألا يقلقك أن يطلع أجانب مقيمون في مصر على أسرارك الشخصية؟، هل تعرف يا سيد (عصام) أنك تحت أعين رجال المشروع، لا تخف فهم لا يتجسسون عليك، لكنهم يراقبون بعض المشاريع التي يشرف مكتبك عليها، علهم يجدون شيئًا يتمكنوا من دراسته.

أتفه الأشياء التي تقابل مكتبك وتهملها أنت يلتقطونها هم، هل تعرف أنه منذ شهرين كان مكتبك يشرف على اختبارات حربية للطائرة مصرية الصنع (حلوان 300) وكان مقرر للطائرة أن تطير على ارتفاع منخفض في صحراء حلوان ورجالك تمركزوا في أماكن متفرقة هناك ليرصدوا الطائرة ويصورلها عن قرب لتقديم تقارير عنها لهيئة التصنيع الحربية، كل ما فات لم يشغل بال رجال مشروع إيزيس.

لكن أحد رجالك وهو يحفر في المنطقة هناك حفرة برميلية لأغراض الحماية اكتشف مدخل لمقبرة فرعونية، فقام مكتبك بإبلاغ هيئة الآثار بطريقة روتينية لتنقب في المنطقة.

عن طريق أحد العاملين بهيئة الآثار استطاع العاملون بمشروع إيزيس تحديد المنطقة بالضبط، وقدموا للحكومة المصرية طلبًا للتنقيب في نفس الموقع بمساعدة هيئة الآثار مقابل تمويل الحفر واستخدام المعدات الروسية التي يمتلكها أفراد المشروع، وافقت الهيئة ودخلوا المقبرة بعد أسبوع واحد فقط وقد أخذوا منها خمس عينات بناء على الترخيص السري الذي يعمل به أفراد المشروع، ولم تستطع هيئة الآثار منعهم وظل الموضوع طي الكتمان.

قدرة رجال المشروع على التوغل داخل الحكومة المصرية في تنامٍ مستمر لدرجة أنني استمعت منذ شهر لتسجيلات صوتية تمت من خلال الهاتف بين أحد الأطباء بمستشفى القصر العيني وبين شقيقه ظابط الشرطة يتحدثان عن أحد المنقبين بشكل غير شرعي عن الآثار، والذي دخل للمستشفى بعد إصابته بحمى أثناء تنقيبه عن مقبرة بالقرب من دهشور، هذا التسجيل وصل ليد رجال المشروع عن طريق مصدر لهم في جهة أمنية مصرية.

الموقف خطير جدًا، ولا يمكن تلخيصه في تقارير بسيطة ربما لن تحصل على اهتمامك، اعذرني بالطبع للهجتي هذه المرة لكني منفعل بشكل حقيقي، فكما قلت لك إنني كونت صداقات كبيرة بكثير من رجال المشروع حتى إنهم يعتبرونني الآن رجلًا مخلصًا لهم بعد كل الأفكار التي قدمتها لهم في هذا المشروع بداية من تلك الليلة في المنزل المسكون بمنطقة المعادي الذي حدثتك عنه في آخر تقرير إلى هذه اللحظة.

زادت صداقتي بأنطون كثيراً بعد عودته من روسيا، أغلب ظني أنه كان يعرض ما فعلته في تلك الليلة على أحد ما هناك، وعاد ليعاملني بأدب واحترام شديدين، جعلني أتنقل بين تلك الأماكن التي يدرسونها وعرفت معظمهم في التعرف بها، هناك شبكة علاقات في كل أركان الدولة تخبرهم عن تلك الأماكن المسكونة أو التي يدور حولها الشبهات باتصالها بعالم الجان، بالإضافة إلى شبكة علاقات مع صحفيين مصريين تقع في أيديهم من وقتٍ لآخر أخبار من هذا النوع.

كل ما تتخيله يا سيد (عصام) ويتعلق بالخوارق درسوه رجال المشروع وكنت أنا معهم في كثير من تلك الدراسات، لو ادعى أحدهم أنه يسمع أصوات في منزله ووصل الكلام إلى صحفي، ينتقل بسرعة وفد من رجال المشروع، هذا الوفد يتكون من رجل روسي غامض كأنطون أو (فاديم) وبضعة علماء تحت يده، يدرسون الظاهرة أو الحالة ويقدمون عنها تقارير، وأشخاص كأنطون و(فاديم) كل يوم يتأكد لي أنهم رجال كي جي بي، طريقتهم في إدارة العمليات ورهبة بقية العلماء الروس الذين يشاركونهم في دراسة الظواهر منهم وطاعتهم العمياء لهم يؤكدون لي أنهم رجال مخابرات.

لم يعترفوا لي حتى مع صداقتي العميقة معهم وكثرة تلميحي بالهزل تارة وبالجد تارة أنهم من لجنة أمن الدولة الروسية، وبرغم تحدثهم عن الكثير من أسرار المشروع أمامي بشكل طبيعي بل وأخذ رأيي في سير العمليات بأحيان كثيرة، إلا أن الابتسامة الباردة تظل هي إجابتهم عن سؤالي الدائم فيما يتعلق بالكي جي بي.

المهم أن تلك المجموعة تنتقل لمكان الحدث ويبدأ العلماء بدراسة العوامل المحيطة بالحدث الغريب ويحاولوا اختباره بكل الطرق التي تتوفر لهم، ثم يكتب جميع العلماء المشاهدات والنتائج وآرائهم والتوصيات

ويرفقونها بتسجيلات الصوت وتصوير السينما، ويذهب كل هذا إلى مكان ما في مصر، بالطبع عرفت فيما بعد أن هذا المكان هو منزل في حلوان يمتلكه المشروع بشكل رسمي بعلم السلطات المصرية.

هذا المنزل هو ما يحفظ كل ما يتوصل له مشروع إيزيس، وفي نفس الوقت هو مخزن لكل الأدوات التي نحتاجها، ففي دراسة لأحد المنازل المسكونة طلبت منهم ثلاثين ميكروفون واثنى عشر كاميرا تصوير سينمائية وعشرات من بكرات الأفلام الخام وبكرات تسجيل الصوت، بعد يوم واحد جاء ما طلبت، ومن الملاحظ أن كل بكرات الأفلام الخام كُتِبَ عليها بالروسية من خارج العلب وعلى البكرات نفسها، فتأكدت أنها مصنعة في الاتحاد السوفييتي وقد أتوا بها معهم ويخزنونها في منزل حلوان على الأرجح.

(أنطون) ترك المشروع مؤقتًا وسافر إلى المغرب لسبب لا أعلمه وأصبح (فاديم) هو المسئول أمامي عن المشروع وإن كنت أعتقد أن هناك شخصيات أخرى مسئولة بمصر ولا أعلم عنها شيئًا، (فاديم) يحترم عقلي أكثر من (أنطون) وكان رأيه أنه يجب أن أتوسع معهم أكثر في التعامل مع تلك القضايا.

لذلك هو من أكمل لي الصورة الكاملة عن المشروع وأخبرني بأنهم في موسكو ما زالوا يحاولون ترميم المخطوط الذي قام عليه المشروع لكنهم يفشلون دائمًا، وكانت نصيحتي أنهم لو جاءوا بالمخطوط لمصر فيمكن أن نضم أحد المصريين الذين تخصصوا في الترميم للمشروع ويقوم هو بهذا الحل بالإضافة إلى أن المخطوط لو كان يحتوي على معلومات حقيقية فسيجعل رجال المشروع لأول مرة هم من يستطيعون تحديد المواقع الأثرية بدلًا من الاعتماد على الصدفة أو على المصريين، بالطبع كنت أقول الكلمات السابقة لفاديم ودمائي تغلي من الداخل لشعوري السطحي

بأنني أشارك في عملية سرقة منظمة لتاريخ بلدي لكن ولدهشتي اقتنع (فاديم) برأيي ووعدني أنه سيعمل على وصول المخطوط قريبًا.

كنت أتمنى منك التحرك يا سيد (عصام) لتبدأ عملية مراقبة منظمة لهذا المشروع بشكل حقيقي، لكن للأسف إلى هذه اللحظة لا أثق لأي قدرٍ سيعرف رجال المشروع بأنهم مراقبون من جهة أمنية مصرية لأني لا أعلم مقدار توغلهم في الدوائر المصرية، كما أنه لو كان ضباط الكي جي بي هم من يديرون المشروع فربما أخذوا احتياطهم وأخفوا كل شيء في الوقت المناسب ولن نتمكن من متابعتهم.

الأفكار تتضارب في رأسي، ولا أعرف ما أخبرك به من كل ما عرفت وما الذي يمكنني تأجيله لكن سأخبرك عن آخر ما وصل إليه المشروع في الأيام الأخيرة.

بعد ثقة (فاديم) بي كما قلت أطلعني على جزء سري جديد من مشروعهم وهو الجزء الأساسي في الحقيقة، البحث وراء المصريين القدماء أو الذي يطلق عليهم رمزيًا اسم الفراعنة، في الواقع العلماء الروس في المشروع المتخصصون في التاريخ المصري القديم كانوا ثلاثة فقط، والبقية علماء بيولوجي وكيمياء وهندسة كهربية ومعمارية وأنواع أخرى من العلوم لم يستطيعوا ترجمتها للعربية كي أفهمها، وهذا ما أخرهم في دراسة المصريين القدماء داخل المشروع وإن كانوا قد وصلوا لأنماط في البناء لم يخبرني أحدٌ بها لكنهم أرسلوا تقاريرهم لموسكو وأعتقد أنهم استفادوا بها.

كنت مشاركًا في دراسة المصريات بشكل قليل في البداية، لأنهم لم يحتاجوا لخبرتي وأنا لم أجد نفسي مفيدًا، حتى أطلعوني كما قلت في بداية تقريري على التسجيل الصوتي بين الضابط وشقيقه الطبيب الذي استقبل مريضًا يتحدث عن مقبرة.

تحرك رجال المشروع واستطاعوا الوصول لمنقب الآثار بعد عشرة أيام، لا أعرف كيف تعاملوا معه لكنه أخبرهم أن له صديقًا يدعى (سيد جاد الله) ويشتهر باسم غريب، يطلقون عليه اسم (أبو خطوة)، (سيد أبو خطوة) هذا هو رجل صوفي يعيش بقرية على النيل قريبة من القناطر الخيرية، يعمل بالزراعة وفي نفس الوقت فهو ينتمي لطريقة صوفية قليلة العدد لم يسمع أحد بها من قبل، وله الكثير من الكرامات التي ينفيها هو بنفسه، (أبو خطوة) هو من حدد مكان المقبرة ووعد صاحبه بإدخاله لها مقابل أن يموِّل صاحبه عملية التنقيب ويعطيه 30% من مما سيخرج منها، لكن رجلنا يبدو أنه غدر بسيد أبو خطوة وذهب مع مجموعة من العمال لمكان المقبرة الذي ذهب إليه مع (أبو خطوة) من قبل، وظلوا يومين يحفران في التراب حتى وصلا إلى مدخل المقبرة.

وصف منقب الآثار للبوابة كان غريبًا عن النظام المعماري للمصريين القدماء في إنشاء المقابر، فبعد اكتشافه لبئر غاطس ونزوله لأسفل وجد ممرًا كبير الحجم في نهايته بوابة حجرية عليها رسومات فقط بلا كلمات، حاول الاقتراب من البوابة لكنه سمع أصواتًا مرعبة كأنها عزف جنائزي يأتي من مكان ما، كلما اقترب من البوابة سمع صوت العزف الجنائزي يتحول لصراخ خافت لكنه مسموع، أضف لهذا أنه تأكد من سماعه صوت خطوات تسرع حوله وكأن عشرة أشخاص يجرون بجانبه داخل الممر، بعد هذا سمع صوتًا يتحدث بلغة لم يفهمها، لم يتحمل المنقب ما يحدث حوله لوقع مغشيًا عليه حتى نقله العمال المصاحبون له للمستشفى، والأغرب أن من زاره من العمال في المستشفى أكدوا له على ما سمعه الرجل وهو في داخل الممر من أصوات.

البوابة الحجرية المليئة بالرسوم فقط والأصوات هي أغرب ما سمعه الروس عن مقابر المصريين القدماء، ورأيي في تلك المرحلة كان يتلخص في

أن هـذا المنقب هـو وعماله توهمـوا كل مـا رأوه مـن خوفهـم أثنـاء وجو
المنقب في الممـر، معلومـة أن (سـيد أبـو خطـوة) هـو مـن أخـبره بموضـع
المقبرة كانت معلومة ذهبية بالنسبة للمـشروع، وقـد اسـتغلها الـروس جيـدًا
في محاولـة للتواصـل مـع (سـيد) لربمـا يخبرهـم بالطريقـة التـي توصـل بهـا
لمعرفة موضـع المقبرة بالتحديـد، هـل هـي صدفـة بحـث أم أن لـه طريقـة مـا.

(سيد) كان واثقًا مـن نفسـه كـما أخـبرني (فاديـم)، لدرجـة أنـه أخـبر مـن تواصـل معـه مـن الـروس أن القـبر تحـت أمرهـم إن أرادوا دخولـه لكنهـم لـن يسـتطيعوا، لأنـه خبـير بمـا يكفـي ليمررهـم لهـذا القـبر بـدون أن يفقـدوا رجـالًا، تحـدي (سيد) لفاديـم جعلـه يسـتعين بـه ويقبـل بإعطائـه المـال مقابـل إرشـادهم بـل والحصـول عـلى بعـض الأشـياء الذهبيـة مـن القـبر بالاتفـاق معهـم.

منـذ أسـبوع مـر عـليّ (فاديـم) ليقلنـي مـن بيتـي في سـيارته المـلاكي لموقـع المقـبرة، كان متحمسًـا لأنـه أخـذ موافقـة أمنيـة لا أعلـم مـن هـذا المأفـون في حكومتنـا المصريـة الـذي أعطاهـا لـه، مررنـا بدهشـور بالقـرب مـن الجيـزة وخرجنـا لمنطقـة صحراويـة ظللنـا نسـير بهـا لدقائـق قبـل أن نقابـل هرمًـا غريـب الشـكل اندهشـت لوجـوده، أخـبرني (فاديـم) أن هـذا هـو الهـرم الأحمـر وأنـه غـير مكتمـل البنـاء وقليـل مـن الدارسـين للآثـار مـن يهتـم بـه، آلمنـي أن يعـرف هـو معلومـة عـن آثـار بلـدي أجهلهـا أنـا لكننـي كتمـت ذلـك وأنـا أحـاول تحديـد للموضـع بالتقريـب، سرنـا شرق هـذا الهـرم لحـوالي 20 كيلـو إن صحَّـت حسـاباتي حتـى توقفنـا وسـط كثـير مـن السـيارات المـلاكي والنقـل والتـي يقـف أمامهـا خليـط مـن البـشر تمنيـت أن لا أراه في أي وقـت.

فهنـاك مـا لا يقـل عـن عشريـن جنديًـا مـن جنـود الاتحـاد السـوفييتي ومعهـم بضعـة ضبـاط منهـم ضابـط يبـدو عليـه أنـه أكبرهـم سـنًا ورتبـة ووزنًا، تذكـرت شـيئًا عندمـا نظـرت لملابـس هـؤلاء الجنـود، فكلهـم يحملـون بطاقـة

تعريفية ملونة تم حياكتها في أعلى ستراتهم كتب عليها بالروسية، تلك البطاقة رأيتها بالقرب من موقع بناء السد العالي منذ سنوات، هؤلاء الجنود من الفرقة المنوطة بحماية السد العالي أثناء بنائه.

كانوا يحملون معاول طويلة اليد بشكل مبالغ فيه وقليل منهم من حمل السلاح، بجانبهم يقف عدد من العلماء الروس يصل إلى عشرة أفراد، أعرف بعضهم لأنني عملت معهم في تحقيقات قديمة داخل مشروع إيزيس، لكنهم كانوا يحملون حقائب جلدية ممتلئة ويتحدثون بحدة مع الضباط المرافقين للجنود، وبعيدًا عنهم بمائة متر رأيت تبة مرتفعة من الرمال ملقى عليها بعض الأوتاد الخشبية ومعاول أقصر ومعدات حديدية صغيرة لم أتبينها، اعتقدت وقتها وكان عندي حق بأن المعدات الملقاة على الرمال تخص المنقب القديم وعماله، بجانب المعدات وجدت رجل في الخمسين من عمره يرتدي بنطال يرفعه لنصف بطنه وقميص بني مفتوح الأزرار من الأعلى، هذا الرجل والذي كان وجهه من النوع المألوف والذي لا يحمل علامة مميزة سوى شاربه البسيط وتجهم وجهه الدائم هو (سيد أبو خطوة).

من هيبة الاسم تخيلته بشكل آخر لكنه حمل شخصية طاغية بسيجارته الملفوفة التي تتدلى من فمه باستهتار وهو ينظر لنا نظرة أقرب للاحتقار لا أعلم سببها، لكنني فهمت أنها طريقته في العمل، نهض بعد وصولنا وصافح (فاديم) ثم بدأ بإلقاء الأوامر على الجنود و(فاديم) يترجم من العربية للروسية.

الجنود والضباط يقفز الكره والغيظ من أعينهم وهو يشير لهم ليتبعوه ويلقي ملاحظة بأن تلك المعاول ذات اليد الطويلة التي يحملونها غير عملية.

(سيد) هذا أعاد لي جزءًا من اعتزازي بنفسي لأنه مصري مثلي ويقوم

التحكم بهؤلاء الروس بثقة وهم يطيعونه بلا مناقشة، حتى إنني ذهبت مع الجنود للتبة الرملية لأشاهد ما سيأمرهم بفعله.

مما فهمت من حديثه عرفت أن هذا القبر يعود لقبل التاريخ المصري القديم ولذلك فطرق بناء المقابر مختلفة وليست محددة بطابع واحد أو تصميم معين للقبور نعرفه، لذا فقد قام المنقب السابق بفتح مدخل مرصود للقبر، والرصد هو أنظمة دفاعية اعتمدها القدماء لحماية المقابر والكنوز المدفونة من وصول اللصوص لها وتختلف من حضارة لأخرى، وطالما أن المدخل الذي تم حفره يؤدي لمنطقة مرصودة فعليهم أن يجدوا مدخلًا آخر.

(فاديم) صمم على النزول معه لداخل المدخل المحفور ليرى بنفسه هذا الرصد، بعد مجادلات بينهم لعبت أنا فيها دور الصامت وافق (سيد) النزول لكن مع اتباعه لأوامره بشكلٍ كاملٍ، طلبت من (فاديم) النزول معه وطلب أحد العلماء الروس النزول هو الآخر، عند هذه اللحظة سألني (سيد) عن جنسيتي فقلت له بأنني مصري مثله، بعدما أخبرته تغيَّر تعامله معي أنا فقط فأصبح يوجِّه الأوامر للجميع ويطلب مني نفس الأمر لكن بأدب واحترام.

ربطنا الجنود بحبال ونزل (سيد) من فتحة بقطر ثلاثة أمتار عند التبة الرملية وهو يحمل معه كشافًا ضوئيًا، تبعه (فاديم) ثم أنا ثم العالم.

لا أخفي رهبتي من النزول في هذا البئر الصخري الذي خرجت منه رائحة هواء معطنة وخانقة، هواء محمل بتراب ثقيل يخنق رئتيّ لكن لا يمكنني أن أتراجع فسأصبح أجبنهم ولن أقبل بهذا.

سمعت أصواتًا تأتي من آخر البئر، صوت همسات أو أحدًا ما يتحدث، ثم صوت (سيد) يقول من آخر البئر أن لا نخاف لأننا سنواجه أول رصد الآن.

بعد حوالي ستة أمتار وجدت نفسي أقف على أرض صلبة وضوء الشمس ينير لي الطريق بصعوبة وأنا أشاهد العالم الروسي الباقي ينزل مربوطًا بالحبال من بعدي، نظرت أمامي فوجدت ممرًا بعرض ثلاثة امتار و(سيد) يقف بالكشاف بجانب (فاديم) ينير لي.

ادركت في هذه اللحظة أنني لم أشاهد كل ما هو مرعب في الحياة بعد، الصوت الذي سمعته في بداية نزولي البئر أصبح واضحًا، إنه صوت يشبه الأنغام الجنائزية بالفعل، أو كأنه كورال من الرجال يزومون بحناجرهم صانعين مقطوعة مخيفة، بعد قليل شعرت أنني أسمع أصواتًا تتحدث من آخر النفق.

(فاديم) لأول مرة ألاحظ الرهبة على وجهه وهو ينظر لحوائط الممر الصخرية المتساوية، تقدمنا (سيد) بالكشاف وهو ينظر بحذر لجدران الممر وسقفه وأرضيته، خالجني شعور بالأمان للحظة ومعالم الخبرة تبدو عليه، توقف بعيدًا عنا بعشرة أمتار وهو يوجه الكشاف ناحية حائط الممر، مدّ يده ولمس الحائط فسمعنا أصوات الأنغام الجنائزية تتغير قليلًا، ابتسم وهو يخبرنا بأن هذا هو أول رصد كما أخبرنا، وأنه لم يرَ مثله من قبل لكن والده أخبره عنه، من بنى القبر حفر في حوائط الممر خطوط أسطوانية بأبعاد معينة بحيث إذا فتح أحد اللصوص هذا البئر فيسمح للهواء بالمرور داخله، وعندما يمر الهواء داخل الممر فإنه يدخل في تلك الفتحات الأسطوانية ويمر بها ويعود للخروج صانعًا ذلك الصوت الذي يشبه الأنغام الحزينة أو أصوات كأنها تتكلم، ودعمت تلك الحفر الأسطوانية بقطع من البوص لتعطي ترددًا للنغمات المختلفة، الأمر أشبه بالنفخ في الناي وتحريك أصابعك على فتحاته لتتغير النغمات.

(فاديم) فتح فمه منبهرًا وهذا لم يختلف عن انبهاري أو دهشة العالم الروسي الذي أعتقد أنه يفهم العربية لأنه استوعب كلمات (سيد).

مررنا في الممر نتحسس حوائطه حتى وجدنا الفتحات الأسطوانية الدقيقة وأخذنا نمرر أيدينا فتتغير الأصوات التي نسمعها، (سيد) هنا يحمل خبرة غريبة عمن هم في مثل سنه، تركنا هو نتأمل الجدران وسار للأمام أكثر حتى رأيته يتشمم الهواء ويعود للخلف خطوات وهو يقول بأن الهواء يحمل رائحة شديدة الشَّبَهِ من الممكن أن تؤثر على جهازنا العصبي، ثم أشار بضوء الكشاف ناحية كتل غريبة أمامه على أرضية الممر وأخبرنا أنها نباتات زرعت أثناء بناء القبر وتحللت، بمجرد تفاعلها مع الأكسجين تنتج أبخرة شبه سامة تنتشر في الهواء، سينتهي تأثيرها بعد بضعة أسابيع لكنها الآن مازالت خطرة، نصحنا بالصعود مرة أخرى فصعدنا.

وكأنني أشاهد جزءًا حربيًا يقود إحدى معارك الحرب العالمية الثانية في الصحراء راقبت (سيد) وهو يأمر العلماء بإخراج الأشياء التي كان قد طلب منهم إحضارها، فتحوا الحقائب الجلدية وأخرجوا قضبانًا معدنية وأجهزة قياس كهربي صغيرة، حاولت أن أساعدهم لكن (سيد) طلب مني أن أرتاح وهو يقف بجانبي يلف سيجارة رفيعة بدون فلتر ويعطيها لي وهو يشرح أن تلك القضبان المعدنية سيوصلها بتيار كهربي ليقدر نسبة مقاومة التربة للمقاومة الكهربية ويحسب من خلالها الأماكن التي تحتوي على صخور تحت الرمال حتى يعرف حدود المقبرة بدون أن يضطر للحفر على مسافات كبيرة بلا هدف.

سألته عن مهنته الأصلية بعيدًا عن التنقيب عن الآثار، فأخبرني بأنه لم يكمل الدراسة بعد الثانوية العامة القديمة وانتهج تلك المهنة بالوراثة من جدوده.

لن أطيل عليك يا سيد (عصام) لكن في النهاية اكتشفنا أن حدود

بالقبرة ترسم شكلًا قريبًا من متوازي الأضلاع وقد قرر (سيد) الحفر في أحد أضلاع هذا المتوازي، لذا أمر الجميع بما فيهم الجنود والعلماء بالحفر بعدما حدّد لهم عن طريق أوتاد خشبية دقها في حدود الحفرة التي يريد حفرها، وعاد ليجلس بجانبي على الرمال وهو يخبرني أنه يعرف أن هؤلاء الروس يعملون مع الحكومة المصرية أو على الأقل يعملون بعلمها، وأنهم لا يريدون أموالًا بقدر ما يبحثون عن أشياء محددة داخل المقابر الفرعونية، وأنني كمالة عدد على الأغلب أرسلتني الحكومة المصرية للإشراف عليهم.

انتهى الحفر عند الغروب وقد أخرج (فاديم) كاميرا تصوير سينمائية محمولة من سيارته وطلب من أحد الجنود التصوير بها بعدما ظهر مدخل حجري على عمق أربعة أمتار، تقدمنا (سيد) لداخل المدخل وستة جنود وضابط يتبعونه بالإضافة إلى (فاديم) والعلماء الروس وأنا آخرهم.

المدخل عبارة عن سلم حجري ينزل لأسفل، رائحة العطن في هذا المدخل كانت مقززة أكثر من المدخل الآخر، توقفنا جميعًا بعد أن وجدنا عشرات الأحجار الكبيرة ملقاة في نهاية السلم، اتضح أنها كانت رصد المدخل، لأن تحتها بضعة هياكل عظمية مهشمة العظام تعود على الأغلب للصوص مقابر حاولوا الدخول للقبر لكن تلك الأحجار تساقطت فوقهم، مررنا من فوق الأحجار بصعوبة وسرنا في ممر انحرف إلى اليسار ثم إلى اليمين حتى صرخ (سيد) أن نتوقف، لقد رأى بركة مليئة بمادة بيضاء اللون لزجة، حتى هو اندهش منها لأنه لم يرَ مثلها من قبل ولم يسمع عنها، البركة بعرض الممر تصل الجانبين ببعضها، والمادة اللزجة تشبه اللبن في لونه، أو اللبن المتجمد قليلًا.

عرض أحد العلماء أن يأخذ منها عينة فرفض (سيد) وهو يطلب مني أن أناوله أي أداة طويلة، ناولته كشافًا معطفًا كان في يد أحد العلماء فأخذه

ولمس به المادة السائلة بطرف الكشاف وقربه منا لنشاهد تلك المادة عن قرب، أولًا المادة ليست لزجة بل هي سائلة بشكل غريب، ثانيًا رائحتها قريبة من الفورمالين أو المواد المطهرة، ثالثًا طرف الكشاف ظهرت عليه خطوط وبقع غريبة ملونة، كان (سيد) يخاف أن يكون رصدًا إن مررنا من فوقه يحدث شيء لكنه مادة مبهمة لا خوف منها، خطا هو من فوقه وتبعته مرتعشًا وأنا أحذر البقية أن لا يلمسوه بأقدامهم، سرنا بضعة أمتار للأمام لنجد حائطًا مصمتًا في نهاية الممر، صرخ (فاديم) بالعربية أن هذا المدخل هو الآخر شرك خداعي مثل سابقه.

عادوا خائبين وأنا أسير بجانب (سيد) حتى توقفنا عند بركة المادة السائلة، لاحظت أنه ينظر لها بتركيز شديد، نظرت أنا لطرف الكشاف الملوث بتلك المادة مفكرًا حتى خطرت لي فكرة.

فككت رأس الكشاف وأخرجت البطارية منه، ثم غمسته في البركة والتي اكتشفت أن لها عمقًا لا يقل عن نصف متر.

امتلأ نصف الكشاف بتلك المادة و(سيد) يراقبني بصمت ويشير لي بكشافه بلا كلمات، عدت لنهاية الممر المسدود وألقيت بالمادة السائلة على الحائط، كنت وضعت افتراضًا أن هناك كتاباتٍ على الحائط وأن تلك هي المادة المظهرة للكتابة، لكن افتراضي راح أدراج الرياح وأنا أشاهد أغرب مما أتصور، المادة التي لطخت الجدار خرج منها دخان مع صوت احتراق، كانت بعض أجزاء الجدار التي لامستها المادة تسيح كأنها مصنوعة من الطين، ملأت الكشاف بالمادة مرة ثانية وألقيته على أجزاء أخرى من الجدار، ساح جزء من الجدار، جزء يشبه الباب بارتفاع مترين.

هذا الباب كان موجودًا أثناء بناء القبر لكن تم سده بمادة تشبه لون الجدار، والمادة السائلة عندما تلقى على الجدار تتفاعل فقط مع الجزء المسدود لتذيبه، وكأنها معدة خصيصًا لتذيب مواد معينة ولا تضر أي

مادة أخرى، لكن كيف يبني شخصًا ما قبرًا ليحميه من اللصوص ويضع تلك المادة ليمكن لأحدهم الدخول للقبر؟

لم أفكر كثيرًا بالإجابة لأن الجنود والعلماء عادوا وهم يهنئونني أنا و(سيد) لم يتقدمونا للدخول من ذلك الباب، صرخ (سيد) بأن ينتظروا دخوله أولًا كي لا يقعون في أي شراك خداعية، جرينا نحن الاثنان نعبر الباب لنجدهم متجمعين عند مدخل صخري آخر في الداخل، مدخل محفور أعلاه نقوش طولية تشبه الرسومات، اقترب (سيد) من النقوش وهو يقول بانبهار «الميدو نترو الأم أقدم كتابة روحانية»، فهمنا منه أنها طريقة لكتابة المصرية القديمة تشبه الخط الهيروغليفي لكنها سابقة عنه، ولم يكتشف أحد نصوصًا بها من قبل إلا نادرًا، كما أنه لم تفك رموزها بعد.

حاول (سيد) الدخول من المدخل لكن فجأة أمسك به اثنان من الجنود وأزاحاه بعيدًا، حاولت الإشارة لهم بأن يتوقفا لكن اللذين آخرين كانوا حركتي و(فاديم) بعد كاميرا التصوير السينمائي التي يحملها وهو يخبرني أننا يجب ألا نظهر في هذه اللقطات لأنها ستسافر لموسكو، بدأ التصوير وعدل ضابط روسي من مرافقينا ملابسه وهو يتقدم للداخل للمقبرة ويتبعه ثلاثة جنود ينيرون له الطريق بالكشافات و(فاديم) يدخل معهم، كان يمكنني من موقعي أن أكشف القبر من الداخل، ولشدة دهشتي فقد خيب أملي بعدم وجود أي متعلقات به إلا تابوتًا حجريًا ورسومات على إحدى الحوائط لمثل رجل من المصريين القدماء يفرد يديه وجناحين يظهران من خلفه. هدأت كما هدأ (سيد) ونحن نشاهد الجنود داخل القبر يفتحون غطاء التابوت الحجري بصعوبة حتى تزحزح ودخان كثير يخرج من داخل التابوت، حاولت سد أنفي لكنني لا أتذكر مما تلى بعد ذلك غير أن أحد الجنود داخل القبر وقع مغشيًا عليه والضابط هو الآخر أخذ يتمايل، أما أنا فشممت رائحة دخلت أنفي بقوة وحجبت

الإدراك عن عقلي.

وجدت نفسي استيقظ ليلًا في وحدة صحية بدهشور وبجانبي (سيد) يخبرني بأنني قد أغشي عليّ ولم يهتم بي أحد من الروس فحملني هو واخذ أحد السيارات لينقلني لأقرب وحدة صحية.

في اليوم التالي قابلت (فاديم) بالمكتب وعرفت أنهم قاموا بطلب فريق كيميائي روسي قام بتمشيط المكان من الغازات السامة وعادوا للدخول بعد ساعات لنقل التابوت، كما أنهم وجدوا حجرًا أسود اللون مدفونًا في الجدار له خواص مغناطيسية غريبة، حاولوا إخراجه من الحائط لكنهم فشلوا.

لا أعرف يا سيد (عصام) كيف أمكنهم نقل تابوت حجري أمام أعين المصريين بدون أن يعترضهم أحد، كما أنني متأكد أن ما حدث في المقبرة بعد نقلي للوحدة الصحية أكثر مما حكاه لي (فاديم).

على كل حال أعرف أن هذا التقرير لن يؤثر بك، لكن قلبي يقول لي إن التقرير القادم سأحمل لك شيئًا هامًا، لا أعرف ما هو كعادتي هذه الأيام.

ملحوظة: أخبرني (فاديم) أمس أن المخطوط سيصل الأيام القادمة لمصر لنبدأ دراسته، ولحين الوصول إلى طريقة نتقابل بها لأعطيك التقرير القادم سأطلب منك شيئًا هامًا، كل شهر أذهب للرئاسة لاستلام مرتبي ومستحقاتي بشكل طبيعي من الخزانة، حاول أن توقع عليّ خصمًا على مرتبي بداية من هذا الشهر، وحين يأتي الشهر الذي أنوي فيه تسليم تقرير لك سأقوم بعمل مشكلة كبيرة مع صرّاف الخزانة وأتقدم بشكوى رسمية، يجب عليك إيجاد طريقة لمراقبة الشكاوى الخاصة بالمرتبات في الرئاسة، فحين تجد الشكوى يجب عليك الإتصال بي بطريقة لا تلفت الأنظار لنتقابل في أحد الأمكنة، لأنني متأكد أن عليّ مراقبة دائمة وإن

كنت لم أعرف بعد هل هم الروس أم جهاز أمني مصري، وأعلم أن ليس لي خبرة بالأنظمة الأمنية لكن لو وجدتني مراقبًا بدرجة كبيرة فافهمني أن تحتوي طريقة الاتصال في على كلمة (الثلاثاء)، سواء أكانت مكتوبة أو مسموعة إن كنت ستُرسل لي شخصًا ليحدد لي ميعاد مقابلة معك، وسأنتظر تلك الكلمة بعد أن أقوم بافتعال مشكلة خصم المرتب.

***

نهض الرئيس (جمال عبد الناصر) من مقعده وترك بقية التقارير على مقعده أخذ يتمايل بجسده للوراء قليلًا كأنه يمرن ظهره من طول جلسة المقعد، وقف (عصام) هو الآخر احترامًا له، مرر الرئيس يده على شعره وهو يتنفس بإرهاق واضح وعيناه مرتخيتان دلالة على مكافحته للنوم، نظر لعصام وقال:

- الفرقة الروسية اللي بتحمي السد العالي إيه اللي مقعدها في مصر يا (عصام)؟

- دي حاجة مش من اختصاصي.

- ومين ده اللي بيبعت تسجيلات صوتية للتليفونات للمشروع الزفت ده؟

- التسجيلات بيعملها ظباطنا من السنترالات الرئيسية بنفسهم، لكن سيادتك عارف إنهم مأمورين.

صرخ فجأة الرئيس وهو يلوح بيده اليمنى في وجه (عصام):

- ما أنا عارف يا (عصام)، مين بقى خرج التسجيلات دي من الخزاين بتاعتها وسلمها للمشروع؟، ومين دول اللي شغالين في الرئاسة اللي هما بيتصلوا بيهم؟، إيه يا (عصام) هو أنا مشغل معايا عيال.

تمالك (عصام) نفسه ونظر بعيدًا عن عين الرئيس بينما هذا الأخير يكمل بعصبية:

- الروس مجانين وقلنا مالي، عايزين يدرسوا الفراعنة والتاريخ وقلنا طيب، إما تبقى ليهم عيون علينا، إيه هما عايزين يقوموا ثورة شيوعية في البلد ولا إيه، (عصام) المشروع ده لازم يتقفل.

أخرج (عصام) علبة سجائره وناول الرئيس سيجارة بأدب شديد وهو يقول:

- أنا عايزك تتمالك نفسك يا ريس، مش عايزين ناخد قرارات سريعة تعملنا مشاكل معاهم.

نظر الرئيس له بعين متسعة غاضبة وكأنه يرفض كلماته بينما يكمل هو وهو يشعل سيجارة الرئيس:

- احنا متقدمين عنهم بخطوات، الراجل بتاعنا معاهم وهو كل يوم بيعرف أسرارهم وطريقتهم في الشغل، وقت ما نحتاج نوقفهم الدكتور (جابر) هايكون هو إيدينا اللي هاتطولهم، مكاتبهم، مخازنهم، حتى رجالتهم، هما اللي روحهم في إيدينا مش العكس يا ريس.

هدأ الرئيس نسبيًا ولكن ظلت نظراته النارية التي تخترق روح (عصام) موجهة له وكأنه يدعوه لتكملة كلماته.

- بص يا ريس خطواتنا المفروض تكون محسوبة بدقة شديدة، التقرير اللي جاي لما تقراه هايوضح وجه نظري الأمنية بخصوص مشروع (إيزيس).

نظر الرئيس للورق الملقى على مقعده وعاد ليمسك به يقلب حتى وصل للتقرير الرابع

- زي ما بلغني (جابر) في تقريره التالت، إني أنزل خصم على مرتبه اللي بيقبضه من الرئاسة، وعدت 7 شهور لحد ما جه من يومين وهو بيستلم مرتبه عمل مشكلة على الخصم اللي بينزله، وقدم شكوى رسمية علشان تكون كل حاجة طبيعية لو عليه مراقبة من الروس، وأول ما

بلغني موضوع الشكوى الرسمية اتحركت وبعت ليه تذكرتين مسرح لمرحبة (فؤاد المهندس) الجديدة وكتبله على ضهر تذكرة منهم تعتذر بداره للمسرح عن عدم تمكنها من حجز ميعاد يوم الثلاثاء السابق وتتمنى تشريفكم غدًا.

- ومارحتلوش البيت ليه بنفسك يا (عصام)؟

- بيته متراقب يا ريس.

- ناقص تقولي تليفونه كمان متراقب.

- مش ضامن حاجة، كفاية إن ليهم عيون وسطنا، والمراقبة اللي عليه طلعت كبيرة جدًا.

جلس الرئيس وهو يقول:

- الروس بيراقبونا في بلدنا، حلوة أوي الحكاية دي.

سحب نفسًا من السيجارة وهو يفتح آخر تقرير.

***

(التقرير الرابع)

بداية هذا التقرير أقدّم لك قائمة أسماء حصلت عليها بطريقة غير شرعية من داخل مكتب (فاديم) القديم ومن دفتر ملاحظاته، القائمة مكتوبة باللغة الروسية وهي لمجموعة أسماء وأمامها أرقام هواتف، حاولت ترجمة الأسماء للعربية:

محمد عبد الغني 20680

حازم (لم أستطع ترجمة الاسم) 68438

محمد عمران هداية 72559

فتحي قاسم 84471

(لم أستطع قراءة الاسم) 20675

نورهان عماد 68227

(لم استطع ترجمة الاسم) 46448

سعيد (لم أستطع ترجمة الاسم) 26546

(لم أستطع ترجمة الاسم) 8459

هذه الأسماء هي ما استطعت نقلها في ورقة خارجية قبل أن يتم اكتشاف أمري، كما أرفقت لك في آخر ورقة قائمة بالاثنين والثلاثين مكانًا بمصر يتجمع به رجال المشروع، بعض تلك العناوين المكتوبة ليست دقيقة لأني اعتمدت في جمعي للقائمة على زياراتي لتلك الأماكن وعلى تحدث البعض عنها أمامي، أصبحت أتحدث الروسية قليلًا من الممارسة لكن قراءتها مازالت صعبة عليّ؛ لذلك لا أستطيع التحرك بين الملفات التي تقع أمامي بحرية، مع ملاحظة أنه على مدار الفترة السابقة وجدت أمامي ملفات باللغة العربية عن المشروع لكني لا أثق بالمعلومات الواردة بها لأنه ببساطة المشروع لا يتحدث العربية من العاملين به إلا أنا، فما الداعي لكتابة تلك التفاصيل بالعربية إلا بغرض واحد.

أن تقع في يدي لأسربها، وهي تفاصيل كانت تتحدث عن محادثات تمت وعقود إيجار شقق ومنازل بمصر، لكني كما قلت والتي أنها محاولة لتخمين هل سيتم مراقبة تلك الشقق أو زيارتها إن كنت فعلًا سربت تلك المعلومات لجهة أمنية.

طلبي أن يتم الوصول لتلك الأسماء إن أمكن، ومراقبتها لكن ممنوع أن يقبض عليهم أو أن يظهر لأي شخص أنهم وضعوا تحت المراقبة، كما يمكنك أن تراقب قائمة أماكن اجتماع رجال المشروع لكن إياك أن تدخل لها أي شخص أو تحاول وضع أجهزة تصنت بها، أنا مازلت في البداية وأنتظر أن أتوغل بينهم أكثر وأي تصرف خاطئ سيفسد كل شيء كما قلت

في تقاريري السابقة.

المهم، سافر (فاديم) فترة لروسية توقفت خلالها أعمال المشروع، وإن كنت واثقًا أنه سافر بصحبة أشياء أخذناها من المقابر الفرعونية، المهم أنه عاد من موسكو بصحبة شاب اسمه بالكامل (أليكسندر كونستنتين)، يتحدث العربية باللهجة المصرية بدرجة طلاقة قوية، لدرجة أنني لم أصدق أنه من الاتحاد السوفيتي، هيئته الروسية ووسامته وانتماؤه للعرق الأوروبي هو الشيء الوحيد الذي يذكّرني بعدم مصريته، والغريب أنه كان يعرف الكثير عن مصر وشوارعها، حتى أسماء الممثلين والمغنيين المصريين وأشهر أفلامهم.

في أحد حواراتي معه و(فاديم) يشاركنا الحوار عن الثقافة المصرية تحدث الاثنان باللغة الروسية لثوانٍ قليلة بسخرية، ما سمعته لم أفهم منه إلا كلمات مثل (فرقة أو وحدة كيربيتشنكو) و(برنامج 101)، ولاحظت أن (أليكسندر) نظر لي وقتها وكأنه ينتظر أن أفهم ما يقوله، لكن وجهي جعله يطمئن، وإلى هذه اللحظة أتذكر جيدًا الكلمات التي سمعتها، لأنني تعلمت الأرقام الروسية بالتفصيل وأنا أتعامل مع علمائهم منذ زمن كي أشرح لهم بعض المعادلات في مجال عملنا، أما (كيربيتشنكو) فأنا أعرف أنه اسم، لأني سمعته بضع مرات من قِبَل من (ألطون) وهو يحادث (فاديم) ولغتي الروسية الكسيحة تجعلني أميز بضعة أشياء من ضمنها أنهم كانوا يرفقون اسمه بأحد ضمائر المخاطبة.

أما (أليكسندر) فبرغم صغر سنه إلا أنني رأيت في عينيه شيئًا مختلفًا عن بقية العاملين في المشروع، رأيت الجوع، الجوع إلى شيء ما داخل مصر، كأن له هدفًا محددًا يبحث عنه، هذا الرجل يعرف ما يريده ويستطيع الوصول له، ما هي إلا مسألة وقت قبل أن يصل، بالإضافة لعدم اتصافه بصفة البرود التي تظهر جلية على كل الروس الذين تعاملت معهم، فهو

يتفاعل بحرارة ويستخدم تعابير وجهه ويحرك يديه بشكل غريب أثناء الحديث، حتى إنني في البداية شعرت أن تعبيراته الحركية تذكرني بشخص ما، لكنني تذكرته، إنها تعبيراتنا كمصريين بشكل عام، لا أعرف كيف تعلمها لكنه يتقنها ويتحسن مع الوقت، وتلك الطريقة تريح أي مصري في التعامل وتجعله يتكلم بحرية أكثر مع (أليكسندر).

قل عليّ مصابًا بجنون الارتياب والشك، لكن (أليكسندر) هذا ضابط بالكي جي بي، وكانه مصنوع خصيصًا لمصر وللتعامل مع شعبها، فقد عرض عليّ الصداقة منذ البداية وتقرب مني بسرعة غريبة، كما يبدو أنه تقرب أيضًا لمعظم رجال المشروع الروس حتى أصبح محبوبًا بينهم، حتى جاءني (فاديم) لمنزلي وأخبرني بأن (أليكسندر) جاء معه من (موسكو) وهو يحمل المخطوط الذي كنت أنتظره وسيعرضه هو عليّ بنفسه بعد أيام، لكن في نهاية المناقشة حذرني من (أليكسندر)، لأنه يعمل على مشروع إيزيس منذ سنوات لكن من داخل موسكو، سألته وما المشكلة، تردد قليلًا قبل أن يخبرني أنه سيترك منصبه الحالي في المشروع ويعود لروسيا ليحل (أليكسندر) مكانه، وهذا الأخير ينتمي لطائفة مريبة أنشأها العلماء الذين عملوا في مشروع إيزيس وعادوا لروسيا، طائفة يسمون أنفسهم الأتباع، لهم اتجاهات متطرفة فيما يتعلق بالحضارة المصرية القديمة، ولهم معارف ونفوذ داخل كل لجان الحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي، يتحكمون بمسار المشروع وأهدافه البحثية لخدمة مصالح أكبر.

حاولت الاستفسار أكثر منه عن تلك الطائفة فرفض الكلام لكنه عاود تحذيري بشدة من أن يكون لي في أي وقت صلة بهذه الطائفة إن ظهر أتباعها في مصر في الأيام القادمة.

شعرت وقتها أن تحذيره ليس ذا أهمية، لكن بالفعل أبلغنا (فاديم) بمغادرته وأصبح (أليكسندر) هو رئيس المشروع الذي نتعامل معه

وجلس معي ليخبرني بالمخطوط، وأنه درسه السنوات السابقة لكنه فشل في قراءة معظمه بسبب اختفاء الحبر، وكان يتمنى أن يصل للمقبرة التي خرج منها هذا المخطوط، فما فهمته منه أن المشروع الألماني القديم «الإله المجنح»، كتب ملاحظات بجانب هذا المخطوط بأنه أتى من محتوى مقبرة إسلامية بإحدى القرى المصرية، وأن المنقبين الذي دخلوا القبر فشلوا في الوصول لأي شيء داخله إلا لهذا المخطوط، ولم تذكر الملاحظات سبب فشل الدخول للقبر.

أطلعني على المخطوط وهو عبارة عن أربع ورقات من حجم كبير لم يحفظ كل ورقة بين لوحين زجاجين، ويظهر أن كل ورقة قد تمزقت لقطع كثيرة ثم تجميعها، وورقة أخرى تمزقت لعشرات القطع الصغيرة محفوظة في علبة خشبية صغيرة حاولوا جمعها لكن فشلوا اللون الأصفر بتدرجاته هو الغالب على الأربع ورقات الباقيين مع وجود نقط حبر كثيرة تصنع دوائر غريبة، مكتوب بالحبر الأسود بخط يشبه الكوفي وبلغة عربية فصحى، الكلمات التي تظهر قليلة جدًا والأماكن الفارغة في الورقتان تظهر وكأن هناك كلمات باهتة فيها لكن حاولت قراءتها ففشلت، لكن ما استطعت التقاطه من هذه الأوراق أنهما موجهة لشخص بعينه وكأن كاتب المخطوط يتحدث مع شخص ويخبره بأنه وصل مصر، كما التقط عبارة «أيامي مع الباشا». والتي أكد لي (أليكسندر) أن المقصود بالباشا هو محمد علي باشا والي مصر، الورقة الثالثة في المخطوط كانت أوضح قليلًا وفيها يتحدث هذا الشخص عن مسكنه في قرية على النيل، اسم القرية كان صعب القراءة، ويتحدث الكاتب عن مشاهدة مقبرة فرعونية، وعن منزل، وعن عائلة، وعن دخوله مكان ما على غير إرادته.

كان هذا كل ما استطعت التقاطه من الورقة الثالثة، لكن الغريب أن

الجزء السفلي من الورقة غير موجود، سألته عنه فأخبرني أنه فقد بعدما تكسر الورق، لم أصدقه وأكملت للورقة الرابعة لأجدها عبارة عن تخطيط من منظور رأيي لكن معظم خطوط الرسمة كان ممحيًا.

علمت من (أليكسندر) أن (اجناتيوس كراتشكوفسكي) الذي درس المخطوط كتب بضع ملاحظات عن شكل المخطوط قبل أن يمسح بقية المخطوط لكنها ملاحظات غير مفيدة لأن الحبر قد تلاشى الكثير منه أثناء دراسته له. لذلك طلب مني (أليكسندر) أن أبحث عن طريقة مأمونة لمحاولة ترميم المخطوط بشكل سري، بالطبع كنت قد أعددت عدتي قبلها بفترة وقت ما أخبرني (فاديم) بقرب موعد وصول المخطوط. فقد تواصلت مع معارفي بجامعة القاهرة وأوصلوني بمجدي ثروت، وهو دكتور تاريخ درس ترميم المخطوطات بانجلترا في نهاية الأربعينيات. كما أنه قام بترميم وأرشفة عشرات المخطوطات في السنوات السابقة لعدد من متاحف العالم، فالتقته بمكتبه بالجامعة وشرحت له قشورًا عن مخطوط إسلامي خاص بمتحف جامعة موسكو ويريدون ترميمه.

لولا درجتي العلمية والمعارف المشتركين بيننا لشك في طلبي، لكنه انتظر صابرًا حتى عرفته بأليكسندر الذي كان مرحبًا بمقابلته، وأراه المخطوط فانبهر (مجدي) ورحب بالعمل على المخطوط بدون مقابل مادي على أن نسمح له بكتابة بحث علمي عن مراحل ترميم المخطوط وعن محتواه ليطبع (مجدي) البحث في مكتبة جامعة القاهرة.

رفض (أليكسندر) بشدة وصمم على أن يتم الترميم في مكتبه ويمكن أن يدفع مقابل عملية الترميم أي مبلغ، رفض الاثنان التعامل مع بعضهما لكن أي دوري يا سيد (عصام)، دوري كان إخبار (مجدي) سرًا بأن يكتب بحثه الخاص عن المخطوط لكنه سيسلمه للحكومة المصرية والتي أنا مندوبها، أخبرته بعض المعلومات عن مشروع إيزيس وعن أهمية أن

نعرف نحن كمصريين كل ما يعرفونه هم عن تاريخ بلدنا. والحق (مجدي) وتحمس أن تكون اللقاءات سرية بيننا ليطلعني على كل مراحل الترميم وفي نفس الوقت سيطلب مبلغًا ضخمًا من (أليكسندر)، وذهبت أنا لهذا الأخير مدعيًا أنني أقنعت (مجدي) مقابل أن يزيد أجره مقابل العمل

كل يوم يأتي (مجدي) بأدواته الكيميائية للمكتب بالمعادي ويدخل الغرفة (أليكسندر) لساعة ويغادرها، بدأ (مجدي) بالتعرف على كلمات بالورقة الأولى بعد معالجتها بالمحاليل الكيميائية، استطاع أن يخبرنا بأن القرية التي استقر بها (فوجل) كانت تدعى (باسوس).

بعد مراجعة لمدة خمسة أيام في أسماء القرى المصرية على طول خط النيل وصلنا لقرية حالية بهذا الاسم قريبة من القناطر الخيرية، انطلق (أليكسندر) لقاء (سيد أبو خطوة) الذي ساعدنا في فتح مقبرة دهشور ولما سألته عن السبب أخبرني بأنه يعرف بأن (سيد) يسكن في قرية بالقرب من القناطر الخيرية، توقعت أن (سيد) له ملف مفصل ترك (القديم) واطلع عليه (أليكسندر).

بل حتى طلب مني أن أكون أنا حلقة الوصل بينهم لأن (سيد) يثق بي أكثر ويكره التعامل مع الأجانب، وأعتقد أن هذا نابع من مساعدة (سيد) لي ونقلي للوحدة الصحية.

تقابلنا أنا و(سيد) و(أليكسندر) وسأله هذا الأخير هل يعرف قرية باسوس، بعدما تأكد من معرفته بها طلب منه أن يبحث بها عن مقبرة منهوبة، أي تم فتحها ونهب ما بها، الغريب أن (سيد) تعامل بشكل طبيعي مع السؤال وأخبرنا بأن باسوس هذه تعج بمقابر الفراعنة ويعرف شيخًا يدعى (إبراهيم) يعيش بها يمارس نفس مهنته التي ورثها عن والده لكن مقبرة تم نهبها من قبل فهذا شيء لا معنى له.

أخبره (أليكسندر) أنها مقبرة إسلامية، الدهش (سيد) كثيراً لأنه لم يفتح مقبرة إسلامية من قبل، سمع عن هذا النوع من المقابر لكنه لم يرَ واحدة ومتأكد في نفس الوقت أنه لا وجود لمقابر إسلامية بباسوس لو كافة القرى المحيطة بالقناطر الخيرية، لكن (أليكسندر) أخبره أنها فتحت في الأربعينيات بتوصية من شخص ألماني يتحدث العربية بلهجتها المصرية، وأنهم فتحوا القبر ولكنهم لم يستطيعوا التوغل فيه وأغلقوه ثانية.

أخذ (سيد) المعلومات واختفى لأسبوع وعاد بما لم أتوقعه، المقبرة موجودة وكل المواصفات تنطبق عليها، ومن حاول فتحها في السابق هو والد الشيخ (إبراهيم) الذي فشل وأغلقها، و(إبراهيم) يرفض إعادة فتحها إلا لو دفع له ما يطلب مقدمًا وبمساعدة (سيد) بالطبع الذي سيتقاضى هو الآخر نقوده مقدمًا.

لم يتناقش (أليكسندر) ووافق على كل الشروط وطلب بضعة أيام كي يجهز المبلغ.

وها أنا أنتظر كي يسلم (أليكسندر) المبلغ لسيد لندخل تلك المقبرة.

ملحوظة: طريقة الاتصال بيننا هي نفس الطريقة السابقة.

***

أغلق الرئيس الورق ونظر لعصام قائلًا:

- فين القائمة بتاعت أماكن تجمعهم اللي بيقول عليها (جابر)؟

- معايا يا فندم.

- تحطهم تحت المراقبة.

- فيه حاجة كمان يا فندم.. فيه اسم من الأسماء اللي (جابر) كاتبها بيشتغل في الرئاسة.

ألقى الرئيس الورق بطول ذراعه ليتطاير في الغرفة، كان يحاول كتم

انفعالاته، فتنفس بعمق ثم قال:

. الموضوع ده أنا مفوضك فيه يا (عصام)، اللي تشوفه اعمله بس عايز دلائل ملموسة علشان لما آجي أنهي المشروع أحطها في عين الروس وميقدروش يكلموني.

. أوامرك يا ريس، بس ممكن أطلب من سيادتك طلب.

. ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

. بلاش تكلم أي حد مهمًا كان درجة قرابته من سيادتك في موضوع مشروع (إيزيس) ده لحد ما نتطمن من معايا ومين علينا.

. ولو إن كلامك يحتمل معاني خطيرة لكن أنا هاستنى لحد ما انت بنفسك تجمع الخيوط كلها وتدهالي في إيدي.. لكن قولي يا (عصام)، (جابر) ده انت واثق إن ولاءه لينا في الحكاية دي؟

. مفيش قدامي غير اني أثق فيه، لأن بعد كل ده لو كان ليه ولاء مختلف يبقى المشروع ده راح مننا.

***

- ها قربنا على (باسوس)؟

قال (أليكسندر) عبارته وهو ينظر إلى (جابر) الذي يقود السيارة بتركيز شديد، بعدما اتفق معهم (سيد أبو خطوة) على مقابلتهم خارج القرية على الطريق الرئيسي لها.

- على حسب الوصف أنا بقرب دلوقت من مدخل البلد، لكن فيه حاجة كنت عايز أسألك عليها.

أخرج (أليكسندر) رأسه قليلًا للخارج ينظر للطريق المفروش بالمزروعات على الجانبين وهو يقول بلامبالاة:

- قول.

- ليه المرة دي واحنا رايحين شغل تبع المشروع ما أخدناش معانا معدات أو عمال أو علماء؟

- علشان المقبرة دي كانت مفتوحة قبل كده ومش هانحتاج كل اللي انت بتقول عليه.

بمجرد أن قال عبارته أخرج (أليكسندر) علبة سجائر من جيب جاكيت البدلة التي يرتديها، كانت علبة بيضاء طويلة وعليها زخارف حمراء مع عبارة روسية طويلة، أخرج منها سيجارة وضعها في فمه وأخرج عود ثقاب لكنه توقف كأنه تذكر شيئًا، أخرج سيجارة أخرى وعرضها على (جابر) الذي ابتسم وهو يرفضها، فعاد ليعرضها (أليكسندر) بإلحاح أكثر ورفضها (جابر) ثانية لكن مع ضحكة أطلقها وقال:

- إنت مين اللي علمك تبقى مصري كدة؟

ضحك (أليكسندر) وهو يشعل سيجارته ويقول:

- علشان عزمت عليك بسيجارة يعني.. إحنا في بلادنا بنعمل كده برضو.

- طريقتك مصرية مش أوروبية، ثم أنا لاحظت إنها مش عادة بتعملوها دايمًا بينكم وبين بعض، ممكن مع صاحب قديم ليكم، لكن اللي انت بتعمله ده مصري.

- دا انت كمان بقيت فاهم طباعنا.

قالها (أليكسندر) وعاد لصمته وهو يخرج دخان السيجارة من فمه، تنحنح (جابر) وقال وهو ينظر للطريق أمامه:

- أنا سألتك من شوية عن السبب اللي خلانا نيجي لوحدنا من غير العاملين في المشروع، خليني أجاوب بنفسي على السؤال يمكن إجابتي تبقى منطقية أكتر منك.

نظر له (أليكسندر) بطرف عينيه فقال (جابر):

- إنت ماجبتش حد من علماء المشروع علشان محدش يكون شاهد على العملية دي بالذات، وبرغم إني كنت حلقة الوصل بينك وبين (سيد) علشان هو بيثق فيا لكن كان ممكن تيجي لوحدك في فتح المقبرة بس انت خفت حد يغدر بيك فجبتني معاك علشان (سيد) يفكر كويس لو حاول يقرب لك، العملية دي بغض النظر عن نجاحها أو فشلها فالت هاتكتب في التقرير الرسمي بتاعها إنها فشلت وماوصلتش لحاجة يمكن علشان فيه تقرير تاني بحقيقة العملية هاتحتفظ بيه أو هاتسلمه لحد في بلدك.

- كان ممكن تشتغل.. م.. محلل بيانات عبقري في أي جهاز مخابرات يا (جابر)، بالمناسبة (فاديم) قالك إمتى؟

- إلي في جماعة ســـ... خاصة في روسيا تخص مشروع (إيزيس).

- من فترة قريبة أوي.

كان رد (جابر) السريع والهادئ مبهرًا لأليكسندر الذي نظر له بإعجاب وهو يقول:

- إنت فعلًا ذكي على عكس ما كتير فاكرين في موسكو عنك.

- كمان بتعرف تجامل بالمصري.

- زمان في (موسكو) كانوا فاكرين المصريين مفهوم بسيط ومش معقد لكن بعد ما العاملنا معاكم من.. من 15- 15 سنة اتغيرت نظرتنا، وحسينا إنكم.. إنكم أقرب لينا، بس مش كتير في (موسكو) لسه مقتنعين بكده أنا بقى من الجيل اللي بيحترمكم وفاهم إنكم مش أغبيا.

- بدأت أحس إني غبي، مش فاهم قصدك.

- لو فاكر إنك هــ.. ماسك حاجة عليا تبقى غلطان، مجرد ما أدور وراك متأكد إني هلاقي بلاوي، دا غير اني متأكد إنك بتشتغل لحساب

للمصريين، إحنا اللي دربنا معظم الأجهزة الأمنية بتاعتكم وعارفين إنكم مش هاتسيبوا المشروع ده يعدي مني.. من غير ما يكون ليكم ميزة جواه، بس مفيش أي دليل عليك، لكن لو دورت وراك شوية أكيد هالاقي.

- مش هاتلاقي لأن المشروع ده مش مهم عند الحكومة المصرية، مين هايصدق اللي احنا بنعمله.

- محدش، علشان كده أنا متطمن، لا حد هايصدقك ولا حد هايصدقني.

نظر (جابر) لساعة يده ثم عاد لينظر للطريق، وجد ثلاثة رجال يفترشون جانب الطريق و(سيد) بجانبهم، الطريق كان خاليًا من السيارات إلا نادرًا كما كان خاليًا من المارة، لذلك لاحظ (جابر) الرجال الجالسين على الأرض بسهولة، لوح (سيد) له فتوقف (جابر) بسيارته على جانب الطريق وغادر السيارة ليصافح (سيد) الذي جرى نحوه مرحبًا به وهو يحتضنه كأنه يعرفه منذ الأزل.

غادر (أليكسندر) السيارة هو الآخر وذهب ليصافح (سيد) الذي مد يده مصافحًا إياه برزانة لكن (أليكسندر) تجاهل يده واحتضنه مقلدًا مصافحته لجابر منذ قليل حتى ظهرت الدهشة على وجه (سيد) للحظات قبل أن يأتي الرجلان الآخران ليصافحا (جابر) و(أليكسندر) بحرارة شديدة وابتسامة على الوجه مع الكثير من عبارات الترحيب السريعة.

الرجلان يرتديان الجلباب الفلاحي وعمامة رأس بيضاء مهندمة، أما (سيد) فقد ارتدى جلبابًا مشابهًا لهما لكن بلا عمامة أو أي غطاء للرأس.

- هاتسيبوا العربية هنا وهما هايخلوا بالهم منها.

قال (سيد) العبارة وهو يشير للرجلين، فعاد (أليكسندر) للسيارة وأخرج منها حقيبة جلدية صغيرة حملها وسار خلف (سيد) و(جابر) وهما يسيران وسط مساحة زراعية قليلة ثم تظهر ترعة صغيرة يسير الجميع بمحاذاتها والأراضي الزراعية الشاسعة على الجانبين مع غروب الشمس

ورائحة الطمي المختلطة برائحة نباتات لم يميزها (أليكسندر) لزكم أنفه وهو يفكر أنه لم يمر بمشهد مثل هذا ببلده الأصلية (بيلاروسيا) برغم امتلائها بالغابات والمساحات الزراعية، كان ينظر حوله بسرعة شديدة كأنه يحاول استيعاب كامل المشهد ليمكنه حفظ الأماكن والروائح والألوان والأصوات، حتى قابلهم رجال يجلسون بجانب كوخ من الطين اللبن بجانب الترعة يشربون الشاي، ألقى (سيد) التحية عليهم فردوا عليه:

- وعليكم السلام اتفضلوا.

- يدوم يا رجالة.

- عايزين مين يا بية؟

- رايحين لإبراهيم الحلاق، اللي سكان في (بحبح).

- طب مايلزمش خدمة؟

- ألف شكر.

- بجد والله.

- ألف شكر.

تعلقت عين (أليكسندر) بهؤلاء الرجال لفترة بلا قصد وهو يسير مبتعدًا عنهم

- إيه مستغرب من إيه؟

قالها (سيد) بدون أن ينظر لأليكسندر فردّ هذا الأخير:

- هو طبيعي.. طبيعي إنهم يسألوا كل اللي بيمشي قدامهم هو رايح فين؟

- وهو ده مش طبيعي في بلدكم في المناطق الريفية؟

برغم أن سؤال (سيد) كان طبيعيًا إلا أن (أليكسندر) اندهش وهو

يلاحظ لأول مرة تشابهًا بين طبائع الشعوب في المناطق الريفية ولم ينتبه له بنفسه.

- قولي يا أستاذ (أليكسندر)، انت شايل الشنطة دي معاك ليه؟

- فيها الفلوس اللي طلبتوها انت و(إبراهيم) علشان تفتحوا القبر.

بدون أن ينظر له (سيد) ابتسم وقال:

- يعني لو سرقتها منك هاتزعل؟

لم يرد (أليكسندر) ونظر لمؤخرة رأس (سيد) الذي يسير أمامه بتحفز وهو يقبض على يد الحقيبة أكثر، حتى إن (جابر) نظر بدهشة حتى قال (سيد):

- ماتخافش يا أستاذ، أنا عارف إن الشنطة فاضية ومفيهاش حاجة. إنت شايل الفلوس في 3 جيوب سرية في جاكيت البدلة اللي انت لابسها والشنطة فاضية علشان تأمّن نفسك لو احنا سرقناها، طبعًا فاكر إنك لو اتغدر بيك هاترفع علينا المسدس اللي انت شايله في ضهرك، بالمناسبة أنا أول مرة أشوف جراب مسدس ينفع يتحط في الضهر، إنت جايبه منين؟

توقف (أليكسندر) عن الحركة وتصلب جسده واتسعت عيناه كما توقف (جابر) وهو يحرك عينيه بينهما بريبة وكأنه ينتظر أن يكون الحوار السابق مقلبًا سيضحكان عليه أمامه الآن، حتى (سيد) توقف ولفّ بجسده ليواجه (أليكسندر) وابتسم:

- مالك يا أستاذ (أليكسندر) مستغرب من إيه؟، دا أنا بهزر معاك لو عايز أغدر بيك ماكنتش قلت اللي قولته، مش كده يا (جابر) بيه؟

تكلم (أليكسندر) بلهجته المصرية القوية التي تتوقف حروفها في بعض الأوقات وكأنه يفكر في الكلمة قبل أن يقولها:

ـ إنت عرفت.. إنت ازاي عرفت اللي إنت قولته؟

ـ مش كل الرصد بيكون حجارة بتقع ولا مواد مسمومة ولا ثعبان شاب في القبر، ساعات بيكون جن، وإلا مايبقاش فيه فرق بيني وبين أي حد، إنت في مصر، بلد العجايب، ولسه هاتشوف كتير على إيدي.

بعدما قال (سيد) عبارته عاد للسير في طريقه و(جابر) يتبعه بخوف و(أليكسندر) يقف لثوانٍ يحاول إعادة تلك العبارة ليستنتج منها مقصد (سيد)، بلل شفتيه بلسانه وهو ينظر خلفه لطريق العودة مفكرًا في التوقف الآن، عندما نظر أمامه مرة أخرى وجد (جابر) ينظر له نظرة هادئة بلا تعبير، لكنه اعتبر أن (جابر) يطمئنه بتلك النظرة، فتحرك وهو يمد بخطاه ليلحق بهما.

انتهت المساحات الزراعية ووجد أمامه صف منازل من طابق أو طابقين من الطوب اللبن، مع بضعة منازل من الطوب الأحمر ومنازل أخرى تشبه المنازل الريفية بإنجلترا لكنها أقل حجمًا وأكثر زخرفة من الخارج، بين هذه المنازل وجد الكثير من الناس متبايني الملابس يسوون بعضهم بركب الحمير وبعضهم راجلين، والجميع يلقي السلام على من يمر بجانبه، دخلوا وسط شوارع كثيرة تتخللها بعض الأراضي الزراعية حتى وصلوا لمنطقة مرتفعة من الأرض تشبه الجبل بزاوية 45 درجة.

صعداها بصعوبة حتى وجدوا أنفسهم على شط النيل، حركة السائرين هنا كانت أقل لكنهم رأوا على بعد بضعة أمتار على شط النيل رجل يجلس متربعًا عاري الرأس وقطعة قماش تغطي جلبابه وخلفه يجلس على قدم واحدة ويستند بقدمه الأخرى على الأرض شاب في العشرينيات يرتدي جلبابًا رفع جزءًا منه لتظهر قدميه في سروال أبيض. كان الشاب يحلق للرجل المتربع بمقص ضخم ومشط شعر رفيع بسرعة شديدة، يستند الشاب على قدمه الجالس عليها ويزحف بقدمه الأخرى سنتيمترات

للأمام وللخلف وللجانبين بمرونة شديدة ليستطيع الوصول لكل جوانب رأس الرجل الذي يحلق له.

اقتربوا منه فنظر الشاب لهم وهو مازال يحلق للرجل بنفس الحرفة كأنه يحفظ شعيرات رأسه واحدة واحدة، ابتسم الشاب لهم و(سيد) يلقي عليه التحية بأدب مناديًا إياه بإبراهيم

- لو تسمحوا يا بهوات تستنوني أنا قربت أخلص خلاص.

قالها (إبراهيم) وهو يفتح موس الحلاقة ويلقي عليه كحولًا من زجاجة بجانبه ثم يساوي به مؤخرة رأس الرجل وهو يقول له:

- تحب تشيل ضوافرك يا عم (سلامة)؟

- وماله ياب ني.

أخرج موسًا صغيرًا من علبة أمواس من داخل حقيبة جلدية بجانبه وأمسك يد الرجل مدققًا بها بعينيه، هنا اقترب (أليكسندر) و(جابر) منه فاتحين أعينهما بدهشة بينما ابتسم (سيد) وهو يخرج علبة معدنية صغيرة مليئة بالتبغ وأوراق البفرة.

أما (إبراهيم) فأمسك بأحد أصابع الرجل وحرك الموس بدقة شديدة وسرعة ليقطع الجزء البارز من الظفر، شهق (أليكسندر) فنظر له (إبراهيم) بطرف عينيه ثم عاد ليكمل تقليم بقية أظفار الرجل بالموس بسرعة شديدة حتى انتهت أيدي الرجل في دقيقة واحدة.

نزع القماشة من على ملابس الرجل وطبقها وجمع بقية أدوات الحلاقة ليضعها في الحقيبة الجلدية ثم أخرج من الحقيبة زجاجة كبيرة وضع منها القليل على يده ليغرق بها وجه الرجل ثم غسل يده بما داخلها من سائل لتتصاعد رائحة عطرية نفاذة، أعطاه الرجل بضعة قروش فوضعها في جيبه ونهض حاملًا حقيبته وصافح الثلاثة و(سيد) يعرفه بالباقين.

- حلاق.. إنت بتشتغل حلّاق بجد؟

قالها (أليكسندر) وعيناه تلمعان انبهارًا فضحك (إبراهيم) وهو يسير والباقون يتبعونه وهو يضع حقيبته تحت إبطه ويقول:

- إنت مستغرب ليه يا أستاذ (اسكندر)؟

- (أليكسندر).. مش.. مش مستغرب بس الت بتشتغل- بتشتغل.

خلي الكلام لما نوصل البيت.

***

على منضدة صغيرة من الخشب جلس الأربعة في شقة (إبراهيم) المتواضعة بالطابق الأرضي في منزل من ثلاثة طوابق، أما على المنضدة فقد تراصت ثلاث دجاجات محمرين وطاجنان من الأرز المعمر و(إبراهيم) يقطع الدجاج ويعطي الأنصبة لهم وهو يقول:

- عم (سيد) قالي إنكم أفندية ومنكم واحد جاي من بلاد برا، قلت الطبلية وقعدة الأرض مش هاتريحكم.

رفع (أليكسندر) يده قائلًا:

- أنا كنت عايز أقعد على الطبلة.

- الطبلية..

قالها (جابر) وهو يتناول الطعام فضحك (سيد) وهو يقول:

- ملحوقة، في العشا بأمر الله نقعد على الطبلية.

- ممكن أسألك سؤال يا (إبراهيم)؟

- قول يا خواجة.

- انتوا في (باسوس) بتتكلموا بلكنات مختلفة ليه؟

- لكنات؟

- لكنـ.. طريقة.. لهجة مختلفة.

- آآآه.. أصلنا مش بعيد عن الحضر أوي، ثم أنا جدودي مش من هنا، وكتير من اللي عايشين هنا أصولهم من الصعيد أو بحري أو من الحضر، يعني متخلطين.

قال (إبراهيم) كلماته وهو ينظر لسيد مبتسمًا فقال هذا الأخير:

- إنت مهتم بلهجاتنا ليه يا أستاذ (أليكسندر)؟ إنت بتدرسنا؟

كان (ألكسندر) يأكل بشهية مفتوحة وهو يقول:

- أنا درست اللهجة المصرية ولهجة الجنوب والشمال ماعرفتش عنهم كتير علشان محدش درسهم عندنا كتير.

- عم (سيد) قالي إنك من (روسيا).

- آه من الاتحاد السوفيتي.

- وإيه اللي يهمك في المقبرة اللي اتفتحت زمان في بلدنا؟

توقف (أليكسندر) عن تناول الطعام ونظر في عين (إبراهيم) وقال بثبات:

- أنا مش بدور على دهب أو تماثيل، لو لقينا حاجة قيمة تبقى من- تبقى من حقك أو نصيبك. أنا عايز أدرس أي حاجة مهمة جوه القبر.

- بس ده مش قبر.

توقف الجميع عن تناول الطعام و(جابر) يقول:

- نعم؟

- أبويا حكالي حكاية الدفينة دي، بيقول إن فوق المكان ده كان فيه بيت كبير عاش فيه واحد الناس بتقول عليه إنه جه من مكان بعيد أوي، اشترى أراضي كتير وزرع وبنا بيوت للناس اللي اشتغلوا معاه، وأهل البلد والبلاد اللي حواليها حبوه، ناس بتقول إنه القتل والدفن تحت

بيته، وناس تقول ده سافر لبلاده تاني، وناس تقول مات موتة عادية ودوروا على الجثة ومالقوهاش. لكنه قبل ما يموت عمل تحت بيته بيت تاني، بيقولوا دفن كنز كبير تحت البيت وحط عليه رصد من الجان يحرسه، البيت اتباع واتهد وبقى أرض زراعية، ومحدش بقى قادر يحدد مكان البيت القديم، ماكانش فيه معلومة عنه غير إن البيت قريب من مقام سيدي (سيف) اللي على شط النيل.

- وأبوك عرف مكانه؟

قال (أليكسندر) عبارته وهو يتحفز في مجلسه.

- أبويا الله يرحمه ماكانش يحب يتكلم كتير عن اللي حصل، قبل الحرب اللي كان (رومل) هايخش فيها على مصر..»

- تقصد الحرب العالمية التانية»

- آه.. جه تاجر آثار كان يعرف أبويا وطلب منه أي مقبرة فرعونية يقدر يفتحها في (باسوس)، التاجر ده كان تبع واحد ألماني بس بيتكلم مصري زيك كده، أبويا افتكر حكاية الدهب المدفون تحت الأرض، وهو كان بيحلم يوصل للمكان ده علشان سمع الحكاية من جده الكبير اللي شاف صاحب البيت بنفسه وهو عيل، فدوّر حوالين مقام سيدي (سيف) على أي علامة في الأرض الزراعية.

- يعني إيه علامة في الأرض الزراعية؟

قال (جابر) السؤال فردّ (سيد) عليه وهو مازال يأكل:

- لو فيه مقبرة أو دفينة تحت الأرض ومزروع فوقيها حبوب أو خضار ساعات لون الزرع بيبقى غامق وباهت في البقعة اللي تحتيها الدفين، وممكن تلاقي الزرع مايل في المكان ده أكتر من بقية الأرض الزراعية كلها.

أضاف (إبراهيم) على كلام (سيد) قائلًا:

- بس لازم تتشاف من مكان عالي علشان تلاحظها، ويكون في شهر (أبيب) أو (مسرى) أو (توت).

- مش فاهم انت بتقول إيه؟

قالها (أليكسندر) فجاءه الرد من (سيد):

- يعني من شهر (يوليو) لشهر (أغسطس) تقريبًا.

- وأبويا شك في أرض زراعية قريبة لما شافها من مأذنة الجامع، لكن كان محتاج أي علامة تقرّب من المكان وحاول يعرف فيه جن ولا لأ قرب من الحتة دي، ولما حس بحاجة غريبة كلم تاجر الآثار وأخد منه دفعة فلوس دفعها لصاحب الأرض علشان يبيعها وبنى عليها بيت دور واحد.

- يعني أبوك ماكانش متأكد ومع ذلك اشترى الأرض؟

- الشغلانة دي يا افندي مفيهاش حاجة أكيدة، لازم تخاطر. المهم حفروا تحت الأرض ولقوا بواقي سلم بينزل على بدروم صاحب البيت اللي كان عايش زمان، وأقوى رصد دفين شافو أبويا في حياته كان في المكان ده مكان متزخرف بالأرابيسك وشغل خرط الخشب مش كأنه قبر لدفن واحد أو مكان فيه كنز، كان هايموت وهو بيفتح المكان، وماقدرش يوصل غير لكام ورقة أخدهم تاجر الآثار.

عاد (إبراهيم) بظهره للوراء ولمحة من التأثر تظهر على وجهه وصوته وهو يطرق برأسه للأسفل ويقول:

- أبويا عمره ما كان بيخاف من حاجة يا بهوات، ياما فتح مقابر وكشف عن دفاين، شاف كل حاجة، إنما كان بيقولي إنه قعد سنين يحلم بالليلة دي، مرة يصحى من النوم وهو شايف تعابين حواليه، ومرة يصحى وهو بيخطرف بكلام مش مفهوم، مرة قالي في قعدة صفا إن الزمن بيفهم وليه عقل زينا، وإنه مش هايخلي حد يدخل المكان ده إلا في الوقت اللي يعوزه ربنا.

رفع (أليكسندر) حاجبه الأيسر وبانت السخرية على ملامحه لثانية واحدة لكنه تنحنح وأبعد عينيه عن (إبراهيم) الذي أكمل:

- عمره ما حكى شاف إيه، وعمره ما رضي يبيع الأرض أو يهد البيت، أو حتى يعيش فيه، قالي إن احنا شبه الحراس على الأماكن دي، زي الرصد بالظبط، نحميه بحياتنا ونستنى اللي ليه نصيب علشان يدخله.

بعد أن أنهى عبارته نظر (إبراهيم) لسيد أبو خطوة نظرة ذات معنى فهمها هذا الأخير، نقل (أليكسندر) نظره بين الاثنين محاولًا قراءة تعبيراتهما الحركية مفكرًا عن السر الذي يخفيه (سيد) هو الآخر.

نفض (جابر) يده عن الطعام وهو يقول:

- وإيه اللي خلاك توافق إن المكان يتفتح دلوقت؟

- الفلوس.. الحوجة وحشة.

- والدك ماقدرش يفتحه لوحده، هاتقدر انت؟

قال (أليكسندر) عبارته وهو يرسم على وجهه نظرة جادة مراقبًا تعبيرات (إبراهيم) الذي عاود النظر بطرف عينيه لسيد وهو يقول:

- مش هافتحه لوحدي، معايا عمنا وسيدنا الشيخ (سيد)، وطالما معايا حد من ولاد (أبو خطوة) يبقى نسيب الباقي على المولى.

***

وقف الأربعة داخل المنزل الذي بناه والد (إبراهيم) و(جابر) و(أليكسندر) يتأملون محتوياته البسيطة، فالمنزل مبني من الطين اللبن لميل لون الحوائط إلى اللون الرمادي الغامق، مساحته التقريبية التي قدروها لا تتخطى الـ 150 متر على أقصى تقدير وإن كان لا يحتوي على شيء تقريبًا من الداخل، فبرغم احتوائه على ثلاث حجرات خالية إلا أن

كل الأثاث الذي رأوه ليس أكثر من أربعة مقاعد خشبية عريضة وأريكة عليها حشوة متحجرة من القطن بهت لونها وامتلأت بالأتربة والبقع البنية لا كهرباء ولا ماء ولا حمّام في المنزل، والأرض ترابية مليئة بالحصى والأحجار.

- إيه ده يا (إبراهيم) دا قبر دا ولّا بيت.

قالها (سيد) وهو يضع حقيبة سفر صغيرة كان يحملها على الأرض بينما (سيد) يحمل مصباح كبير من النوع الذي يعمل بالكيروسين وهو يتجول بين جوانب الصالة كأنه يبحث عن شيء ما بعينيه ويقول:

- أبويا ساب البيت على الحال ده وأنا ما زودتش حاجة عليه إلا إني بنيت ليه بوابة حديد بجنزير وقفل علشان العيال الصغيرة متدخلش تلعب فيه.

نظر (سيد) لأليكسندر وهو يحاول منع نفسه من الابتسام وقال:

- دا احنا لو قتلنا حد ودفناه هنا ولا حد ياخد خبر بيه.

ضحك (أليكسندر) و(جابر) يقول معاتبًا:

- إيه يا (سيد) كفاية هزار، أنا اللي بدأت أقلق منك.

- أنا بهزر والمصحف، إوعى تكون زعلت مني يا (جابر) بيه.

- إنت بتدور على إيه؟

قالها (أليكسندر) موجهًا كلامه لإبراهيم فردّ هذا الأخير:

- بتطمن لحسن يكون فيه عقرب ولّا حنش مستخبي كده ولّا كده.

تلفت (جابر) حوله مبتلعًا ريقه بينما نظر (إبراهيم) لهم قائلًا:

- الحمد لله مفيش حاجة، عدم اللامؤاخذة يا أستاذ (أسكندر) بس فيه حاجة لازم تحصل قبل ما نبدأ الشغل.. الفلوس.

وضع (أليكسندر) الحقيبة التي يحملها جانبًا وخلع جاكيت البدلة

التي يرتديها فظهر من تحته حزام يلتف من تحت إبطيه لأسفل ظهره وفي نهاية الحزام وبالتحديد منتصف ظهره جراب من الجلد به مسدس مخفي الحجم معلق به بإحكام، لم يبدِ الاندهاش على أحدٍ سوى على (جابر) الذي دقق بعينيه مقربًا وجهه من الحزام المعلق و(أليكسندر) يراقب تعبيرات (إبراهيم) الهادئة وكأنه يتوقع وجود المسدس، أمسك (أليكسندر) بالجاكيت ومدَّ يده داخله يفتح سوستة مخبأة في بطانة الجاكيت وهو يقول:

- كأنك كنت عارف إني شايل مسدس يا (إبراهيم) وإني هاطلع الفلوس من الجاكيت مش من الشنطة، مع.. مع إن (سيد) ما اتكلمش معاك لحظة واحدة لوحدكم من ساعة ما جينا.

لم يرد (إبراهيم) و(أليكسندر) يخرج رزمة نقود كبيرة يتبعها بثلاثة أخرين من جيوب سرية مختلفة.

- 4 آلاف جنية مصري زي ما طلبتم.

استلم (سيد) النقود وحملها لإبراهيم الذي جلس يعدها على الأريكة الخشبية بينما يخرج (أليكسندر) من جيب سرواله علبة سجائرة ويناول (سيد) سيجارة فأخذها هذا الأخير ثم ناول (جابر) سيجارة فأخذها بتردد وهو ينظر لساعته:

- إلا انت بتبص في ساعتك ليه قبل ما تشرب السيجارة يا (جابر) ليه؟

قالها (سيد) وهو يشعل سيجارته بعود ثقاب ويمرره لأليكسندر.

- بحاول أظبط مواعيد شرب السجاير يا (سيد)، ساعات بعرف وساعات بتبوظ مني.

توقف (إبراهيم) عن عد النقود فجأة ونظر لهم وهو يبتسم بحرج ويقول:

- بغلط في العد كل شوية.

- أنا واثق فيهم يا (إبراهيم) ماتخافش.

- إنت بتغلط في العد علشان قلقان من فتح المقبرة؟

قالها (أليكسندر) فقال (سيد):

- كلنا قلقانين يا أستاذ، وانت مش قلقان علشان ماعملتش حاجة زي دي قبل كده.

تبادل الأربعة النظرات حتى قال (جابر):

- إحنا مستنيين إيه علشان نبدأ؟؟؟

نهض (إبراهيم) ودخل لإحدى الغرف الشرقية بدون أن يتكلم، لمد (سيد) ففتح حقيبة السفر وأخرج منها مجموعة من الأوتاد الخشبية وشاكوشًا وثلاثة معاول صغيرة الحجم وأربع لفائف من الحبال المجدولة أعطاها لأليكسندر ومجموعة من المصابيح الكشافة ذات البطارية أعطاها لجابر بعدما أطفأ هذا الأخير السيجارة على الأرض. أخيرًا أخرج (سيد) بضعة أكياس سوداء ممتلئة وأغلق الحقيبة، ذهبوا جميعًا للغرفة التي دخلها (إبراهيم) فوجدوه يمسك بمجرفة ويزيح التراب من على الأرض.

- إنت شغال في الضلمة ليه؟

- سايبلكم الكلوب برّه علشان تشوفه.

خرج (سيد) وعاد للغرفة بمصباح الكيروسين لتظهر الغرفة مستطيلة الشكل أوضح والتراب الذي كان يزيحه (إبراهيم) يظهر من تحته صفحة معدنية مربعة مثبتة في الأرض بحجم متران طولًا وعرضًا، وعلى حواف تلك الصفحة بواقي أسمنت متحجر حولها، استخدم (إبراهيم) المعول في طرق الجوانب الأسمنتية فنزل (سيد) على ركبتيه يحاول مساعدته بالشاكوش.

- (إبراهيم).. البيت ده مافيهوش عمار مكان ليه؟

قالها (سيد) فتوقف (إبراهيم) وقال وهو ينظر حوله:

- ما أعرفش.. بس العمار عمرهم ما سكنوا البيت ده من ساعة ما

اتبنى.

- إيه العمار دول؟

قالها (أليكسندر) فردّ (سيد):

- دول الجن اللي بيسكنوا البيوت من غير ما يقربوا لسكان البيت.

نظر (أليكسندر) لجابر مستنكرًا فقال هذا الأخير منفعلًا:

- بتبص لي كده ليه، شايفني عفريت.

انكسر جزء من الأسمنت لبعه بقية الأجزاء، فنهض (سيد) ونفض عن نفسه التراب وهو يقول:

- نبدأ من هنا ولّا نبدأ تحت؟

- نبدأ من تحت.

نظر (سيد) لجابر و(أليكسندر) وقال بجدية:

- محدش فيكم يتحرك خطوة لقدام من غير ما أنا أو (إبراهيم) نقوله، كلامنا يتسمع من غير مناقشة، فيه حاجات ممكن تكون حقيقية وحاجات خيالية هاتشوفوها، إوعوا تخافوا، اللي هايخالف تعليماتنا واحنا تحت هايشيل مسئولية نفسه، أنا مش ناوي أموت النهاردة، فاهمين؟

هزوا رؤوسوهم بالإيجاب، فنظر (إبراهيم) لسيد وقال:

- ابدأ انت وهات الخدمة بتاعتك.

تنفس (إبراهيم) بوتيرة هادئة وكأنه يحاول التركيز، ثم أخرج من ملابسه قطعة مربعة من الفضة عليها نقوش محفورة بخط صغير لا يُرى، نظر لها بشك ثم أغمض عينيه وهو يقبض عليها بقوة ويقول:

- استفتحت بسم الله واستعنت بالله وتوكلت على الله، بحق من شق بصركم وسمعكم وخلق جدكم من نار السموم، ببركة خدام صابوت بن

كينـد وبشـهادة عزمتـي وعزمـة أبي وجـدي طـارش طـارش عقيمـوش عقيموش بطيطـون بطيطـون حيطـاب قدرمـين دونـارا كلكلـوف اسـم مكنـون بـين الكاف والنـون بكتـاب مسـطور في رق منشـور دفنـه خـادم صابـوت مكتـوب فيه سـبوح سـبوح رب الملائكـة والـروح انزلـوا عـلى خدمتـي لرصـد مـا خبـأه الله عـن عبـاده وفتـح مـا أمـر بظهـوره لعبـادة، اظهـروا الحركـة والحضـور بحـق ما تلوتـه عليكـم، إن كانـت إلا صيحـة واحـدة فـإذا هـم جميـع لدينـا محضرون.

هب هواء ساخن داخل الغرفة فنظر (إبراهيم) لسيد صارخًا:

- دي مش الخدمة بتاعتي.

حـدث كل شيء فجـأة في الثـواني التاليـة، طـارت الصفحـة المعدنيـة المثبتة في الأرض وخـرج دخـان كثيـف مـن الفتحـة مـع سـخونة شـديدة لسـعت وجوه الجميـع، خـرج مـن الفتحـة ووسـط الدخـان كيـان أسـود اللـون عـلى هيئة رجـل أصلـع عـاري الجسـد بـلا عضـو ذكـري، عينـاه أكـبر مـن العيـون العادية بخمسـة أضعـاف تمـلأ نصـف وجهـه، وصـوت يخـرج مـن فمـه العريـض كخوار الثـور، خـرج هـذا الكيـان مـن الفتحـة فارتـد الجميـع للـوراء يحمـون وجوههم بأيديهـم مـن المفاجـأة.

خـرج هـذا الكيـان مـن الفتحـة بكامـل جسـده لتظهـر قدمـه لهـا خـف كخـف الجمـل، أمسـك بيـده اليمنـى بإبراهيـم وجـره معـه لخـارج الغرفـة حتى ألقـاه في منتصـف صالـة المنـزل ووقـف بجانبـه يخـور بصـوت مخيـف ويشـير لبـاب المنـزل الموصـد كأنـه يدعوهـم لمغـادرة المنـزل بتلـك الإشـارة، وقف (سيد) عـلى طـرف بـاب الغرفـة ينظـر لإبراهيـم الملقـى عـلى الأرض يـصرخ مسـتغيثًا بسـيد، (جابـر) و(أليكسـندر) يقفـان خلـف (سـيد) غـير مصدقـين بينـما هـذا الأخـير ينظـر بتركيـز وهـو يقـول:

- عايزنا نخرج؟

خف خوار الكيان وظل يشير لباب المنزل.

- لو مشينا تسيب (إبراهيم) يعيش؟

تراجع الكيان خطوتين للخلف وهو ينظر لسيد بعينيه الواسعة، بسرعة فتح (سيد) أحد الأكياس البلاستيكية وحملها وهو يقول بصوت عال:

- (إبراهيم).. إنت تعرفني من كام سنة؟

نظر له (إبراهيم) مندهشًا وهو ما زال على الأرض، فصرخ (سيد) بالسؤال مرة أخرى ولم يجبه (إبراهيم)، ألقى (سيد) من الكيس مادة تشبه الرمال البيضاء على مدخل الغرفة، ثم جرى إلى الفتحة في منتصف الغرفة التي مازال الدخان الأسود ورسم حولها دائرة بتلك الرمال وهو يقول بغضب:

- ده مش (إبراهيم).

ألقى الكيس ونظر للكيان الذي زاد خواره وهو يسع ناحية باب الغرفة و(سيد) يقول:

- دعوة ألقيها عليك شماخ أشمخ لمخ ميوخ الزل يا رحميائيل على ميمون أبي نوخ ليزجروا ويصرعوا الرصد..»

كاد الكيان الأسود أن يدخل الغرفة لكنه اصطدم بحاجز غير مرئي فعاد للخوار بشكل أعلى و(سيد) يكمل:

- من عزيمتي نور ساطع أضاء فسطع، وسطع فلمع، ولمع فأبرق، وأبرق فأحرق كل شيطان مريد وجبار عنيد، بسطع كلماتي أخضع بهذا العارض من وقف أمامي.

توقف الكيان الأسود وتراجع للوراء وجسد (إبراهيم) يختفي من على أرض صالة المنزل وفي نفس الوقت يظهر على أرض الغرفة مغشيًا عليه، جرى (جابر) يحاول إفاقة (إبراهيم) الذي فتح عينيه بتثاقل، حدث شيء

غريب انتبه له الأربعة بكامل حواسهم.

ظهرت بقعة نارية على الأرض بحجم قدم شخص والطفأت ثانية في طرف الصالة ثم ظهرت بقعة صغيرة أمامها والطفأت، وكأنها خطوات يخطوها شخص لا يرى وتترك خلفها لفحة من نار سرعان ما تنتهي اقتربت بقع النار من الكيان وفي نفس الوقت ظهرت بقع أخرى من كل أطراف الصالة.

- خدمة (إبراهيم) وصلت.

قالها (سيد) وزفر بارتياح بينما البقع النارية تحيط بالكيان الذي حاول أن يخطو للخارج لكن فجأة اشتعلت نارٌ بجسده وتحول لونها للون الأزرق والكيان يطلق خوارًا كخوار الحيوان الجريح، طال الخوار حتى انخفض الصوت ثم سكت تمامًا والكيان يختفي وسط النار ثم تنطفئ النار نفسها ويعود الهدوء للمنزل.

نهض (إبراهيم) بمساعدة (جابر) وهو يقول لسيد:

- إنت رشيت إيه على الباب والفتحة؟

- ده ملح عليه شوية حاجات لمنع الرصد يرجع يدخل تاني، أول ما لقيته سحب (إبراهيم) ماصدقتش، الرصد اللي بيظهر في شكل واحد أسود مابيلمسش البشر، بيلعب بالعقول بس علشان يبعدنا عن المكان ويرجعه تاني، وأنا ماكنتش عايزه يرجع للفتحة علشان ما يعملش حاجة تاني.

قال (سيد) عبارته وهو يلتقط أنفاسه و(إبراهيم) يقول:

- طب امسح اللي انت رشيته علشان خدمتي تخش معانا.

و(سيد) يزيح بقدمه الرمال البيضاء عن مدخل باب الغرفة سمع الجميع صوت (أليكسندر) يتكلم بالروسية بعصبية، نظروا فوجدوه ملتصقًا بإحدى الحوائط ينظر لهم ويتكلم بالروسية وكأنه يسبهم، اقترب

(جابر) منه رافعًا يده أمامه ليهدئه وهو يقول:

- أنا مش فاهم منك حاجة بس لو حابب تمشي من هنا ممكن تمشي حالًا.

فجأة تسارعت نبرة كلماته الروسية ووضع يده اليمنى على ظهره يتحسس مسدسه المعلق، صرخ (إبراهيم) فيه:

- بلاش جنان، لو طلّعت مسدسك مش هاتلحق تضرب منه رصاصة واحدة.

نظر له (أليكسندر) بعينٍ مفزوعة وتوقف عن الكلام وتيرة أنفاسه تبطئ بالتدريج حتى قال كلمة روسية لم قال بالعربية:

- إيه اللي حصل.. و.. و.. وإزاي عملتوا الخدعة دي؟

هنا اقترب (جابر) أكثر منه وهو يقول:

- طب خلاص البس الجاكيت ويالا نمشي.

- مش.. مش هامشي، وانت ازاي ما خُفتش من.. من اللي حصل؟

توقف (جابر) و(سيد) يقول:

- اسمع، إحنا بدأنا خلاص، مفيش وقت للعب العيال ده، لازم نكمل للآخر، يا تمسك نفسك يا تمشي من هنا.

مرر (أليكسندر) عينيه بينهم ثم أغمض عينيه وهو يقول كلمتين بالروسية ظل يرددهم ثلاث مرات اعتدل بعدها في وقفته وأبعد يده عن مسدسه قائلًا:

- أنا آسف، بس انتوا بتـ... بتدمروا معتقداتي باللي بيحصل دلوقت.

- معتقدات إيه؟ يعني إيه؟

قالها (إبراهيم) فلم يرد (أليكسندر)، فنظر (سيد) لإبراهيم وهو يقول بنفاد صبر:

- يالا يا (إبراهيم) ابدأ، ابعت خدمتك لتحت تتأكد إن مفيش حاجة محبوسة تحت، وخلي خدمتك تتكلم بصوت نسمعه كلنا.

أخذ (إبراهيم) يتمتم بكلمات وهو ينظر أمامه و(جابر) يراقب (أليكسندر) ويقترب من (سيد) وهو يقول بصوت خافت:

- يعني إيه حاجة محبوسة؟

- اللي بيعمل الرصد ممكن يجيب حشرات معينة أو زواحف من نوع نادر تقدر تاكل من تراب الأرض وتتناسل، فلما نفتح المكان بتخرج فجأة

- أول مرة أسمع علميًا عن زواحف...

قطع عبارته وهو يشاهد إضاءة تخرج من الفتحة لثوانٍ قبل أن تنطفئ، اقترب (أليكسندر) من الفتحة بتردد، فجأة سمعوا صوتًا أجشًّا يتردد في جنبات الغرفة يخبرهم أن لا شيء بالأسفل، قال (إبراهيم):

- طب إيه اللي شايفينه تحت؟

جاء نفس الصوت يخبرهم أنه لا يرى شيئًا.. نظر (سيد) لإبراهيم باستغراب شديد وقال:

- مفيش حل غير إننا ننزل.

أمسك الاثنان بالأوتاد الخشبية والشاكوش وهم يدقون في الأرض أربعة أوتاد ثم يلفون حبلًا على كل وتد ويعقدونه، نادى (سيد) على (جابر) فأتى هذا الأخير، قام (سيد) بعقد نهاية طرف إحدى الأحبال الأربعة بخصر (جابر) بإحكام وهو يوجه كلامه لأليكسندر قائلًا:

- سيب مسدسك هنا، محدش مستغني عن عمره.

وكأن (أليكسندر) قد استسلم لأوامر (سيد) بعد الأحداث الأخيرة فقام بفك حزام جراب المسدس من على جسده وألقاه بطرف الغرفة قام (سيد) بتطويق (أليكسندر) بحبل آخر كما ساعد (إبراهيم) في ذلك أيضًا.

حملوا بقية الأدوات ونزل (سيد) من الفتحة يتقدمهم وهو ينير الكشاف الكهربي والبقية يتبعونه.

السلم كان خشبيًا يصدر صوتًا من جراء الضغط عليه، ثلاثون درجة نزلوها حتى وجدوا أنفسهم يقفون على أرض مبلطة برخام أبيض مليء بالنقوش النباتية الزرقاء، تشمم (إبراهيم) الهواء فوجده يحمل رائحة ترابية مع رائحة عطرية أخرى تشبه رائحة البخور الهندي، البقية أضاءوا مصابيحهم وحركوها يمينًا ويسارًا ليتأملوا الموضع الذي يقفون فيه.

ممر طويل بعرض 6 أمتار وعلى جدرانه زخارف هندسية مرسومة باللون الأزرق والأصفر، ومن سقف الممر تدلى سقف خشبي مليء بالتعاشيق والتمائم الخشبية، على حوائط الممر علقت دوائر خشبية مزخرفة باللون الأزرق الباهت، 5 دوائر خشبية على كل حائط يفصل بين الدائرة والدائرة متران.

- التوا شامين ريحة البخور دي؟

قالها (جابر) فهز البقية رؤوسهم بالإيجاب عدا (سيد) الذي قال وهو يسير للأمام:

- الريحة دي جاية من خشب الصندل والكافور اللي السقف معمول منهم.

- والريحة لسه موجودة فيهم؟

- علشان المكان كان مقفول، أنا هاتحرك لقدام والتوا ورايا.

سار للأمام بضعة أمتار وهم يتبعونه حتى وجدوا أنفسهم أمام غرفة كبيرة توقفوا خارجها، التراب يغطي جزءًا كبيرًا منها لكن الغريب أنها ممتلئة بالأثاث الذي يمثل الطراز الإسلامي القديم، مقاعد وأرائك مليئة بالأرابيسك وقناديل زجاجية مدلاة من السقف، وسجادة أرض الغرفة

بالكامل، بعض الأثاث كان مقلوبًا على جانبه لكن الأغرب من كل هذا كان حوائط الغرفة الثلاثة، نقش عليهم باللون الأحمر طلاسم بخط واضح امتلأت بها الحوائط، تحركت أضواء الكشافات تستعرضها حتى قال (سيد) بنبرة أظهرت انبهاره:

- نصوص (أبو الجن).

نظر له الجميع كأنهم بحاجة لتفسير و(إبراهيم) يسأل:

- إيه اللي بتقوله ده يا سيدنا؟

- النصوص الأرامية اللي كانت مكتوبة في مخطوط التابوت الأسود كانت عليها حكاية إنها بتحمي الكتاب من إن الجن يشوفه، شكل الموضوع طلع بجد.

عاد (إبراهيم) يتأمل النقوش ويقول:

- علشان كده خدمتي ماكنتش شايفة الأوضة دي، طب ما تجيب خدمتك لهنا دلوقت.

- لما خدمتك ما شافتش حاجة قُلت أكيد خدمتي هاتبقى نفس الحكاية، بس لو جبت جن لهنا ممكن مايعرفوش يخرجوا، أنا لسه ما أعرفش لازي النصوص دي بتشتغل و...

قطع عبارته وهو يستمع لشيء ما.. ثوان وقال:

- حد سامع صوت دقات؟

انصتوا جميعًا حتى بدأوا يتبينوا صوتًا يكاد لا يسمع إلا بتركيز شديد يأتي من داخل الغرفة، دقات منتظمة تسير بنمط دقة ثم دقتان ثم دقة وهكذا، الانتظام أقرب لانتظام الساعة، والصوت أشبه بالطرق على الخشب، كل كشافات الإضاءة كانت تتحرك في كل أرجاء الغرفة محاولة الوصول إلى مصدر الدقات، إلا كشاف (أليكسندر) الذي تحرك ضوؤه

لطرف الغرفة عند منضدة خشبية مزخرفة بجانب مقعد وعليها شيء ما يشبه الورقة أصفر اللون والأتربة تغطيه.

. الفيته.

قالها (جابر) وهو يثبت ضوء كشافه على بقعة في الحائط المواجه لهم، في البداية اعتقدوها لوحًا خشبيًا مزخرفًا كبقية الألواح التي توجد في جوانب الحائط، لكن مع التدقيق بها ستجد أنها تتكون من مجموعة خانات مربعة صغيرة جدًا، داخل كل خانة حرف من الحروف الأبجدية العربية، وفي ثلاث خانات فقط تتحرك الحروف، قال (إبراهيم):

- إيه العداد ده؟ تفتكر اشتغل لما احنا دخلنا الأوضة ولا ...

قاطعه (سيد) قائلًا:

- ولا شغال من ساعة ما اتبنى المكان.

كان (أليكسندر) يتابع حواراتهم على هذا العداد لكنه لم يحرك ضوء كشافه عن المنضدة، عاد للنظر لها وهو يستمع للحوارات الجانبية و(جابر) يقول:

- انتوا أول مرة تشوفوا عداد زي ده؟

- مستحيل حاجة تكون شغالة من زمان كده، أما لو العداد ده بدأ مع دخولنا فده معناه إنه لما يقف هاتحصل حاجة.

قال (سيد) عبارته وهو يحرك كشافه في أركان الغرفة و(إبراهيم) يقول:

- أكيد رصد المكان ما اتهاش، وإلا أبويا ماكانش خاف منه بالشكل ده.

قال (جابر):

- مش ممكن المخاخ المكان خلصت لما أبوك والناس اللي معاه فتحوه وبقى جاهز إن حد يدخله.

حالت نظرة من (سيد) إلى المنضدة التي يسلط عليها (أليكسندر) الضوء منذ فترة ثم نظر لأليكسندر بشك، فجأة تتابعت أحداث وراء بعضها البعض بتسلسل غريب.

(أليكسندر) تحرك ودخل للغرفة وهو يخطو على السجادة بطريقه إلى المنضدة، و(سيد) ينادي عليه محذرًا إياه من الدخول، في منتصف الغرفة و(أليكسندر) يخطو على السجادة هبط جزء مربع من الأرض أسفل السجادة للأسفل نصف متر عن بقية أرض الغرفة وهو يصدر صوت احتكاك عالٍ و(أليكسندر) يقع أرضًا.

اهتزت الغرفة والممر كأنه زلزال والأتربة تتساقط من السقف، صرخ (سيد) وهو يتراجع للخلف:

- ارجعوا، رصد ميكانيكي.

تراجع (إبراهيم) للوراء وهو يبحث عن الحبل الموصول بجسد (أليكسندر)، زاد اهتزاز الغرفة والممر وتساقطت الأتربة أكثر ثم بدأ يخرج جزء من الجدار في الموضع الذي يقفون فيه وكأنه باب حجري يغلق الغرفة ويعزلها عن الممر، نهض (أليكسندر) وهو يجري ناحية المنضدة و(سيد) يصرخ فيه بالعودة، (إبراهيم) يعثر على الحبل الذي يصل لجسد (أليكسندر) ويحاول جذب هذا الأخير ليخرجه من الغرفة لكن اهتزاز الممر يسقطه أرضًا والباب الحجري يكمل حركته.

نظر (جابر) لهم ثم نظر لأليكسندر، وقفز داخل الغرفة وهو يسقط وينهض تباعًا محاولًا تمالك نفسه حتى وصل لأليكسندر الذي كان قد أمسك بالورقة، أمسك (أليكسندر) من ملابسه وجره ليخرجه من الغرفة والباب يوشك على الإغلاق، اقتربا من الباب أكثر لكنه كان قد قارب على الإغلاق حتى توقف فجأة وتوقفت اهتزازات الغرفة والممر، الفتحة التي توقف عندها الباب أقل من 20 سنتيمتر ولا تكفي لمرور أحد منهما حاول (جابر) دفع جسد (أليكسندر) من هذه الفتحة لكن دون جدوى.

صرخ (سيد) فيهم ألا يحاولوا الخروج كي لا ينغلق الباب بالكامل، و(إبراهيم) يتراجع للخلف باحثًا عن أي مخرج في الباب الحجري.. (أليكسندر) يحاول إخراج ذراعه من الفتحة الضيقة و(جابر) يمنعه، عاد (سيد) خطوة للوراء وهو يمسح عرقه وينظر للسقف وحوائط الممر ويقول لاهثًا:

- الرصد الميكانيكي لما مايكملش معناه إن أساس المكان مش مستحمل وممكن ينهار.

عادت الاهتزازات ثانية في الممر وأكمل الباب إغلاقه حتى التحم بالحائط واختفت الفتحة الضيقة وسط صراخ (أليكسندر) و(جابر).

صرخ (سيد) مناديًا على (جابر) فجاءه صوت هذا الأخير من الداخل مسموع بشكل مقبول، حتى إن (سيد) اندهش من إمكانية سماعه، وجد (إبراهيم) يلكزه في كتفه وهو يشير بضوء الكشاف ناحية الدوائر الخشبية المزخرفة المعلقة على حوائط الممر، نظر (سيد) لها فوجد جميع الدوائر تغوص لداخل الحائط ببطءٍ شديدٍ وبعض الماء يتسرب من حوافٍ كل دائرة ليقع على أرض الممر.

توقفت الدوائر الخشبية عن الغوص في الحائط ومازال الماء يخرج من حوافها على هيئة دفعات بسيطة، جرى (سيد) ووقف عند إحدى الدوائر وهو يغرف قليلًا من الماء المتساقط منها في يده اليمنى وينظر له قائلًا:

- المية دي مش متخزنة.

نظر بعدها حوله وهو يقول:

- (إبراهيم).. النيل بعيد عننا بأدّ إيه؟

- إحنا جنب البحر بحوالي 200 متر.

- اللي صمم المكان هنا وصله بنظام نقل مية تحت الأرض من النيل لهنا علشان يغرّق الممر بعد ما الأوضة تتقفل.

سمعا صوتًا كأنه حجر يحتك بحجر آخر، و(إبراهيم) يقول:

- الحمد لله، إن الرصد ده ما اشتغلش والممر ماغرقش.

- دي مصيبة، معناه إن فيه حاجة في التروس الداخلية باظت والمكان ممكن ينهار.

***

داخل الغرفة ووسط الظلام الدامس صرخ (جابر) مناديًا على (سيد) و(أليكسندر) يصرخ بالروسية بعبارات غير متناسقة ثم ينادي على (سيد) وسط عباراته، والاثنان يصطدمان ببعضهما البعض كل بضع ثوانٍ وهما يتحسسان طريقهما للحائط، أتى صوت (سيد) من الخارج يصرخ قائلًا:

- ابعدوا عن الباب والحيطان علشان المكان ممكن يتهد فجأة، وإحنا هانحاول نلاقي مخرج.. وفكوا الحبال اللي انتوا مربوطين بيها.. محدش يحاول يشدها.

انتبه الاثنان هنا إلى الحبال الملفوفة حول أجسادهم، حاولا فكها لكن الظلام والخوف منعوهم من التعامل مع الأنشوطة الخاصة بكل حبل، حتى أخرج (جابر) قداحة من جيب بدلته وأشعلها لتنير جزءًا بسيطًا من الغرفة، قرب طرف اللهب لأنشوطة الحبل الملفوف على خصره فبدأت بالاحتراق والذوبان وهو يضرب عليها بيده الأخرى كي يطفئ اللهب ثم عاود حرقها فانفك الحبل. قام بنفس الخطوات مع الحبل الملفوف حول (أليكسندر) حتى لاحظ على الضوء البسيط أن كشاف إضاءة من الذي كانوا يحملونه في الممر ملقى وسط الغرفة.

- فيه.. م.. فيه مصدر هوا في الأوضة.

قال (أليكسندر) تلك العبارة وهو يشير للهب القداحة المتراقص

أطلق (جابر) القداحة وأحضر الكشاف الكهربي الملقى وأضاءه ثم أشعل القداحة ورفعها لأعلى فتراقص اللهب أكثر، رفع الكشاف لأعلى فوجد في أعلى نقطة بالباب بضع دوائر صغيرة محفورة بداخله، أطفأ القداحة ووضعها بجيبه وهو يحرك الضوء على تلك الدوائر، فجأة اهتزت الغرفة بعنف شديد وتساقطت الأتربة والرمال من سقف الغرفة فابتعد الاثنان عن الباب في نفس اللحظة التي تساقطت فيها أحجار من الأعلى مع اهتزازه ثانية.

وقع الاثنان أرضًا و(جابر) يحيط (أليكسندر) بجسده وأحجار متكسرة مازالت تتساقط بجانب الباب، وقع حجران على جسد (جابر) فصرخ ألمًا، توقف الاهتزاز ثم عاد أعنف من السابق وباب الغرفة تنتشر به الشروخ والأحجار تتساقط من أعلى الباب، فجأة انهار الباب وانهار معه جزء من السقف وتسربت بعض المياه من أعلى موضع الباب لثوان ثم توقفت.

الصمت عم المكان بعد توقف الاهتزازات ونزول الأحجار ولم يبقَ غير رائحة التراب في أنف (جابر) و(أليكسندر) اللذين نهضا بصعوبة بالغة و(جابر) يتأوه من ألم بكتفه بينما (أليكسندر) يساعده على النهوض.

***

في الممر المؤدي للغرفة وقف (سيد) و(إبراهيم) عند فتحة الصعود وهما يوجهان أضواء الكشافات إلى الجزء المتهدم بعدما انتهى الانهيار، اقترب (سيد) من الأحجار المتساقطة أمامه وهو يقول:

- كده الباب اتكسر واتهدم، إحنا ممكن نسحب الحجارة بالراحة حجر حجر.

اقترب منه (إبراهيم) يتأمل الأحجار مختلفة الأحجام المكومة تسد مدخل الغرفة وقال:

- إن شاء الله مش هاناخد وقت.

- لازم ناخد وقت، لو سحبنا حجر غلط ممكن يحصل هدد تاني عايزين نعمل فتحة في جنب من الجوانب نخرجهم منها.

قال (سيد) عبارته واقترب أكثر من كومة الأحجار وهو يصرخ بصوت عال:

- يا (جابر) بيه إنتوا كويسين؟

أتاه صوت (أليكسندر) من الداخل يقول شيئًا ما بالعربية لكنه غير مفهوم، ثم صوت (جابر) يطمئنه.

- إحنا هانلاقي طريقة نخرجكم بيها بس هاناخد وقت، ابعدوا عن مكان الباب.

ثم نظر لإبراهيم قائلًا:

- ابن خالتك بايت في (باسوس) الليلة ولا في (أبو الغيط)؟

- بايت هنا.

- طب روح صحيه من النوم وهاته من غير ما حد يحس.

***

مرت أقل من ساعة و(جابر) و(أليكسندر) يجلسان في منتصف الغرفة على الأرض وسط الظلام، أشعل (أليكسندر) أربعة سجائر حتى نفدت علبة سجائره وبدأ بالحديث بالروسية من فترة لأخرى و(جابر) صامت يمسك بالكشاف الكهربي بعدما عثر عليه ويحاول إشعاله بلا جدوى، وكل بضع دقائق يسمعون صوت (سيد) أو (إبراهيم) ويشعرون بأنهم يحركون الأحجار في الممر.

- قولي يا (جابر)، إحنا ممكن مانخرجش من هنا؟

- لو حصل انهيار جوه الأوضة دي ممكن، انت مش مؤمن بربنا؟

ساد صمت لفترة حتى قال (أليكسندر):

- إنت مؤمن بربنا؟

- المفروض أقولك آه بثقة، بس الحقيقة إن إيماني ضعيف، بيتهز من وقت للتاني، لكن بيزيد كتير في وقت منيل زي اللي إحنا فيه.

ضحك (أليكسندر) ضحكة عصبية ليس لها معنى ثم قال:

- فيه قصة في التراث العربي موجودة بـ.. بأشكال مختلفة، عن ناس بتحبس في كهف وكل واحد.. وكل واحد فيهم يحكي حكاية.

- أنا مش ناوي أحكي حكايات.

- طب قولي انت بتشرب السجاير بمواعيد ليه؟

- إنت عايز سيجارة؟

سكت (أليكسندر) فأخرج (جابر) علبة سجائره وتحسس عدد السجائر بداخلها ثم قال:

- علبتي مافيهاش إلا 6 سجاير، لو سيبنا نفسنا للقلق هانخلصهم في ربع ساعة، إيه رأيك نخمس في سيجارة سوا كل ساعة.

- نخمس يعني نشرب السيجارة مع بعض؟

- آه.

- دي سجايرك وانت.. وانت تعمل اللي تحبه.

ضحك (جابر) وهو يمد يده بسيجارة حتى اصطدمت يده بوجه (أليكسندر) وهو يقول:

- أدي السيجارة لو حابب تشربها اشربها لو عايز نخمس في سيجارة كل ساعة يبقى ولعها وادهالي.

أمسك (أليكسندر) بالسيجارة وأشعلها ثم أخذ منها نفسًا وهو يقول:

- طعمها مش وحش.

- الله يسترك.

أعطى (أليكسندر) السيجارة لجابر والذي أخذها منه لصعوبة رؤيتي وهو يقول:

- حمدلله على السلامة.

- الله يسلمك.. مش فاهمك.

- مش مشكلة.

- تعرف إني كنت بخمس السجاير أيام ما كنت في السجن في بيلاروسيا.

- إنت كنت مسجون؟

- وأنا مراهق لجنة أمن الدولة قبضت عليا علشان غلطة في الأسماء واحد اسمه زيي كانوا متهمينه إنه ضد الشيوعية، واتسجنت 3 شهور.

أعطاه (جابر) السيجارة و(أليكسندر) يكمل:

- خرجوني من السجن وقدموا اعتذار ليا، بعديها بقوا يزوروني كتير.

- مين دول؟

- كي جي بي، أصلي اتصاحبت على اتنين جوه السجن ديانتهم الإسلام كانوا من جمهورية الـ جمهورية القوقاز السوفيتية، حفظت تعاليم الإسلام والصلاة في أقل من أسبوع، وحفظت سور من القرآن كمان. لما خرجت سألوني عنهم واتخضوا لما لقوني حافظ كل كلمة قالوهالي، الظباط اللي بقوا يزوروني بعد ما خرجت كانوا بياخدوا رأيي في المساجين المسلمين وإيه أنسب طريقة للتعامل معاهم، وكانوا بيـــ بيقولولي إن عندي موهبة التأقلم مع الناس وتوقع ردود أفعالهم.

- علشان كده كان أسهل عليك تبقى ظابط في لجنة أمن الدولة؟

قال (جابر) عبارته ولم ينتظر إجابة من (أليكسندر) لكنه سمع هذا الأخير ينفث دخان السيجارة في زفرة طويلة ويعطي السيجارة لجابر وهو يقول:

- أنا مش خايف منك، آه أنا في الـ (كي جي بي)، بس انت وراك مصيبة أكبر مني، من قبل ما أنزل مصر وأنا بادور وراك. مالكش أصل، فجأة ظهرت في الخمسينيات، حتى حكومتك ماتعرفش إيه اللي وراك. انت ممكن تكون ظابط مخابرات مصري في مهمة عمره، وممكن تكون جاسوس جاي من دولة تانية تعيش في مصر لحد ما تموت. إنت مش هاتقول لي بمزاجك، علشان أنا ما أدورش وراك وأفتح عيون الحكومة المصرية عليك.

أخذ (جابر) بضعة أنفاس من السيجارة ثم قال:

- لا تهددني ولا أهددك، ممكن أنا وانت نموت هنا.

- انت ليه دخلت الأوضة ورايا والباب بيتقفل؟ وليه حمتني بجسمك والسلاف بيــ بيقع؟

- علشان انت ضيفنا، وإكرام الضيف واجب.

ضحك (أليكسندر) وقال بنبرة مرحة:

- فيه مثل عندنا في بلدي الأصلي، مش عارف أترجمهولك لكن معناه إن أكثر أعدائك عداوة ليك ممكن يبقى أكثر صاحب ليك.

- عندنا نسخة بلدي منه في مصر، ما محبة إلا بعد عداوة.

قالها (جابر) وهو يعطيه السيجارة و(أليكسندر) يقول:

- أنا هاعتبرك صاحبي من النهارده لو انت حابب.

- صحوبية إيه الزفت دي اللي بنعملها في الضلمة.

ضحك (أليكسندر) وهو يطفئ السيجارة في كعب حذائه ويقول:

- أنا عارف إنك بتهزر، إحنا كمان بنهزر في الاتحاد السوفيتي زيكم بالظبط، بس انتوا.. انتوا فــ... انتوا فاكرينا باردين.

- إنت بتتكلم مصري حلو، بس لو تبطل تهتة في الكلام.

- إنت عارف أنا قعدت كام سنة أدرس اللغة العربية وبعديها اللهجة المصرية.

- مش عارف بس أكيد طلع عينك في برنامج (101).

سادت لحظة صمت حتى قطعها صوت (أليكسندر) قائلاً:

- أنا مش مندهش إنك عارف تفاصيل برنامج (101)، (كوربيتشينكو) ظابط الـ(كي جي بي) عاش في مصر في الخمسينيات، وبما إنه كان دارس اللغة العربية في معهد الاستشراق، بعتوه لمصر، لكنه اتفاجئ إن.. إن.. إنه مش فاهم معظم كلام المصريين ومش قادر يتعامل معاكم، وقعد يتعلم منكم 4 سنين كل حاجة، طباعكم، لهجاتكم، وهو هنا في مصر أشرف على إنشاء مشروع (إيزيس)، ولما رجع موسكو عمل برنامج (101) لتأهيل ظباط الـ(كي جي بي) اللي هايشتغلوا في مصر، خلانا ندرس لهجتكم وحياتكم وناكل أكلكم ونضحك على النكت بتاعتكم، وأنا كنت من تاني دفعة تتخرج من البرنامج ده.

- إنت كنت بتقول إنك مش مندهش إني عارف تفاصيل البرنامج، إيه اللي يخليك مش مندهش؟

- برغم إني عملتلك اختبارات كتير علشان أعرف إنت بتعرف اللغة الروسية ولا لأ وكلها بينت إنك ماتعرفش روسي إلا كام كلمة، لكن أنا متأكد إنك بتتكلم روسي كويس جداً.

- إيه اللي يخليك متأكد؟

- أول ما انت دخلت المشروع كنت بتابعك من موسكو، وخليت عملاء.. عملاء لينا في بريطانيا يدوروا وراك لما كنت بتحضر رسالة الدكتوراة زمان، مالقدروش يوصلوا لحاجات كتير عنك، لكن العمارة اللي ساكن فيها في شرق لندن كان ساكن فيها مهاجر من روسيا أبوه بريطاني وأمه روسية، ومن.. ومن غير.. ومن غير ما يتدرب في مركز لغات بلي يتكلم الإنجليزية بلهجة بريطانية في 4 سنين، من حظك إن المهاجر ده مات

في حادثة من كام سنة، لكن.. لكن الجيران بيقولوا إنه كان صديق شديد للمصري اللي عايش في نفس العمارة، يا ترى علمته الإنجليزية مقابل إنه يعلمك الروسي؟ واتعلمت روسي ليه وانت مجرد عالم في الفيزياء؟

لم يرد (جابر) ولكن (أليكسندر) أكمل:

. عندي يقين إن كل كلمة اتقالت بالروسي اللي اتعملت في المشروع كنت فاهم معناها، وكل ملف جُوه مكتب المشروع قريته وفهمته. أنا فاهم أمني يا (جابر)، وإحساسي بعتمد عليه أكتر ما بعتمد على المنطق، وإحساسي بيقول إنك بتلعب علينا وعلى حكومتك وعلى كل الأطراف، بس يا ترى ليه؟

لم يسمع (أليكسندر) رد، ولكنه كاد أن يقسم أنه ولي وسط الظلام الدامس قد شعر بأن (جابر) يبتسم.

فجأة سمعا صوت تشقق للحجارة من أحد جوانب الغرفة. أشعل (جابر) قداحته وهو يرمي الكشاف الكهربي جانبًا، زحف بحذر ناحية مصدر الصوت ليجد أنه يأتي من الحائط الذي وضع أعلاه العداد الذي يصدر صوت دقات الساعة، اقترب بقداحته المشتعلة أكثر من الجدار حتى رأى جزءًا من الجدار منفصلًا قليلًا عن بقية الجدار، جزء بحجم باب، ذلك الجزء الذي تعلوه الخانات التي تدق.

- (جابر) إنت لاحظت إن صوت الدقات وقف من شوية؟!

قال (أليكسندر) عبارته وهو ينهض من مجلسه ويتبع (جابر) الذي نهض أيضًا ليتأكد من توقف العداد.

- (أليكسندر).. العدّاد ده اشتغل من ساعة ما نزلنا هنا، وشكله لما يقف بيفتح فتحة لمكان تاني.

ضغط (أليكسندر) على الجزء المفصول من الحائط أسفل العداد فانفتح كأنه باب خشبي، نظر الاثنان بعضهما لبعض بتوتر، ضغط (أليكسندر) أكثر على الباب فانفتح ليظهر الظلام من خلفه.

ظهرت إضاءة من خلفهما فنظرا لها مفزوعين ليكتشفا أنه ضوء المصباح الكهربي الملقى، لقد اشتعل من تلقاء نفسه بعدما اعتقدا إنه تلف، لكن ضوءه كان متقطعًا يطفئ ويضيء ببطء، عاد (جابر) للمصباح وحمله بحرص، فكر أن يهزه لكنه خاف أن يفقد ذلك الضوء البسيط عاد لفتحة الباب ووجه ضوء المصباح للداخل، ليكتشف الاثنان غرفة تشبه تلك التي يتواجدون بها الآن، لكنها أكثر اتساعًا والتي بأشياء غريبة لم يحددوها بسبب ضوء المصباح المتقطع، هز (أليكسندر) كتف (جابر) وهو يقول بصوت كالفحيح:

- فيه صوت دقات تاني بدأت.

عندما أرهف (جابر) سمعه التقط صوت دقات أسرع هذه المرة وأكثر انخفاضًا، حرك الكشاف في تلك الغرفة بسرعة يبحث عن مصدر الدقات، لكن الضوء سقط على شيء في منتصف الغرفة فأوقف (جابر) حركة الكشاف ليثبت الضوء المتقطع على هذا الشيء، ظلا لدقيقة كاملة حتى يكونا صورة شبه واضحة لهذا الشيء، الصورة التي تكونت ببطء كانت لمستطيل أصفر اللون أقرب للحجر في منتصف الغرفة، المستطيل ظهر أنه تابوت وجزء من غطائه تمت إزاحته قليلًا، داخل التابوت شيء ما ملفوف بكامله بالحباله هذا الشيء اتضحت معالمه، إنها جثة بشرية تحلل جزء كبير منها، صاحب الجثة يفتح فمه صارخًا وهو مغمض العينين.

شهق (أليكسندر) وهو يقول:

- دي.. دي جثة (فوجول المسكين)، بس.. بس ليه مربوط بالحبال ومحطوط في تابوت؟؟.. (جابر).. (فوجول) اتحط في التابوت ده حي لحد ما مات.

توقف صوت الدقات فجأة فتراجع (جابر) للوراء وهو يسحب (أليسكندر) من ملابسه للخلف في نفس اللحظة انغلق الباب الذي يفضي للحجرة التالية.

تنفسا الصعداء و(أليكسندر) يقول:

- لو كنا دخلنا جوه كان الباب اتقفل علينا.

جاء صوت (سيد) من خارج الغرفة يقول:

- ماتقلقوش، إحنا لقينا الطريقة اللي نخرجكم بيها.

ثم أتى صوت (إبراهيم) يقول:

- أنا جبت ابن خالتي يساعدنا في نقل الحجارة.

جاء صوت شاب في الثلاثينيات من عمره من خارج الغرفة يقول:

- ماتخافوش يا بهوات، أنا (عبد الفتاح الدهان) ابن خالة (إبراهيم)، ساكن بالكتير أوي وهانخرجكم، بس ادعوا انتوا بس.

***

«2005»

جلس (أليكسندر) على مقعد منضدة الطعام بتلك الشقة المفروشة ممسكًا بملف مكتوب باللغة الروسية وبه صورة لعمر بدون لحيته المميزة، وبجانبه يجلس (جوزيف) يتحدث معه بالروسية، حتى أخرج من جيبه ورقة صغيرة مدوّن عليها رقم هاتف محمول وهو يكمل كلامه بالروسية، بادله (أليكسندر) الحديث لثوانٍ قبل أن ينهض (جوزيف) ويذهب لباب الشقة و(أليكسندر) يتبعه مودعًا إياه.

أغلق باب الشقة خلفه وعاد للجلوس على مقعده وهو يخرج هاتفه المحمول من جيبه ويطلب الرقم المكتوب على الورقة، انتظر قليلًا حتى جاءه الصوت من الطرف الآخر للمكالمة، فقال:

- سلامو عليكم، أستاذ (عمر سيد أبو خطوة) معايا؟.. جبت الرقم ده من واحد حبيبي، أنا عارف إنه رقمك الخاص والمتأمن كويس، كنت عايزك في شغل مهم جدًا، ماينفعش نتكلم في التليفون طبعًا، بس هو شغل مهم جدًا، من النوع اللي انت بتحبه، اسمي (أليكسندر كونستنتين)، آه مش مصري، أنا من بيلاروس، خلاص هاسيبك براحتك لحد ما تفكر وتكلمني على الرقم ده ونتقابل، مع السلامة.

أغلق المكالمة وجرس الباب يرن في نفس اللحظة، فتحه فوجد (حمدي) يصرخ بفرحة وهو يتقافز في موضعه:

- العروسة مستنياك يا مستر.

قابله (أليكسندر) ببرود شديد وهو يعود لداخل الشقة و(حمدي) يسير وراءه قائلًا:

ـ يلا بينا يا باشا علشان تدخل بيتك الجديد.

توقف (أليكسندر) ونظر لحمدي صامتًا فقال هذا الأخير بجدية أكبر:

ـ أنا خلصت كل حاجة، تعالى معايا علشان تستلم البيت يا مستر، دا أنا موقف التاكسي تحت علشان يوصلنا.

نظر (اليسكندر) لساعة يده ثم لحمدي وقال:

ـ أنا هاجي معاك دلوقت، هدومي وحاجاتي خليها في الشقة هنا لحد ما أجيبها براحتي، مش الشقة لسه معايا لحد آخر الشهر.

ـ طبعًا يا مستر.

بدون أي كلمات دخل (أليكسندر) لغرفة النوم، دقائق وخرج بملابس أخرى للخروج وهو يشير لحمدي كي يفتح باب الشقة.

نزلا للشارع واستقلا التاكسي الذي أوقفهم أمام المنزل بالتحديد و(حمدي) يوصي سائق التاكسي أن ينتظره ثم ينزل و(أليكسندر) يتبعه حتى فتح (حمدي) لأليكسندر بوابة المنزل الحديدية وهو يغالي في دعوته

ـ اتفضل يا مستر، يجعلها يا رب عتبة سعد ويديك خيرها ويكفيك شرها.

سار (أليكسندر) في الحديقة الصغيرة و(حمدي) يتقدمه.

ـ بس برضو إنت غلطان يا مستر علشان قلتلك بص بصة على البيت مرة تانية لأن اللي سكنوه بنوا دور فوقيه وغيروا فيه فأكيد مش هيبقى اللي في بالك يعني ولا مؤاخذة.

لم ينطق (أليكسندر) وهو يسير وعيناه تتحرك بسرعة تتأمل مظهر المنزل الخارجي الذي تغيّر لونه للأبيض وواضح للعيان أن الطابق الثالث

ثم بناوله حديثًا وبشكل غير احترافي، فتح له (حمدي) باب المنزل الرئيسي فوجد أثاثًا قديمًا مختلف الأذواق يملأ البهو الرئيسي للمنزل، لكن وسط تلك القطع وجد بعض قطع الأثاث الأصلية التي تعرف عليها ومازالت على حالها.

- بص يا مستر عايز أقولك إنك مش هتعرف تبيع البيت ده إلا بعد خمس سنين لأن القانون المصري لا مؤاخذة بيجبر الأجانب ما يتصرفوش في أملاكهم إلا بعد المدة دي.

كانت كلمات (مستر) و(لا مؤاخذة) التي يستخدمها (حمدي) في كل جملة تكاد تقتل (أليكسندر) غيظًا لكنه مع ذلك حافظ على هدوءه وهو ينظر له ويهز رأسه علامة موافقة ثم ينظر لساعته ويخرج علبة السجائر ويشعل لنفسه سيجارة.

- لا مؤاخذة يا مستر إلا حضرتك بتشرب كيلوباترا سوبر ليه، دي سيجارة ولا مؤاخذة بنت حرام.

اختار (أليكسندر) مقعدًا بجانب مطفأة سجائر وجلس قائلًا:

- ريحة تدخينها بتفكرني بمصر، كانت جميلة أوي زمان، وشبه سجاير الاتحاد السوفيتي كان بينتجها، دلوقت راح جمالها وبقت ريحة بسيطة بتفكرني بأجمل سنين عمري.

- حضرتك ولامؤاخذة بتتكلم عن السجاير ولا مصر؟

- الاتنين.

قالها وأخرج من جيبه شيك مطويًا سلمه لحمدي وهو يقول بلهجة تقريرية:

- نسبتك ولوقيها مكافأة صغيرة، الشيك على حساب البنك الأهلي- قادر تصرفه من فرع البنك هنا في حلوان، وأي حاجة تبع العقارات هكلمك إنت بس.

أخذ (حمدي) الشيك مبتهجًا وهو يقول:

- أنا ممكن أبعتلك بنت أعرفها تيجي تنضفلك البيت، اسمها ولا مؤاخذة (رشا) عندها أربع...

قاطعه (أليكسندر):

- شكرًا مش محتاج، الفضل برّه دلوقت

فزع (حمدي) من لهجة الطرد الواضحة ولكنه سرعان ما أقنع نفسه بأنه خواجة ويعيش بعملية بلا مجاملات، انسحب بعدما صافحه، بينما نهض (أليكسندر) يتجول في البهو يتوقف بين الحين والحين أمام مقعد أو مفرش من الأثاث الذي عاش عليه قديمًا بجانب زملائه، اتجه ناحية المطبخ وعيناه تحاولان التقاط كل شيء تغير أو بقي على حاله من الستينيات حتى الآن.

دخل المطبخ فطالعته رائحة عطنة تعودت عليها أنفه في لحظات، لقد اشترى المنزل بأثاثه البالي كي لا يفقد عامل الوقت، لكنه لم يتوقع أن يعامل أهل المنزل الذين سبقوه المنزل بتلك الطريقة المهينة على كل الأحوال من الجيد أنهم لم يجددوا فيه أو يهدموه ويعيدوا بناءه، فقد راهن على أن كل شيء في موضعه.

وها قد حانت اللحظة ليعرف نتيجة رهانه، نظر بعينيه عند طرف المطبخ الواسع عند باب خشبي قديم متهالك، غرفة الكرار، عرفها منذ وصوله لمصر قديمًا وعرف أن زملاءه الذين سبقوه لمصر قد بنوا هذا المنزل على الطراز المصري العادي ووضعوا غرفة الكرار التي يخزن بها المصريين البقوليات والقمح والمخلل لفترات طويلة.

وقف أمام الباب وفتحه ليجد مساحتها التي لا تزيد عن مترين في مترين خالية إلا من أرفف خشبية فارغة خلعها بسهولة ووقف يتأمل

الدهان الرمادي القديم المتآكل وتلك الثقوب الكثيرة التي تراصت بجانب بعضها البعض بطول غرفة الكرار لتوفر التهوية للطعام المخزن.

ابتسم بحنين وهو يخرج من إحدى جيوبه قطعة معدنية تشبه المفتاح لكنها طويلة جدًا، بدل أسنان المفتاح كانت ماسورة رفيعة بطول 20 سم تنتهي بزخرفة معدنية. أخذ يتلمس بأصابع يده اليسرى الثقوب حتى توقف عند الثقب السادس من الأعلى الموجود على الطرف الأيمن. وضع طرف المفتاح داخله حتى دخل بالكامل.

استمع بدقة وهو يدير المفتاح نصف دورة لليمين، تكة معدنية أتت فابتسم أكثر. أدار المفتاح دورة كاملة إلى اليسار فأتت تكة أخرى، ثم نصف دورة لليمين، أتت تكة عالية هذه المرة انفتح معها حائط الكرار للداخل كالباب.

بمجرد انفتاح الباب اشتعل مصباح خلف الباب وظهرت حجرة داخلية بحجم ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار، على أحد حوائط تلك الحجرة الداخلية رسمت صورة بحجم نصف الجدار تآكلت في بعض المواضع لكنها كانت واضحة، صورة لدرع حربي كبير وأمامه سيف وعلى السيف رسمت نجمة استقر داخلها رسمة تبين مطرقة ومنجل متقاطعين، تحت الرسمة تحتت ثلاثة أحرف بزخرفة غريبة (КГБ)، تأمل (أليكسندر) ذلك الجدار بفخر لم يعبر هذا الباب للداخل وهو يغلق على نفسه الباب ليعود المطبخ لهدوءه ورائحته العطنة مرة أخرى.

في الداخل وقف (أليكسندر) في الحجرة المظلمة ومد يده ليمينه يتحسس الحائط حتى وجد علبة تروس مرقمة تشبه الخزانة ذات الأرقام السرية، أمسك علبة التروس وهو يغمض عينيه ويتنفس بعمق، برغم الظلام الدامس إلا أنه امتلك ثقة أنه يعرف مواضع التروس وحركتها على الأرقام الصحيحة، حرك الترس ليقف عند الرقم الأول ثم الثاني، حتى

وصل إلى 13 رقم هما شفرة فتح الباب، كان يعرف أنه لو أخطأ في رقم واحد ستتغير شفرة الدروس إلى شفرة أخرى من 22 رقم لكنه ومع كل هذه السنوات التي قضاها في هذا المنزل وفي فتح هذه الأرقام يوميًا فإنه لم يكن ليخطئ.

وصل للرقم الـ 13 في سلسلة الأرقام الشفرية فسمع تكة مكتومة تفتح بعدها الحائط والذي لم يكن سوى باب من الخشب مموه ليصبح مثل الحائط، بمجرد فتح الحائط أضيء نور أحمر باهت من مصباح صغير معلق في نهاية سلم من الخشب، السلم لم يكن كثير الدرجات لكنه معتلئ بالمفاجآت.

هكذا فكر (أليكسندر) وهو يهبط الدرجات الخشبية مبتسمًا، فهو يضغط بقدمه على درجات معينة من السلم ويتفادى الضغط على درجات أخرى يحفظها عن ظهر قلب كي لا ينشط أنظمة حماية من للمكن أن تغلق المكان، كان يفكر أنه الذي أشرف بنفسه على هذه التأمينات الأخيرة على المنزل ليحميه بعد خبرته في التعامل مع أخفاخ الرصد المصري، لقد صنع رصدًا متطورًا هو الآخر باختلاف أنه مازال محبًا لأجواء المصرية ويحترمها أكثر.

وصل عند نهاية السلم والمصباح المضاء فوقه، نظر ليساره ليجد بابًا صغيرًا يكفي لعبور شخص واحد، وبجانب الباب مفتاح إضاءة صغير، أخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا طبيعيًا وأدخله في كالون الباب، نظر لمصباح المعلق وابتسم، يجب عليه أن يطفئ هذا المصباح قبل فتح الباب وإلا ستغلق كل الأبواب وتتفعل أنظمة حماية ميكانيكية للمكان ضد الاختراق، ضغط مفتاح الإضاءة فانطفأ المصباح ثم أدار المفتاح في الكالون حتى انفتح الباب ورائحة التراب مختلطة بالصدأ تهل عليه من تلك القاعة المظلمة التي دخلها، ومع تلك الروائح هبت رائحة الذكريات التي تحمل القوة المطلقة والسلطة التي اكتسبها في هذا البلد.

أغلق الباب وتحسس الحائط القريب منه حتى وجدت يده ما كان يبحث عنه، مفتاح كهرباء ضخم يبرز من الحائط، لم يعد يستعمل بكثرة هذه الأيام لكنه كان قمة التكنولوجيا في هذا الوقت، مفتاح يحول جزءًا كبيرًا من كهرباء المنزل إلى هذا المكان، أمسك طرف المفتاح بكلتا يديه وهو يتذكر آخر مرة أغلقه بيده عام 1981، عندما تسبب (جابر) في إغلاق مشروع (إيزيس) نهائيًا، كان (أليكسندر) هو آخر من غادر هذا المكان وهو يكافح دموع القهر وقتها مما فعله (جابر).

تمنى أن يظل نظام الكهرباء في المكان يعمل كما تركه، رفع المفتاح لأعلى بكل قوته حتى سمع صوت شرز كهربي ثم عم الضوء المكان من مصابيح بيضاء معلقة في السقف، كان يقف في قاعة كبيرة يطل عليها 8 أبواب من الفولاذ الصلب وعلى كل باب يبرز ترس متحرك يشير إحدى رؤوسه إلى رقم من أرقام كثيرة تحيط به، ذهب لأول باب وأدار الترس بضعة دورات فانفتح الباب للخارج مؤديًا لقاعة متوسطة المساحة تمتلئ بالأرفف على حوائط القاعة وعلى كل رف أشياء غير مرئية مغلفة بالبلاستيك الشفاف وعليها ورقة ملاحظة باللغة الروسية، أضيئت مصابيح الغرفة بمجرد فتحها بدون ضغط أي زر في بعض الأرفف صناديق مغلقة تغطيها الأتربة، ذهب (أليكسندر) إلى أحد الأرفف ومدّ يده يسحب صندوقًا كبيرًا رفعه من الرف جاهدًا حتى تمكَّن منه، فتحه نصف فتحة يطمئن على ما به، كان يقبع به كرة سوداء اللون لامعة، كأنها صنعت من المعدن ومن جزء من تلك الكرة يبرز قضيبين بلون فضي.

أغلق الصندوق وأعاده إلى الرف ثم غادر الغرفة لتنطفئ المصابيح كما أضيئت، فتح الغرفة التي تليها والتي امتلأت بأسلحة خفيفة من أنواع مختلفة معلقة على الحوائط وبضعة سترات واقية وأدوات كهربية وإلكترونية ومجموعة ملفات تتراص داخل دولاب مفتوح، أمسك أحد

الملفات وفحصها متذكرًا أنها تقرير خروج ودخول الأسلحة من هذه الغرفة بالتاريخ والساعة والدقيقة.

على أحد الحوائط علق جراب المسدس الذي كان يرتديه في ذلك اليوم الذي حاول فتح مقبرة (فوجول المستكين)، داخل الجراب استقر المسدس نفسه. أخرجه (أليكسندر) من الجراب ومسح الغبار من عليه وهو يقربه من أنفه ويشتم رائحة المعدن مختلطة بذكرياته مع ذلك السلاح الذي رافقه طوال حياته بمصر وها هو يعود إليه ثانية ليبدأ معه ذكريات جديدة.

أعاد المسدس لموضعه برفق شديد كأنه يعامل ابنه الوليد ثم ابتسم وغادر الغرفة ليفتح الثالثة، لم يدخلها بل تطلّع لها من الخارج، شاشات عرض تليفزيونية كبيرة كانت متصلة في يوم من الأيام بأحدث تكنولوجيا تخص كاميرات المراقبة، وأجهزة كمبيوتر إذا اصطلح على تسميتها بذلك الاسم برغم أنها تعمل بشرائط ورقية وتختص بعرض صور فوتية أو ملفات مخزنة لكنها تحوي بداخلها على نسخة من أعمال مشروع (إيزيس) بمصر.

نظر لآخر غرفة وهو يخطو ناحيتها ببطء وحذاؤه يدق على الأرض ملقيًا نغمة أحبها هو نفسه، هذه الغرفة ليست الأهم لديه معنويًا لكنها الأهم ماديًا، فتح الباب فارتعشت الأضواء ثم توقفت، داخل الغرفة خزانة بحجم الحائط بابها يحتوي على ثمانية تروس تعمل بالأرقام العربية، بسرعة شديدة فك (أليكسندر) شفرتها ترس وراء ترس وأصوات احتكاك معدن الخزانة من الداخل يدق مع كل ترس تحل شفرته..

بعد الوصول للترس الأخير أصدرت الخزانة آخر صوت احتكاك وسمع (أليكسندر) صوت لسان الخزانة وهو يعود لبابها الذي انفتح.

جذب الباب بصعوبة حتى فتح جزءًا منه، وقف يلهث وهو ينظر لداخل الخزانة التي كانت كالغرفة الصغيرة تمتلئ بالنقود من العملات

المصرية القديمة وعملة الدولار، لم يشغل باله بهذه العملات النقدية وهو ينظر إلى الجانب الأيسر داخل الخزانة، حيث تتراص سبائك ذهبية من أرض الخزانة إلى سقفها، أخرج من جيبه علبة السجائر وهو ينظر لساعته ويضحك، فتلك اللحظة تحتاج للاحتفال أكثر مما تحتاج للالتزام بميعاد تدخين السجائر، أشعل سيجارة ونفث دخانها بتلذذ وابتسامته تزداد.

***

بعد أسبوع

- الدعوة التيجانية.

سمع (جعفر) تلك الكلمة تتردد في أذنه فنهض من نومه مفزوعًا، نظر حوله ليتأكد أنه في غرفة نومه، شعر بالأمان أنه كان يحلم، مدّ يده يتحسس هاتفه المحمول على الكومود بجانبه وهو ينظر لضوء المصباح المعلق في سقف الغرفة ويحاول فتح عينيه بصعوبة مكافحًا تلك الإضاءة المقيتة، فهو لم يتعود على النوم في وجود إضاءة، لكنه منذ أن امتلك خدمة من الجان وهو يخاف من النوم في الظلام.

أمسك هاتفه محاولًا فتح عينيه أكثر ليعرف توقيت الساعة- إنها العاشرة ليلًا لم ينم أكثر من ساعتين.

- إنت ماكنتش بتحلم.

انتفض من على فراشه ونهض وهو يقول:

- إنت يا (سالم) اللي صحتني من النوم؟

جاء الصوت في أذنه ثانية:

- لازم تقرأ الدعوة التيجانية النهارده قبل ما الساعة 12 تيجي.

دفن (جعفر) رأسه بين كفيه وهو يقول بصوت حاول أن يجعله متماسكًا:

- أنا تعبت مش قادر أستحمل ده كل يوم.

رفع رأسه للأعلى وهو ينظر حوله ويقول:

- دي مش حياتي، مش ده اللي كنت عايزه.

- إنت مش كنت عايز خدمة من الجن؟

كان هذا صوت (سالم) فردّ (جعفر) بعصبية:

- أنا عايش كأني بأمثل دور أنا عارفه ومثلته قبل كده، لكن مش عارف نهايته.

- إنت عامل زي اللي بيدفع تمن حاجة لسه ما أخدهاش ولسه حتى مايعرفش إيه هي.

ابتسم (جعفر) بطرف فمه وقال:

- حلوة الفلسفة دي، اتعلمتها فين؟

- من كتر ما راقبتكم.

- أنا شكلي مش هاخد حاجة من الخدمة دي غير المناقشة معاك.

- ما انت حابس نفسك من يوم ما بدأت العهد ومش عايز تخرج، أنا حاسس إني بخدم ست عجوزة في نهاية حياتها كانت عايزة خدمة من الجن علشان تجبلها طلبات البيت، ومتفاجأة من اللي هي فيه.

- عايزني أعمل إيه يعني؟

- شوف مين اللي علمك وحطك على الطريق وكمل معاه.

***

جلس (عمر) وسط بعض الناس في أحد جوانب مسجد الحسين يستمع لأحدهم وهو ينشد شعرًا عن الصوفية وهو يهز رأسه مستمتعًا مغمض العينين، فجأة ابتسم وفتح عينيه وهو ينظر ناحية باب المسجد،

مرت لحظات وهو يتأمل تدافع الناس ناحية الباب حتى وجد (جعفر) يقف عند المدخل ينظر له، تأمل (عمر) ملابس (جعفر) غير المهندمة ووجهه المنتفخ غالبًا من قلة النوم فنهض وهو يعتذر للجالسين معه ويتجه صوبه.

وقف أمام (جعفر) محاولًا ألا يصطدم بالناس ومال على أذنه وهو يقول بصوتٍ حاول أن يجعله مسموع لكنه خفيض في نفس الوقت:

- طبعًا مش عارف تدخل جامع الحسين.

لم يظهر أي تعبير على وجه (جعفر) فسحبه (عمر) من يده للخارج وارتدى حذاءه وهو يقول:

- فيه عهد على معظم قبائل الجن إنها ما تدخلش الجامع ده وجوامع تانية لو كانوا تابعين لخدمة حد زيك كده.

سارا معًا مغادرين حيز منطقة الحسين و(عمر) يتحدث بينما (جعفر) يسير صامتًا بجانبه.

- أنا راكن عربيتي قريب من هنا، تعالى معايا المكتب بتاعي علشان فيه حاجات لازم نتكلم فيها وكمان احتمال تحضر مقابلة مهمة.

عندما وصلا للسيارة قال (عمر) ساخرًا:

- حد برضو ما يسيبش خدمته وهو داخل الجامع.. الشغلانة لمت فشخ.

***

أوقف (عمر) سيارته عند عمارة حديثة الإنشاء بشبرا الخيمة بينما تحدث (جعفر) لأول مرة منذ تحركا من منطقة الحسين وقال:

- ما كنتش أعرف إن الشركة اللي إنت شغال فيها في شبرا.

خرجا من السيارة فجرى بواب العمارة يرحب بعمر بحفاوة زائدة

(عمر) يمد يده في جيبه ليخرج بضعة أوراق نقدية يضعها في يد البواب لكنه كاد أن يقبّل يدَ هـذا الأخير فرحًا.

دخلا العمارة و(عمر) يقول:

. قصد إن الشركة قريبة من بيتك.. على العموم أنا مش شغال في الشركة أنا صاحبها، وصاحب العمارة دي كلها وكمان مش دي الشركة الوحيدة عندي، فيه 6 شركات تانية في القاهرة واتنين في إسكندرية وكام شركة في الصعيد.

توقف (جعفر) أمام المصعد الكهربي وهو ينظر لعمر نظرة تجمع الدهشة بعدم التصديق بينما قال هذا الأخير وهو يفتح باب المصعد ويدعو (جعفر) للدخول:

. نطلع الشركة وهفهمك كل حاجة.

وصلا للطابق التاسع فخرج (جعفر) ليجد شقة علقت بجانبها لافتة (الشركة المصرية للإنشاءات والمقاولات)، وقف أمام الباب شابان يدخنان سيجارة ويتحدثان، نظرا في البداية لجعفر نظرة جانبيه سريعة، عندما رأيا (عمر) من داخل المصعد اعتدلا في وقفتهما وألقيا السجائر المشتعلة أرضًا، لم يُعِرهما (عمر) أي انتباه وهو يشير لجعفر بالدخول للشركة معه.

طراز المكاتب والأثاث الداخلي للشركة أنبأ (جعفر) أنه يساوي ثروة صغيرة، تخطى الكثير من المكاتب مع كثير من التحيات لعمر حتى وصلا للمكتب الذي علقت على بابه لافتة (مدير الشركة)، إن كان أثاث الشركة قد تكلف ثروة صغيرة فبالتأكيد أثاث هذا المكتب تكلف ثروة ضخمة، مساحة واسعة وتحف ملقاة بشكل مستفز في كل ركن بالمكتب، منضدة اجتماعات طويلة وركن للجلوس وخرائط معلقة على الحائط وأكثر من ماكيت لفيلا أو عمارة يزين بعض المناضد. أما المكتب نفسه فهو قطعة فنية بلا شك.

جلس (عمر) وراء المكتب ودعا (جعفر) للجلوس أمامه وهو يقول:

- المفروض دلوقت أطلب من البوفية إتنين قهوة مظبوط زي الأفلام العربي.. ولا إيه رأيك؟

- ما بحبش القهوة..

- ولا أنا.. تشرب عناب معايا؟

هز (جعفر) رأسه بالإيجاب فرفع (عمر) سماعة هاتف قريبة منه وضغط على أحد الأزرار وانتظر.. ثم قال:

- اطلبيلنا اتنين عناب من البوفية يا (سارة) وقوليلهم يزودوا التلج.

استمع لصوت محدثته على الطرف الثاني ثم قال:

- لسه واصل حالًا؟ بعد ما دخلت يعني؟ طب خليه يتفضل، واطلبيله قهوة زيادة بسرعة.

نهض من خلف مكتبه وباب المكتب يفتح ليدخل رجل في منتصف العمر يرتدي ملابس تدل على ذوق وثراء قديم، يسبقه عطره الباهظ وهو يدخل للمكتب ويهش وجهه عند رؤيته (عمر) الذي احتضنه محيًّا إياه بودٍّ شديد.

- أعرفك يا (جعفر) على الباشمهندس (هيثم)، صاحبي وفي نفس الوقت أهم عميل لكل شركاتي.

صافح (هيثم) (جعفر) بينما (عمر) يكمل مبتسمًا:

- وده (جعفر) ما يتخيرش عنك كده يا (هيثم)، صاحبي وما بخبيش عنه حاجة، هو لسه جديد في الشغل بس أنا أضمنه برقبتي.. عايزك تتكلم قدامه براحتك على الآخر.

تفحصه (هيثم) بشك لثوانٍ في حين قال (عمر) وهو يعود ليجلس خلف المكتب:

- ما قلتلك ما تخافش يا أخي، قولي سفرية كندا كانت كويسة؟

- الحمدلله اتوفقنا في كل حاجة.

- والمكسب؟

- غطيت التكاليف وطلعت هامش ربح كويس أوي أوي.. بس مش ملعب الحكاية دي لحسابي تاني.

- ما إنت اللي عملتلي سبع رجالة في بعض وقلت عايز أكبر وأسول العملية كلها والمكسب ليك، وأنا ساعتها قلتلك خطرها ما يستاهلش كل التعب ده علشان خاطر كام مليون.

- حرمت خلاص. خليني سمسار زي ما أنا وأديني جاي وجايبلك شغل جديد أو بالتحديد استشارة.

- قبل الشغل قولي.. سألتلي على الراجل اللي قلتلك عليه؟

- آه.. (أليكسندر كولستنتين)، جُوه مصر وبَره مصر مالوش أي سوابق سواء في السمسرة أو الشرا أو البيع أو أي علاقة بشغلنا، لكن أنا دورت أكتر وراه ما لقيتش أي حاجة فقلت...

قطع حديثه عندما طرق باب المكتب والفتح ليأتي عامل البوفيه بالمشروبات ويوزعها على الجالسين، بعد خروجه قال:

- فقلت أسأل حبايب ليا في كام حتة لحد ما جيبتلك تفاصيل دخوله مصر آخر كام سنة.

أتبع آخر جملة بأن أخرج ورقة من جيبه أعطاها لعمر وهو يقول:

- دي قايمة بدخول (أليكسندر) من مطارات مصر أو خروجه منها في آخر عشر سنين، جواز سفره سليم ومكتوب فيه إنه من بيلاروسيا مواليد 1944، مش متجوز، دخل مصر سياحة 3 مرات بشكل طبيعي وآخر مرة قريب أوي ومستقر فيها بعد ما اشترى بيت في حلوان.

نظر (عمر) للورقة يتأملها وهو يتمتم شاردًا:

- حاسس إني عارف الاسم ده، أو شُفت الراجل زمان.

- أنا كمان حاسس إني سمعت الاسم ده قبل كده.

قالها (جعفر) فنظر له (عمر) نظرة غير ذات معنى، ثم نقل بصره لهيثم قائلًا:

- طب عرفتلي دخل مصر قبل العشر سنين اللي فاتوا؟

- صعب عليا لكن ممكن أحاول تاني.

- وموضوع إنه بيتكلم مصري ده ما تعرفش سببه؟

- روس كتير بيتكلموا مصري، ممكن يكون لقط كام..

قاطعه (عمر) وهو يفتح درج مكتبه الأيمن ويخرج علبة سجائر قائلًا:

- لا يا (هيثم).. المصري بتاعه مش طبيعي، لما كلمني في التليفون كنت بتعامل معاه إنه مصري عادي، لحد ما عرفني بإسمه وإنه عايز يقابلني في شغل، سألته فقالي إنه مش مصري.

- طب ما كنت تقابله وتعرف حكايته ونسأل عليه بعديها براحتنا.

أخرج (عمر) سيجارة وأشعلها ثم قال:

- مش مرتاح.. حاسس إن الحكاية كبيرة.

- وهو إيه في شغلنا بريح، المهم قولي فاضي لاستشارة سريعة على الماشي؟

- قول يا حبيبي.

- بيت في البدرشين صاحبه شاكك إن تحتيه حاجة، وعايزين نلاقي المدخل الصح.

رفع (جعفر) حاجبيه دهشة وهو يحرك نظراته بينهما بينما (عمر) يقول وهو يسحب أنفاس سريعة من السيجارة:

ـ ليه معول للحفر؟

ـ دكتور (نور الدين) ومعاه ظابط خدمته في البدرشين هيكون حماية.

ـ طبعًا جبتم أكتر من شيخ علشان يفك الرصد.

يبتسم (هيثم) وهو يتناول فنجان القهوة ويرتشف منه:

ـ آه.. بس هما اللي جابوا لوحدهم، ولما فشلوا في الآخر جابوني علشان أوصلك.

ـ دكتور (نور) طبعًا عارف طريقتي في الشغل من زمان، لكن صاحب البيت والظابط عارفين؟

ـ أضمنهوملك.. موافقين على مليون قبل التنفيذ وبعد الفتح 5 مليون بغض النظر عن أي حاجة هيلاقوها تحت، بس فيه طلبه لازم الفتح يتم النهارده علشان نقل الحاجة هيبقى صعب لو عدى يومين كمان.

هرش (عمر) في رأسه وهو يتمتم:

- أنا مش مرتاح للظابط ده، إنت عارف إن الغدر وارد في شغلانتنا، وكمان لازم النهارده، كده الموضوع يقلق الواحد.

أطفأ سيجارته ونظر لهيثم قائلًا:

- بسبب الاستعجال ده الفلوس يتغير نظامها 2 مليون قبل الفتح، و5 مليون بعده، تروح تجيب الفلوس وتجيلي بيهم كمان 3 ساعات، وأجي معاك على البيت على طول.

نهض (هيثم) مبتسمًا ومد يده يصافح (عمر) ويقول:

- ماشي يا مولانا، أنا هروحلهم دلوقت ولو الحكاية تحت أجيلك بفلوسك بعد ما أخصم الـ 15% نسبتي.

نهض (عمر) وهو يبتسم له ويقول:

- على البركة، بلغ سلامي لدكتور (نور).

غادر (هيثم) المكتب في حين نظر (عمر) لجعفر وهو يقول:

- هاه.. فهمت إحنا كنا بنتكلم عن إيه؟

ابتلع (جعفر) ريقه وقال مترددًا:

- عن تهريب الآثار.

تناول (عمر) كوب العناب وارتشف منه رشفة مستمتعًا به ثم قال مبتسمًا:

- مش للدرجة دي.. أنا ما بهربش حاجة، أنا أقتحلهم المقابر وأدخلهم جُوه وهما يتصرفوا.

لم يرد (جعفر) وخيم الصمت فترة بينهم وصوت رشفات العناب تخرج باستمتاع من فم (عمر)، مر ما يقرب من دقيقة حتى قال (عمر):

- طب أنا ليه كشفتلك شغلي وجبيتك معايا النهارده؟

هذا هو السؤال الذي دار بعقل (جعفر) منذ قليل لكنه لم يجرؤ على البوح به.

- أنا هقولك يا (جعفر)، قبل ما تجيلي بأيام طويلة شُفت حلم...

نهض (عمر) بعد عبارته وسار ليجلس على أريكة في طرف الغرفة وهو يقول:

- الحلم ممكن يكون تخاريف، خيال، رغبة، لكن ممكن يكون رؤيا، وفي حياة زي اللي أنا عايشها الحلم حاجة مهمة أوي، ولازم أحترمه حتى لو كان هلوسة.

ثم نظر لجعفر قائلًا:

- وأنا حلمت بيك، شُفتك وانت جايلي جامع الحسين، وشُفت نفسي وأنا بعلمك، وشُفتك وانت معايا واحنا بنفتح مقابر كتيرة، وشُفت حاجات تانية كتير كلها تخصك، علشان كده أول ما شُفتك عرفت إسمك...

عدم التصديق يبدو ظاهرًا على ملامح (جعفر) وهو يتطلع لعمر، لكن هذا الأخير أكمل كلامه:

- ما تستغربش، مش كل حاجة جن وعفاريت، فيه عالم تاني أكبر مني ومنك ومن الجن والعفاريت، ممكن يبعتلنا رسايل في شكل بسيط زي الأحلام، وأنا واثق في العالم ده، وواثق فيك، إحنا طريقنا مع بعض دلوقت، من النهارده هعلمك حاجات كتير، هتكون دراعي اليمين، هحميك وتحميني واللي يجرى علينا يجرى عليك.

***

بالقرب من منطقة زراعية بالبدرشين أقيمت 4 عمارات من 5 طوابق، وبرغم أن معظم شقق تلك العمائر مسكونة بالبشر إلا أن واجهات تلك العمائر مازالت عارية من أي تشطيبات والطوب الأحمر هو المتصدر للواجهات، حتى إنه مع هدوء تلك المنطقة وعدم مرور أي سيارات بها إلا نادرًا يعتقد الناظر أن تلك العمائر مازالت تحت الإنشاء وأن هذا الشارع خالٍ من الحياة.

وصلت سيارة (هيثم) وهي تتوقف عند رابع عمارة ومن داخلها خرج (عمر) و(جعفر) ليقفا على مدخل العمارة، ذهب (هيثم) بالسيارة ليتركها بمكان بعيد قليلًا، من مدخل العمارة خرج رجل في الخمسين يرتدي قميصًا وسروالًا لكن يظهر عليه شكل من أشكال الثراء بساعة يده الأصلية ونظارته الطبية ذات الإطار الذهبي، خرج من العمارة يصافح (عمر) بودٍّ شديدٍ ويحتضنه

- شيخنا وسيدنا (عمر)، إنت زعلان مننا ولا إيه؟

- ليه بس يا دكتور (نور)؟

- (هيثم) قاللي إنك طلبت 2 مليون قبل ما تيجي، إنت مش واثق فينا ولا إيه؟

ضحك (عمر) وهو يقول:

- إيه الكلام ده يا عم (نور)، خلي عنك خالص، كفاية عليا الشوفة النهارده.

- يا سيدنا إنت تؤمرنا نطيع، أنا مابتكلمش على الفلوس، دا انت تطلب عنيا، أنا قلت انت زعلان مننا ولّا حاجة، و...

قاطعه (عمر) وهو يشير لجعفر:

- لا مفيش أي حاجة يا دكتور، أعرفك بقى بصاحبي (جعفر)، تقدر تثق فيه زيي تمام، مندوب لواحد برّه مصر، ويقدر يشتري الحاجة اللي هاتخرج من المقبرة لو عجبته.

صافح (نور) (جعفر) بقوة وهو يرحب به.

- قولي يا دكتور بقى حكاية المكان ده ومستعجلين ليه؟

- ولا حاجة يا شيخ (عمر)، صاحب البيت كان بيحلم هو وأهله بحاجات غريبة، سألوا ولاد الحلال ودلوهم عليا، جيت لقيت صاحب البيت متفق مع ظابط قريبه وعمال تبعهم إنهم يحفروا بس مكنش معاهم فلوس للعمال ولا عارفين يلاقوا مدخل.

- وهو أي حد يشوف كوابيس يحفر على طول.

- لا ماهما جابوا شيوخ وأكدولهم إن فيه حاجة، بس مش عارفين يوصلولها، أنا جيت أعرض إني أشتري البيت من صاحبه وفوقيه قرشين بس رفضوا وقالوا إنهم عايزين يتشاركوا في اللي تحت النص بالنص، بصراحة أنا جبت شيخ تاني وما أعرفش وقالي مفيش حد قد الرصد اللي على المقبرة إلا اتنين، إنت يا مولانا، أو (أحمد إبراهيم).

- (أحمد) بتاع (باسوس)، ده حبيبي وعشرتي معايا، مجبتهوش ليه؟

- انت قبل الكل يا مولانا.

ضحك (عمر) بشدة وهو يسير لداخل المنزل بجانب (نور الدين) و(جعفر) يتبعهم وهو يحرك شفتيه كأنه يكلم أحدًا ما بصوت خافت جدًا غير مسموع.

من الشقة المواجهة للسلم بالطابق الأرضي خرج رجل وسيم الوجه مفتول الجسد يحمل مسدسًا داخل جراب في حزام سرواله، صافح (عمر) ببرود ثم (جعفر) الذي نظر لمسدسه نظرة طويلة ثم لملابسه المدنية العادية وهو يسمع (نور الدين) يقول:

- أعرفكم بصبري بيه، الظابط اللي مأمّن البيت وهايأمن النقل، الشيخ (عمر) يا (صبري) بيه هو اللي هايقدر يفتح المدخل، وده أستاذ (جعفر) ممكن يشتري الحاجة اللي هاتطلع ويريحنا كلنا.

هز (صبري) رأسه هزة بلا معنى بنفس الملامح الباردة وتركهم ليدخل الشقة مع ترك بابها مفتوحًا، دخلوا وراءه ليفاجأوا بتسع عُمّال يجلسون بجنب فتحة في أرضية صالة الشقة يتناولون الطعام، وبجانبهم أكوام من الأتربة والرمال، ألقى (عمر) عليهم السلام فردّوا عليه، وقف هذا الأخير بالقرب منهم وهو يقول:

- كم متر انحفر ولقيتوا إيه بالظبط؟

رد أحد العمال والذي بدا أنه أكبرهم سنًا:

- حوالي 15 متر ولقينا نفق ماشي 7 متر عليه هيروغليفي.

- انتوا بتقروا الكتابة الهيروغليفية؟

- لا يا باشا بس كل الناس عارفة شكلها، النفق مكنش مردوم، بس لبه في آخره صخرة ناشفة، اتنين منا جم يكسروها جاتلهم حمى وقعدوا بغرلوا، واحد تاني حاول معاها طلعله تعبان وحلف ما يكمل معاناه، ولدينا أهو على دا الحال كل شوية يجوبلنا شيخ يجيب زيبق ولا طلش ولا العاجات بتاعتهم دي ومفيش نتيجة يا باشا.

نظر (عمر) إلى (نور الدين) في نفس لحظة دخول (هيثم) من باب الشقة:

- قولي يا دكتور، نوع التربة اللي بتحفروا فيها إيه؟

- كانت تربة متشبعة بالمية الأول، لكن النفق موجود في منطقة حصى ورمل.

أشار (عمر) لكومة الأتربة والرمال الموجودة بجانب الفتحة وقال:

- الرمل ده طلعتوه من امتى؟

- من 3 أيام.

ذهب (عمر) للكومة وأمسك بعضها بقبضة يده يفركها ثم يشمها بأنفه وهو يقول:

- انتوا بتحفروا في فوق مخزن مية جوفية، دي الطبقة العاجزة اللي قبل المية الجوفية، المكان تحت خطر على فكرة.

- إحنا مدعمينه بالخشب يا باشا ماتقلقش.

قالها أحد العمال بخبرة وهو يضع لقمة محملة بالخضروات المطبوخة في فمه من الطبق المواجه له، وجه (عمر) رأسه ناحيته وهو يقول:

- ومدعمين المكان بالخشب ليه؟

- علشان السقف ما يقعش على دماغنا يا باشا.

هز (عمر) رأسه وهو يحرك عينيه بين الموجودين حتى وقعت عيناه على (صبري) وهو يثبت عينيه على (جعفر) الذي ما زال يحرك شفتيه كل ثوانٍ بلا صوت، اقترب (عمر) من (صبري) وقال:

- العمال دول اشتغلوا في حفر آثار قبل كده يا (صبري) بيه؟

- بتسألني أنا ليه؟

. أصلي عرفت إنهم جايين تبعك.

. وانت دخلك إيه، إنت جاي تفتح المقبرة وتاخد فلوسك وتفارقنا.

سرى التوتر في المكان و(نور الدين) يحاول تلطيف الجو وهو يقول مبتسمًا:

. إيه يا (صبري) بيه، دا كتَّر خير الراجل إنه رضي يجيبي، إنت أصلك ماتعرفش هو مين.

ابتسم (صبري) بطرف فمه بسخرية وهو يقول متهكمًا:

- هايكون مين يعني، وزير الداخلية.

ابتسم (عمر) وقال بهدوء:

- دا الظاهر إن مش بس العمال هما اللي أول مرة يشتغلوا في الحكاية دي، إنت كمان جديد، ومش فاهم طريقتنا.

- خلاص يا اخوانا إحنا نبدأ شغل ولما نخلص نقعد نتعرف على بعض وهانبقى حبايب كلنا.

قال (نور الدين) تلك العبارة وهو يبتسم بتوتر فتراجع (عمر) خطوات للوراء ثم أعطى ظهره لصبري وهو يشير للعمال قائلًا:

- خلصتوا الأكل.

- نكمل بعدين يا باشا.

قالها أحد العمال وهو ينهض ويتبعه الباقون مبعدين أطباق الطعام لطرف الصالة. اقترب (جعفر) من الفتحة بعدما توقف عن تحريك شفتيه ينظر إليها. كانت فتحة على شكل دائرة نصف قطرها متران، هناك مصابيح مطفأة معلقة رأسيًا على أحد جوانب الفتحة من الداخل، بين كل مصباح بضعة أمتار، وعلى جانب آخر من الفتحة سلم من الحبال الثخينة ودرجات السلم عبارة عن أسطوانات خشبية.

أضاء العمال المصابيح داخل الفتحة و(عمر) يقول:

- بتطلعوا التراب من تحت إزاي؟

أشار أحد العمال لركن الصالة قائلًا:

- بننزل قفة بحبل لتحت، ولما اللي بيملاها تحت يخلص بيشد الحبل فنطلعها.

- طب والسلم اللي بينزل على تحت بيشيل كام كيلو؟

- إحنا بننزل ونطلع عليه من أول ما حفرنا وماحصلوش حاجة.

- طب أنا عايز 5 منكم قلبهم شديد ينزلوا معانا.

تقدم كل العمال تقريبًا فاختار (عمر) منهم خمسة رجال بشكل عشوائي، نزل العمال تباعًا و(عمر) يشير لجعفر لينزل وراءهم.

- هو نازل معاك ليه؟

قال (صبري) عبارته بعصبية فلم ينظر له (عمر) وبدأ بالتعلق بسلم الحفرة وهو يقول:

- مش شغلك.

نزلوا جميعًا حتى وصلوا لنهاية الحفرة، وقف (عمر) ينفض الأتربة عن ملابسه وهو ينظر لجعفر الذي ظهر عليه القلق وهو ينظر يمينًا ويسارًا، قال (عمر) للعمال:

- روحوا كلكم اقفوا عند الصخرة اللي بتقولوا عليها.

نفذ العمال أوامره فنظر هو إلى (جعفر) بعدما اطمأن إلى أنهم لا يسمعونه وقال بصوتٍ خافتٍ:

- امسك نفسك يا (جعفر)، أنا واثق فيك وفي خدمتك.

- ماتخافش، (سالم) معايا ومعاه 22 واحد كمان.

- ماتتدخلش إلا لو حصل حاجة زي ما فهمتك، خدمتك وخدمتي هايشتتوا الناس بس، لكن لوعاك تنسى القسم اللي علمتهولك من ساعتين.

نظر له (جعفر) وقال باقتضاب:

- مش هاحتاجه.

- لو احتجناه اوعى تتردد يا (جعفر).

قال عبارته ثم تنحنح وهو يبتلع ريقه ويسير في النفق للأمام، النفق كان بعرض لا يقل عن خمسة أمتار وعلى الحائط الأيمن رسمت بعض الرسوم المصرية القديمة التي تمثل طقوس دفن الموتى والقليل من العبارات بالخط الهيروغليفي التي أخفي بعضها بسبب ألواح الخشب التي توزعت على الحوائط.

نظر (عمر) للعبارات المكتوبة لدقيقتين ثم قال:

- أنا مش عارف أترجم كويس لكن أنا فهمت إن فيه هنا مقبرة لكاهن مات صغير.

أشار (عمر) لأحد العمال وقال:

- امسك الفاس اللي معاك واخبط الحيطة اللي مضايقاكوا دي.

نظر العامل لمن حوله بتوتر ثم أمسك بالفأس ورفعه وهو يضرب الصخرة بقوة، تفتت الجزء الذي طاله الفأس من الحائط الصخري، وفي نفس الوقت (عمر) يقول:

- لو ظهر رصد من الجن سلسلوه.

أكمل العامل ضرب الحائط حتى تراجع فجأة وهو ينظر لأسفل قدمه حيث شاهد التراب يتخلخل ويخرج منه عقرب أسود اللون ينتصب ذيله في وضع المواجهة، فجأة أشار (عمر) بيده لهذا العقرب وهو يقترب نحوه

وبقية العمال يتراجعون ملتصقين بالحوائط، وهم يشاهدون العقرب وهو يتبخر كالدخان، حتى أتاهم صوت صراخ مكتوم، يشبه صوت الذئب إذا تألم.

ظهر أمامهم في نفس موضع العقرب صورة ضبابية لكائن يشبه القرد بقرون طويلة وشعر يغطي جسده ووجهه لكن يظهر عينيه البيضاء تمامًا.

تعالت أصوات العمال بالتكبيرات والآيات القرآنية المتقطعة وبعضهم يرتعش، الصورة الضبابية تتضح أكثر ويظهر بجانب هذا الكائن ثلاث كائنات بوجوه ممسوحة ضخمة وأجساد رمادية اللون بأجنحة عريضة كأجنحة الخفاش، أياديهم الطويلة تمسك بالكائن الشبيه بالقرد والذي يصرخ بلا صوت.

خطا (عمر) خطوة للأمام تقربه من الكائن أكثر وحرك عينيه يتأمله في هدوء وأصوات صراخ الكائن تتعالى و(عمر) يقول:

- طبعًا اللي حطك رصد هنا لجّم بوقك وخلاك مش عارف تتكلم علشان محدش يستجوبك.

بعينيه البيضاوين نظر الكائن لعمر وارتفع صراخه أكثر وكأنه لا يملك طريقة للتعبير سوى هذا الصراخ، وضع العمال أيديهم على آذانهم و(عمر) ينظر ليمينه ويقول شيئًا ما، في نفس اللحظة طار الثلاثة كائنات بأجنحتهم وهم يحملون معهم الرصد، طاروا واخترقوا سقف الممر فاختفى الصوت فجأة.

انهار العمال وهم يجلسون على الأرض و(عمر) يعود لجعفر الواقف تحت فتحة النزول يرتعش جسده بطريقة غير ملحوظة وعينيه متسعة ينظر لعمر وهو يتنفس بعمق.

- دا رصد هايف مابيعملش حاجة للي بيدخلوا المكان غير الخيالات،

العامل اللي كان بيضرب بالفاس أكيد بيخاف من العقارب، علشان كده الجني اتشكله في هيئة عقرب.

ابتلع (جعفر) ريقه وسعل ليمكنه الحديث، حتى قال:

- يعني الرصد ممكن يستجوب القرين بتاعي علشان يعرف أنا بخاف من إيه؟

- دي الحاجة الوحيدة اللي يقدر يعملها لو استجوب قرينك، يعني اللي جاله حمى أكيد كان بيخاف من المرض فخلى مخه يتوهم إنه محموم، رصد طيب مالوش في حاجة غير الخيالات.

- إنت قتلته؟

- لا خدمتي أخدوه لنقطة بعيدة مش أكتر، دا متبهدل يا عم مش ناقص.

- هو أنا خدمتي تقدر تتعامل مع أي رصد من الجن؟

ضحك (عمر) وهو يقول:

- ممكن تتعامل مع الحاجات الخفيفة، لكن الجن اللي معاك مايقدروش على التقايل.

- علشان كده شكل الجن اللي معاك غريب أوي غير خدمتي خالص.

أدار (عمر) ظهره لجعفر ناظرًا للعمال وهو يقول مبتسمًا:

- تقدر تقول إن اللي شُفتهم دول بيقوا الصنايعية في خدمتي.

تقدم ناحية العمال وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- خلاص الحكاية انتهت، كان رصد من الجن هايف ومشي، يلّا قوموا علشان تهدوا الحيطة دي ونشوف هاللاقي المدخل الصح ولّا لا.

نظر له العمال الغارقين في عرق الخوف والرعب وكأن كلماته لم تصل لآذانهم بعد، صرخ فيهم بعصبية:

- يلا قوموا.

نهضوا بتثاقل بينما هو يشير لاثنين منهما قائلًا:

- انتوا الاتنين تطلعوا فوق وتعرفوهم باللي حصل علشان ينزلوا بالقفف ويسحبوا الحجارة والرمل اللي هانكسرهم، وهاتوا معاكم حاجات تساعدكم على التكسير أكتر من الفاس.

جرى العاملان ليصعدا السلم للأعلى وهما يمران بجعفر الذي أفسح لهما الطريق، أشار (عمر) للثلاثة الباقين أن يبدأوا العمل على تكسير الجدار الصخري، رفع أولهم فأسًا ونزل على الجدار ثم انتظر ثواني وكأنه يطمئن لعدم وجود شيء، تبعه البقية بحماسة شديدة وقطع من الجدار تقع على الأرض، عاد (عمر) للوقوف بجانب (جعفر) يراقب العمال، عاد العاملان اللذان صعدا بعامل جديد وبأدوات أخرى والمكان يتحول لخلية نحل منتظمة، عمال يقومون بالتكسير وآخرون ينقلون الأحجار والرمال الناتجة عن التكسير إلى الفتحة يضعونها بالأجولة الجلدية المدلاة من الأعلى ثم يجذبون الحبال لترتفع الأجولة وتعود خالية.

نصف ساعة مرت على التكسير حتى ظهرت فتحة من جراء ضرب أحد المعاول على الحائط، فتحة بحجم كف اليد، طلب (عمر) من أحد العمال كشاف إضاءة كهربي وأمسكه وهو يوجه الضوء لداخل الفتحة للحظات قبل أن يبتسم ويقول:

- مبروك، دا مدخل المقبرة الصح.

صعد أحد العمال فرحًا ليخبر من بالأعلى وبقية العمال يكبرون وضرباتهم على الحائط تزداد قوة وعنفًا حتى انكسر جزء أكبر من الجدار.

نزل من الأعلى بقية العمال فرحين وتبعهم (نور الدين) و(صبري) حتى امتلأ الممر بهم وهم يحتضنون بعضهم البعض، وجميع العمال قد

توقفوا عن العمل وهم يقربون الكشافات من الفتحة يشاهدون غرفة الدفن بسعادة، ثم أفسحوا الطريق لنور الدين ليشاهد بنفسه ومن بعده (صبري).

أما (جعفر) و(عمر) فقد وقفا بعيدًا عند فتحة الصعود يشاهدان كل هذه الفرحة والفخر على وجهيهما برغم عدم اشتراك (جعفر) بفعل أي شيء. أقبل (نور الدين) على (عمر) يحتضنه بشدة ثم يحتضن (جعفر) وهو يقول:

- إنت مفيش منك اتنين يا شيخ (عمر)، العامل اللي طلع حكالنا على اللي انت عملته.

- الموضوع كان بسيط يا دكتور، مبروك على المقبرة، فيها شوية حاجات قيمة على حسب ما بصيت كده على السريع.

عاد (نور الدين) لاحتضانه مرة ثانية في حين اقترب (صبري) وقال متبسمًا على غير عادته:

- أنا كنت فاكرك نصاب الأول، بس دلوقت اتأكدت إنك فاهم.

صافحه بعد أن قال عبارته وعاد ليقف بجانب العمال الفرحين، و(عمر) ينظر لجعفر مبتسمًا لكنه وجد هذا الأخير ينظر بطرف عينيه لصبري، نظر (عمر) هو الآخر لصبري فوجده يتحدث مع العمال فعاود النظر لجعفر الذي قال بصوت خافت:

- (عمر)، خدمتك رجعتلك ولا لسه؟

اختفت الابتسامة بالتدريج من على وجه (عمر) وهو يقول:

- لسه.

اقترب خمسة من العمال من خلف (عمر) وأحدهم ينحني بجسده للأسفل ويجذب (عمر) من قدمه للوراء ليقع أرضًا على وجهه ثم يكبله

اثنان وهما بجوارنه، الاثنان الباقيان من العمال أمسكا بنور الدين مكبلين حركته، و(صبري) يشهر مسدسه في وجه (جعفر) الذي تسمر من المفاجأة وبقية العمال يقتربون منه بسرعة وأحدهم يضربه بجرافة على وجهه ففاداها (جعفر) لكنه تلقى ضربة أخرى بجرافة ثانية صرخ منها ألمًا وهو يقع أرضًا واثنان من العمال يكبلان حركته.

انقلب الموقف في الممر في بضع ثوانٍ لآخر شيء يتوقعه (جعفر)، فهو يجلس على الأرض واثنان يكبلان حركته والدماء تنزف من أنفه برغم عدم شعوره بألم كبير الآن، وعلى بُعد ثلاثة أمتار منه يصرخ (نور الدين) وأحد العمال قد تمكن منه وبجانبه (عمر) مستلقي على بطنه ورأسه في التراب يكافح كي يرفعها.

صرخ (صبري) في أحد العمال قائلًا:

- اطلع فوق وامسك اللي اسمه (هيثم) ده، وماتخليهوش ينطق لحد ما أطلعلك دلوقت.

جرى أحد العاملين يمر فوق الأجساد المكبلة على الأرض حتى وصل إلى الفتحة واختفى وهو يصعدها، أرخى (صبري) يده التي تحمل المسدس وجعلها بمحاذاة جانبه وهو يسير وسط الممر مختالًا كقائد عسكري منتصر، وقف بجانب (عمر) وقال:

- كفاية عليك الاتنين مليون اللي أخدتهم، وأهو الورثة يدعولك بالخير.

ثم نظر لنور الدين الذي كان ينظر بغل شديد لصبري وقال:

- أنا آسف يا دكتور (نور) بس ده شغل على كبير أوي ومفيش مجال إنكم تخروجوا عايشين من هنا.

صرخ فيه (نور الدين):

- إحنا ورانا ناس كبيرة في البلد، ولو حصل حاجة لأي حد...

قهقه (صبري) بصوت عال:

- وأنا ورايا ناس أكبر، والناس اللي ورايا استغلوا الناس اللي وراك علشان أعمل اللي هاعمله دلوقت، دا حتى قالولي إنك أكلت كتير من ورثهم وسمنت وجه معاد دبحك.. كل سنة وانت طيب يا دكتور.

نظر (صبري) لجعفر وقال:

- إنت بقى أنا ما أعرفكش، مين اللي وراك، بتشتغل لحساب مين؟ علشان لما تموت نعرف نعتذر للي مشغلينك.

رفع (عمر) رأسه عن الأرض وقال بصعوبة وهو يجاهد للتحرر:

- أقسمت عليكم يا خدام زكاروت من العرش إلى..

توقف (عمر) عن الكلام مجبرًا وأحد العمال يضغط على رأسه من الخلف ليضع وجهه في التراب، فصرخ باسم (جعفر) بصعوبة في نفس الوقت الذي عاد (صبري) فيه ينظر لجعفر ويقول بحدة:

- مين اللي وراك؟

نظر (جعفر) له كأنه يتأمل وجهه ويقول ببرود:

- (سالم)..

قطب (صبري) حاجبيه قائلًا:

- (سالم) مين؟

- اللي واقف وراك.

اتسعت عين (صبري) ونظر خلفه بسرعة لكنه لم يجد شيئًا غريبًا، عاود النظر لجعفر فوجد شيئًا بطول مترين بجسد بشري ورأس تشبه رأس ابن آوى، صرخ هذا الشيء فخرج صوته كالذئب و(صبري) يتراجع خطوات للخلف من المفاجأة، هذا الشيء يقترب منه وفي نفس الوقت تظهر عقارب وخفافيش وثعابين من لا مكان في القبر تلتف حول أجساد من يكبلون

(جعفر) و(عمر) و(نور الدين)، صرخ العمال وهم يبتعدون تلك الهوام عنهم والشيء الضخم يقترب من (صبري) أكثر والعمال يبتعدون لداخل المصر، والهوام تتجمع بجانب (جعفر) الذي نهض واقفًا كأنها تحميه، حتى عندما حاول عاملان الجري باتجاه الفتحة ليصعدا تجمعت العقارب والثعابين أمامهم فعادا للوراء.

نهض (عمر) بسرعة وهو يسحب (نور الدين) باتجاه فتحة الصعود التي يقف عندها (جعفر) و(نور الدين) مفزوع من الهوام المتجمعة حول (جعفر) الذي خطا خطوتين للأمام يشاهد العمال و(صبري) يقفون في نهاية المصر وهذا الأخير يتقدمهم وهو يصرخ قائلًا:

- دي كلها خيالات يا أغبيا، ماتخافوش.

اتبع عبارته بأن أطلق رصاصتين من مسدسه على الشيء الذي يقف أمامهم، مرت الرصاصات من جسده كأنه هواء، فجأة قال (جعفر) بصوت عال:

- أقسمت عليكم يا خدام زكاروت من العرش إلى الفرش بسيف النعمة المعلق بالعرش باستنزال وتربيع خدام الباب الكبير بالهيكل، قاديش أن ليبت عيزراليل لهيبتون.

انطلقت رصاصة ثالثة مرت بجانب رأس (جعفر) الذي رفع يده مشيرًا لسقف المكان قائلًا:

- ديلوخي ملكولوخ زكاروت يا خادم الله، قاديشو ايدو لالوهو قاديشو كمعيو، قاديشو كتبتون لالوحو دبشمايو.

وقعت أتربة غزيرة من السماء ثم سقطت الدعامات الخشبية من على السقف على رأس العمال مع أحجار صغيرة تساقطت هي الأخرى على رأس (صبري) الذي وقع أرضًا، نظر الشيء الذي كان يقف أمام (صبري) إلى (جعفر) ثم إلى السقف واختفى، جرت الثعابين والعقارب

بعيدًا كأنها تهرب مما يقوله (جعفر) الذي أكمل كلماته صارخًا وهو يشير لصبري والعمال:

- ارصدوا المكان رصدًا لا دخول فيه لبشر بحق دمليخ دمليخ ليـاروش لياروش، عبارو لوطرعوا أخ لاهجو بنور الأسماء المكتوبة على يد عيزرائيل لا يبق منهم أحدًا إلا وصرع.

اهتز الممر هزة أخيرة وأحجار تساقطت من السقف على رؤوس العمال المتكومين أرضًا كأنها تستهدفهم والأتربة تهال عليهم كأنها تدفنهم.

كان (نور الدين) يغطي عينيه بيده طوال الثواني السابقة، لكن بعد الهدوء الذي عم المكان أبعد يده محاولًا الرؤية وسط أبخرة الأتربة، لا يظهر من العمال سوى أطرافهم من داخل التراب والحجارة، ومن منهم يظهر جزء من رأسه فهو مهشم والدماء تختلط بالأتربة والجميع بلا حراك، أما (صبري) فقد سقط على وجهه وقد غطت الرمال والحجارة جسده والدماء تسيل من رأسه.

أما (جعفر) فقد وقف ساهمًا لا يتحرك ينظر لكل هذا وكأنه لم يستعب بعد ما حدث، (عمر) الذي امتلأ وجهه بالكدمات والجروح وتكسر أنفه وامتلأت نظارته المتكسرة بالدماء سار بخطوات واثقة ناحية (صبري) ووقف بجانب رأسه، خلع نظارته المكسورة ووضعها بجيبه ثم بحث حوله بعينيه حتى انحنى وتناول حجرًا كبيرًا رفعه لأعلى بكلتا يديه ثم أغمض عينيه وهو يهوي بالحجر على رأس (صبري) حتى انتفض جسد (عمر) وهو يسمع صوت تهشم رأس (صبري)، رمى الحجر بعيدًا وعاد بخطواته البطيئة الواثقة لنور الدين الذي تراجع خطوة للوراء حتى اصطدم بالحائط، قال (عمر) بهدوء:

- اللي يخون علشان يخرج حاجة مدفونة، الأولى بيه يندفن معاها.

لم يرد (نور الدين) وهو ينظر بخوف لعمر الذي قال بصوت أعلى قليلًا:

- مش دي قوانين شغلنا يا دكتور؟

هز (نور الدين) رأسه علامة الموافقة و(عمر) يتخطاه وهو يصعد سلم فتحة الصعود و(جعفر) يتبعه صامتًا، نظر (نور الدين) للجثث المغطاة بالأتربة ثم أدار ظهره لهم وهو يتسلق السلم.

ظهر جسد (عمر) المغطى بالأتربة وهو يخرج من الفتحة إلى صالة الشقة محركًا عينيه في كل جنبات الصالة حتى وجد (هيثم) ملقى في أحد أطراف الصالة وفمه مكمم بخرقة وجسده مربوط بالحبال، العامل الذي أرسله (صبري) يجلس على الأرض بجانبه يدخن سيجارة، بمجرد رؤيته لعمر وهو يخرج من الفتحة هب واقفًا وهو يحمل جاروف صغير كان بجانبه ويشهره في وجه (عمر) والفزع يبدو عليه وهذا الأخير يسير ناحيته ببطء وهو يقول ضاغطًا على حروف كلماته:

- زمايلك كلهم ماتوا تحت، الظابط اللي مشغلكم قتلته بايدي.

كان قد اقترب أكثر من العامل الذي ضربه بالجاروف على وجهه بطريقة بالسة، الغريب أن (عمر) تلقى الضربة التي أتت على رقبته لكنه لم يهتز، بل أمسك العامل من رقبته بيده اليمنى وهو يقول:

- بس أنا هاسيبك تعيش.

خرج في نفس اللحظة (جعفر) من الفتحة وتبعه (نور الدين) و(عمر) يضغط على رقبة العامل الذي ترك الجاروف يقع من يده كأنه يستسلم و(عمر) يقرب رأسه منه ويقول:

- عارف ليه؟ علشان تحكي لصاحب البيت وللي مشغلين الظابط بتاعك عن اللي عملته، وتعرفهم إن اللي هايقرب مني أو من دكتور (نور الدين) هايندفن حي تحت بيته، ومفيش لا جن ولا بشر هاينجدوه من إيدي.. سامعني يالا؟

- آه يا باشا.

قالها العامل بصوت مهزوز فالقاه (عمر) بعيدًا وهو مازال ينظر له باحتقار، (جعفر) و(نور الدين) حررا (هيثم) من الحبال فنهض وهو يلهمان على (عمر)، لكن هذا الأخير لم يتكلم وخرج من الشقة والبقية يتبعونه حتى خرج من باب العمارة ثم نظر لنور الدين وقال:

- اللي حصل ده لازم كل اللي في شغلتنا يعرفوه ويجيبوا يشوفوا الجثث كمان، بس ماتجيبش سيرة (جعفر)، قول إني أنا اللي عملت ده.. بلاش (جعفر) يدخل في سكتنا، حياته ومستقبله ملهاش دعوة بينا.

هز (نور الدين) رأسه علامة الموافقة و(عمر) يكمل كلامه:

- نتقابل كمان يومين علشان عايزين ندور ورا الظابط ده ونعرف إيه اللي حصل، وماتقلقش من حاجة يا دكتور، كل حاجة هاتخلص على خير.. حمد لله على سلامتك.

ابتسم (نور الدين) نصف ابتسامة فقال (عمر):

- تحب تروح معانا في عربية (هيثم)؟

- أنا راكن قريب.

صافحه (عمر) ثم سار هو و(جعفر) و(هيثم) يتقدمهم وهو يجد في خطواته، و(عمر) يقول لجعفر بصوت لا يسمعه سواهما:

- أنا عمري ما قتلت بشر قبل كده يا (جعفر).

نظر له (جعفر) بطرف عينيه بلا حديث وهما يمران بجانب أرض زراعية تأتي منها بعض نسمات الهواء المنعشة التي استنشقها (جعفر) و(عمر) يكمل:

- أبقى كداب لو قلت لك إني عارف إحساسك إيه دلوقت، لكن أنا كمان ماقتلتش من الصدمة، ومش عارف..»

قاطعه (جعفر):

- لما علمتني قسم (زكاروت السرياني) من كام ساعة وقولتلي إنك بتستخدمه علشان تهد بيه الحظائر وتقتل بيه لو حبيت، كنت عارف إني هاستخدمه؟

- لا.. لأني ما استخدمتهوش قبل كده، لكن حلمت زمان إني بعلمهولك.

ظهرت بوادر ابتسامة ساخرة على وجه (جعفر) وهو يقول:

- انت الظاهر شوفتني في حلمك كتير يا (عمر)..

- وكل اللي شُفته الحقيقي، ماعدا آخر حاجة.

- إيه؟ حلمت اني بقتل مين المرة دي؟

ابتسم (عمر) بمرارة وقال وهو ينظر أمامه:

- أنا حلمت فعلًا بجريمة قتل، لكن لا انت القاتل ولا القتيل.

نظر له (جعفر) بدهشة فقال (عمر):

- هانعرف كل حاجة في وقتها.

***

بعد ثلاثة أيام

جلس (عمر) وراء مكتبه وهو يقول لجعفر الجالس على الأريكة في ركن الغرفة:

- أنا مابطلبش منك غير إنك تسمع بس.

ارتشف (جعفر) من كوب العصير الموضوع على المنضدة أمامه وقال:

- وأنا هاستفاد إيه من إني أعرف الراجل ده، أنا مش عايز يكون لي أي صلة بشغلك تاني.

- هو أنا بقولك تقابله، أنا مش عايز منك غير إنك تقعد في الأوضة

التانية اللي لسه موريهالك تراقب مقابلته معايا على المونيتور اللي جوه، وتدينـي انطباعـك عنـه، مـش قلـت قبـل كـده إنـك حاسـس إنـك سـمعت الاسـم ده قبـل كـده، طـب مـا...»

قطـع (عمـر) عبارتـه وهاتـف المكتب الداخلي يرن بنغمة مميـزة، نهـض مـن خلـف مكتبـه وهـو يشـير لجعفـر ويقـول:

- ادخل الأوضة بسرعة.

نهـض (جعفـر) وفتـح بـاب في أحـد أركان المكتـب ودخلـه وهـو يغلـق مـن خلفـه البـاب، رفـع (عمـر) سـماعة الهاتـف:

- أيوة.. طب خليه يدخل بسرعة.

أغلـق سـماعة الهاتـف ووقـف بالقـرب مـن البـاب يعـدل وضـع نظارتـه الطبيـة الجديـدة عـلى وجهـه المـلء، باللواصـق الطبيـة والبـاب يفتـح ومـن خلفـه يظهـر (أليكسـندر) يرتـدي بدلـة رماديـة أنيقـة لكـن بـلا ربطـة عنـق، يحمـل بيـده اليـسرى حقيبـة جلديـة سـوداء تظهـر أنهـا ثقيلـة لأنـه يميـل بجسـده للجهـة اليـسرى قليـلًا.

- لا دا حضرتك مش مصري فعلًا.

قالها (عمـر) مازحًا وهـو يمـد يـده ليصافحـه، بالفعـل زادت البدلة وسـامة (أليكسـندر) أكـثر حتـى مـع كـبر السـن البـادي عليـه لكـن وجهـه لا ينتمـي إلا لشـعوب أوروبـا مهـما حـاول الاندمـاج مـع المجتمـع المـصري.

ضحـك (أليكسـندر) وهـو يدخـل المكتـب ويصافـح (عمـر) بـود شـديد وهـو يقـول:

- أنـا عشـت عمـري كلـه المصريـين بيندهشـوا منـي وبـس، محـدش عايـز يعاملنـي طبيعـي.

ضحـك (عمـر) هـو الآخـر مجاملـة وهـو يقـود (أليكسـندر) ليجلـس عـلى

الأريكة المقابلة للمكتب، نظر (أليكسندر) لكل أركان المكتب مبتسمًا وهو يقول:

- ذوقك في الديكور عظيم يا أستاذ (عمر).

ابتسم (عمر) أكثر وهو يرفع سماعة الهاتف ويقول:

- حضرتك اللي ذوق ومجامل، تحب تشرب إيه؟

- والله أنا بشرب مشروبات غريبة شوية متأكد إنها مش هاتكون في بوفية الشركة.

- إيه؟ كحوليات؟

- لأ، مشروبات مصرية مابقتش منتشرة زي زمان، خروب، تمر هندي ويا سلام لو عناب بشوية تلج.

ضحك (عمر) وهو يضغط على زر في الهاتف وهو يقول:

- مش ممكن، دا أنا مدمن عناب صيف وشتا، هادوّقك بقى كوباية عناب عمرك ما هاتدوقها في أجدع قهوة بلدي.

عاد (أليكسندر) للنظر في كل ركن في المكتب وعيناه تتحركان بسرعة شديدة وهي تمر على كل قطعة أثاث حوله أثناء طلب (عمر) للمشروبات.

- واضح إن ديكور المكتب عاجبك بجد.

قالها (عمر) وهو يجلس على طرف الأريكة الآخر فنظر إليه (أليكسندر) وقال:

- جميل جدًا، وخصوصًا التابلوة اللي على الحيطة دي.

أشار (أليكسندر) إلى لوحة متوسطة الحجم لمنظر طبيعي معلقة على الحائط وحولها بضع لوحات أخرى.

- أنهي تابلوة عاجبك.

- اللي الإطار الخشب بتاعه فيه ورد محفور.

اختفت الابتسامة قليلًا وحل محلها الدهشة على وجه (عمر) وهو يقول:

- هي اللوحة دي بتفكرك بحاجة؟

- مش عارف، مميزة كده وحاسس إن فيها حاجة مختلفة عن بقية ديكور المكتب.

نظر (عمر) إلى اللوحة وقال:

- إيه المختلف فيها.

نهض (أليكسندر) بسرعة لا تتناسب مع سنه ووقف أمام اللوحة ينظر فيها بتأمل، ثم مد يده اليمنى لإطار اللوحة المليء بزخارف على هيئة ورود، بأصبعين فقط من يده تحسس أحد نقوش الورد البارزة ثم جذبها من موضعها فخرجت معه وظهر أنها متصلة بسلك كهربي لداخل اللوحة، جذب (أليكسندر) السلك بقوة فانقطع وهو يقول:

- كاميرا مراقبة مش موجود زيها في مصر، أنا آسف لكن ألهنى إن حساب الكاميرا دي تضيفه على حساب شغلنا.

عاد بالكاميرا الصغيرة ووضعها على المنضدة أمام عين (عمر) الذي ابتسم بهدوء و(أليكسندر) يجلس وهو يشير لكوب العصير الذي لم يكمله (جعفر) وقال:

- كوباية العصير دي اللي بيشربها ماكملهاش، ومن درجة سيلان بواقي العصير على طرف الكوباية أقدر أقول إنه سابها من أقل من دقيقة، ومحدش خرج من عندك لما دخلت المكتب، في الغالب هو خرج من الباب ده.

وأشار إلى الباب الذي خرج منه (جعفر) منذ قليل وأكمل قائلًا:

- وتقريبًا مـن تصميم العـمارة دي فمفيـش مخـرج مـن البـاب ده، لكن فيـه أوضـة أصغر ملحقـة بالمكتـب، ممكـن الشـخص ده يكـون مسـتنيك جـوه لحد مـا تخلـص معايـا. أو كان بيتفـرج علينـا مـن كاميرا المراقبـة.

جـاءت دقـات عـلى بـاب المكتـب دخـل بعدهـا عامـل البوفيـة ووضـع كـوبي العنـاب عـلى المنضـدة ثـم غـادر.

- أنـا فعـلًا منبهـر بيـك يـا أسـتاذ (أليكسـندر)، المكتـب ده دخلـه نـاس مـن أجهـزة أمنيـة مختلفـة ومحـدش فيهـم لاحـظ الكاميرا دي قبـل كـده، أما بالنسـبة للشـخص الـلي دخـل الأوضـة التانيـة فـدي هانـم مسـتنياني علشـان موضـوع شـخصي وأنـا مابحبـش أدخـل شـغلي في الحاجـات الشـخصية، فياريـت أعـرف حضرتـك كنـت عايـزني في إيـه بسرعـة.

قالهـا (عمـر) ونهـض معطيًـا ظهـره لأليكسـندر وهـو يبحـث بـين الأوراق الموضوعـة عـلى المكتـب وشـفتاه تتحـركان بـلا صـوت، أمسـك (أليكسـندر) كـوب المـشروب وارتشـف منـه باسـتمتاع وهـو يقـول:

- أنـا يشرفنـي إني أبهـرك، بـس لمـا تخلـص الـلي بتعملـه وتعـرف إن ملـوش فايدة.

توقـف (عمـر) عـن تحريـك الأوراق عـلى المكتـب ونظـر لأليكسـندر مصدومًـا بينـما هـذا الأخـير يرتشـف مـن الكـوب ثانيـة ويقـول:

- خدمـة الجـن الـلي معـاك مـش هاتقـدر تعـرف حاجـة مـن قرينـي، والبركـة في جـدك اللـه يرحمـه، الـلي كان بيبهـرني أنـا شـخصيًا.

- جدي!!!

- جدك (سيد أبو خطوة) هو اللي اداني دي.

قـال عبارتـه ومـد يـده داخـل فتحـة قميصـه ليخـرج سلسـلة معلـق بهـا مسـتطيل فـضي مرسـوم عليـه باللـون الأسـود بعـض الطلاسـم وقـال:

- علمني أبيسها لما أقابل حد معاه خدمة جن زيك، علشان خدمته ما تحاولش تسأل قريني عن أي حاجة، تقدر تقول عن الطلسم ده بيشتت الجن اللي بيكلم قريني ويخليه مش عارف يسأله.

نظر (عمر) للسلسلة مندهشًا.

- واضح إن جدك مالحقش يعلمك الحكاية دي، أنا عارف إنه علمك كتير، لكنه مات قبل ما يوريك كل حاجة يعرفها.

عاد (عمر) للجلوس على الأريكة مستسلمًا لحديث (أليكسندر) الذي أكمل:

- الكلام اللي هانتكلمه ده مش لازم يتسجل أو حد يراقبه، علشان كده أنا شيلت الكاميرا، جدك كان بيحبك أوي، ولأن والدك الله يرحمه كان بعيد عن شغل العيلة بتاعتكم وفضل يبقى محامي فجدك علمك من وانت صغير اللي مقدرش يعلمه لوالدك، حاليقي الموت أخد جدك فجأة ومن بعديه أبوك لكن انت قدرت تكمل اللي ابتداه جدودك ومشي سكتهم لكن من غير ما تعرف انت ماشي السكة دي ليه.

نظر (أليكسندر) لساعته وأخرج سيجارة من علبة سجائره ناولها لعمر فرفضها هذا الأخير، أشعلها هو قائلًا:

- جدك وصى أبوك ووصاك إن لا تعيشوا في البيت اللي ملككم في طريق القناطر الخيرية، ولا تبيعوه لحد، والمفروض إنه كان يفهمك انت بالذات إيه السبب في ده، يفهمكم انتوا حراس على إيه.

- لو تقصد إن فيه حاجة مدفونة في البيت ده تبقى غلطان، أنا بافهم في الدفاين كويس و...»

قاطعه (أليكسندر):

- إنت ممكن تكون بتفهم في فك الرصد لأي مكان في الدنيا، لكن البيت ده حاجة تانية، الرصد اللي فيه أقوى من أي جن أو بشر قابلتهم

- وانت عرفت ده إزاي؟

نهض (أليكسندر) وسار حتى المكتب ليلقي برماد سيجارته في مطفأة السجائر ويقول:

- دي حكاية بعدد سنين عمرك، أنا عرفت جدك في الفترة اللي انت كنت لسه مولود فيها، اشتغل معايا في فتح المقابر، علمني كتير وعلمته أنا كمان شوية حاجات، كنا بندوّر على حل لمخطوط كان معايا من زمان، مخطوط بيحكي عن بيت مدفون فيه سر من آلاف السنين، عيلة واحدة بتحميه جيل ورا جيل، ليهم لقب المصريين بيحترموه أوي، أصحاب الخطوة، أو (أبو خطوة).

أمسك (أليكسندر) المطفأة وعاد للجلوس على الأريكة وهو يكمل:

- اللقب ده مش سهل على واحد غربي إنه يفهم معناه بسهولة، يحتمل معاني كتيرة، يعني ممكن يكون المقصود بيه إنه راجل صالح ربنا اداله قدرة إن الزمان والمكان ينطوي تحت رجليه فيسافر أي مكان بخطوة واحدة، وممكن يكون معناه إن صاحبه يقدر يتواجد في مكانين في نفس الوقت.

ابتسم (أليكسندر) وقال:

- طبعًا انت عارف التراث الصوفي في مصر كويس، ومش محتاج أقولك إن المصريين لما مايعرفوش يفسروا حاجة بيطلقوا عليها اسم ديني، زي لما الإسلام دخل مصر ولقبوا أجدادك باسم (أبو خطوة)، وزي ما اليهود لما كانوا عايشين في مصر زمان أوي وسموا المكان اللي فيه البيت ده باسم ديني.. (وادي هنم)، أو (جين هنم).. (جهنم)، والمصريين فضلوا يقولوا على نفس المكان طريق جهنم، وجدك وجد جدك لقبهم (أبو خطوة) بس هما مكنوش عارفين اتسموا ليه بالاسم ده.

- انت تعرف الإجابة؟

- الإجابة تحت البيت، جدك كان عايز يعرف السر لحد ما حصلت الخيانة.. المخطوط سرقه صاحبنا قبل ما نكمل دراسته المخطوط اللي اتكتب من 200 سنة كان بيحكي عن البيت ده وعن المدفون تحته، وازاي ندخله، والاتفاق والعهد بيني وبين جدك كان إني أدخل معاه البيت، أنا بعرفتي بسر الدخول، وهو بالمفتاح اللي معاه.

- مفتاح إيه؟ مفتاح البيت؟

- المفتاح ده حاجة مش موجودة إلا مع جدك ومن بعديه أبوك ومن بعديهم انت، باختصار هو الفاتح، لو تقبل تخش البيت وتعرف انت وأجدادك بتحرسوا إيه يبقى أكون معاك لأن طريقة الدخول معايا لوحدي، ولو حاولت طول عمرك من غيري هاتفشل.

ما زال تعبير الاستسلام على وجه (عمر) حتى عاد للوراء بظهره يستند على الأريكة ويبتسم فجأة وهو يقول بثقة:

- بتؤمن بالأحلام يا أستاذ (أليكسندر)؟

الابتسامة والثقة وسرعة تغيير تعبيرات (عمر) أقلقت (أليكسندر) فقال:

- تقصد إيه؟

- أقصد اني شُفتك في حلم قبل كده، أنا وانت دخلنا البيت في الحلم ده، أنا سمعتك بس علشان أعرف ليه انت اللي هاتدخل البيت معايا، وليه هاندخله أصلًا.

ارتعشت يد (أليكسندر) الممسكة بالسيجارة وهو يتذكر حلمه الذي حلم به عند وصوله لمصر في الأيام السابقة، (عمر) يشبه الشخص الذي رافقه بالحلم.

- ولأن عندي إيمان إن فيه قوة أكبر مننا بتحركنا، فعلشان كده أنا هادخل معاك البيت.

أطفأ (أليكسندر) سيجارته وقال:

- بالبساطة دي؟

- آه بالبساطة دي، والفلوس اللي انت جايبها في الشنطة معاك أنا مش محتاجها.

نظر (أليكسندر) إلى حقيبته الموضوعة بجانبه بينما (عمر) يقول:

- الجن اللي معايا ماعرفوش يستجوبوا قرينك بس تقدر تقول إنهم فتشوك كويس.

نهض بعدما قال عبارته قائلًا:

- بكرة هاستناك قدام البيت الساعة 5 العصر، على فكرة في حلمي انت كان معاك شنطة جلد كبيرة واحنا جوه البيت، متنساش تجيبها معاك.

نهض (أليكسندر) قائلًا بحذر:

- إنت حلمت بإيه اللي هايحصل جوه البيت؟

- لحد إن معاك شنطة وندخل البيت وبس، أشوفك بكرة.

قالها ومد يده مصافحًا (أليكسندر) الذي حمل حقيبته واتجه للباب و(عمر) يوصله مودعًا إياه حتى أغلق الباب من ورائه ومازال هذا الأخير مبتسمًا.. انفتح باب الغرفة الثانية ودخل (جعفر) المكتب فنظر له (عمر) قائلًا:

- غريب إنه اكتشف الكاميرا اللي في اللوحة مش كده يا (جعفر).

ثم أشار (عمر) لجهاز إنذار الحريق المعلّق في سقف الغرفة وقال:

- كويس إنه ما اكتشفش إن فيه كاميرا تانية هنا، هي حقيقي مابتسجلش لكن بتعرض، هل شُفت عليها كل اللي حصل؟

- شُفت.

- ورأيك إيه؟

- رأيي إني مش عارف أكره الراجل ده ولا عارف أحبه، شكله واسمه مش غريب عليا لكن برضو مش واثق فيه.

جلس (عمر) على طرف مكتبه وهو ينظر للأرض مفكرًا:

- أنا محتاجك بكرة يا (جعفر).

- وأنا هاعملك إيه؟

- فيه معلومة تخص البيت ده بالذات.

- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- مفيش جن يقدر يخشه، علشان كده محتاجك تحمي ضهري.

- أنا مش هاقتل تاني يا (عمر).

- أنا عايزك تحميني لو ماقدرتش أحمي نفسي.

- انت عايزني أقرأ قسم (زكاروت السرياني) تاني.

- حتى القسم ده أنا ما أعرفش هاينفع جوه البيت ولا لأ، أنا هاديك فرصة لبكرة الضهر تفكر، لو حابب تكون معايا من غير ما (أليكسندر) يحس بيك تعالى، ولو هاترفض أنا متفهم ده.

توجّه (جعفر) إلى باب المكتب وفتحه وهو يقول:

- من غير ما أفكر هاكون معاك بكرة.

خرج وأغلق الباب خلفه و(عمر) مازال ينظر للباب المغلق بشرود.

***

وقف (عمر) أمام باب المنزل الحديدي يشبك يديه أمام صدره ناظرًا حوله بشكل عشوائي كل دقيقة، مرت سيارة ملاكي من أمامه لكنها توقفت بعد المنزل بقليل، خرج من المقعد المجاور للسائق (أليكسندر)

يرتدي بدلة بنية اللون حاملًا حقيبة جلدية عريضة أقرب لحقيبة الملابس المحمولة.

حاول (عمر) تبين شكل السائق لكنه فشل و(أليكسندر) يسير ناحيته مبتسمًا وهو يرفع رأسه لينظر للمنزل بين الثانية والأخرى، صافرًا بحرارة ونظر للمنزل بتأثر شديد و(عمر) يقف بجانبه.

- عرفت توصل للبيت بسهولة.

- الدنيا اتغيرت لكن البيت زي ما هو، أنا عمري ما أنسى مكانه.

فتح (عمر) البوابة الحديدية الصغيرة ودخل للمنزل، لكن (أليكسندر) توقف للحظة وهو ينظر خلفه على الجانب الآخر للطريق، كأنه يبحث عن الشخص الذي رآه يقف هناك في حلمه.. لم يجد أحدًا فسحب شهيقًا عميقًا من الهواء المحيط به ودخل من البوابة الحديدية وراء (عمر) الذي وقف ليفتح الباب الداخلي بمفتاح منفرد أخرجه من جيبه.

- أنا ملاحظ يا أستاذ (عمر) إنك مجبتش معاك أدوات حفر.

فتح (عمر) الباب وهو يرد:

- أنا عديت على البيت من كام ساعة وسبت جاروفين.

- بس.

- إنت ماطلبتش إمبارح عدة حفر، ولا طلبت عمال.

دخلا للمنزل و(أليكسندر) يقول:

- إحنا فعلًا مش محتاجين الحاجات دي كلها، بس كأنك عارف إيه اللي هايحصل قبل ما يحصل.

بدا أن الهواء داخل المنزل أكثر سخونة بقليل من خارجه و(أليكسندر) يحرك وجهه مبتسمًا وهو ينظر إلى بئر السلم المليء بالأتربة، توجه (عمر) إلى الشقة التي على يسار المدخل ودخلها وهو يقول:

- طبعًا الحاجة المدخولة هاتكون في الشقة دي.

تبعه (أليكسندر) قائلًا:

- الظاهر الحلم اللي انت حلمته كان فيه تفاصيل كتير.

الهواء ساخن داخل الشقة بدرجة أعلى و(عمر) يشعل أضواء المصابيح الباهتة المعلقة في سقف الصالة.. في أحد أركان الصالة جاروفان بيد طويلة وجوال من الجلد يستخدم في حمل الرمال نظر (عمر) لأليكسندر وهو يقول:

- أدي الجمل وأدي الجمال.. تحب نبدأ إزاي؟

تأمل (أليكسندر) صالة الشقة وهو ينظر للحوائط الملطخة ويقول:

- المدبحة حصلت هنا.

- إنت أكيد عارف حكايتها طالما قدرت تعرف إني بحب العناب.

- الناس فاكرة إن البيت ده مسكون بس العفاريت والجن بالنسبة لي شُفته مع جدك بقى ترف.

- عمر ما جدي حكالي عنك.

ترك (أليكسندر) حقيبته على الأرض وذهب ليحضر الجاروفين وهو يقول:

- أنا وجدك قدرنا نفصل بين حياتنا الشخصية وبين شغلنا، زي جدك علمك بالظبط.

رفع الجاروفين بسهولة ودخل بهما إلى أول غرفة على يمين الداخل إلى الشقة وصوته يأتي من داخل الغرفة:

- حياتنا الشخصية دايمًا في النور، وشغلنا في عالم ظلامي، واحنا فيه مجرد ظلال بتتحرك.

دخـل (عمـر) في تلـك اللحظـة وضغـط عـلى زر الإضـاءة داخـل الغرفة فاشـتعل المصبـاح لتنعـم الغرفـة بإضـاءة باهتـة و(عمـر) يقـول:

- و لـو انهـار الخـط الفاصـل بـين العالمـين واختلطـت الظلمـة بالنـور، حياتنـا تتدمـر.

ابتسـم (أليكسـندر) وهو يقترب من (عمر) ويقول:

- جـدك قالـك عـلى المبـدأ ده، اللـي علّمنـا كـده كان صاحـب تالـت لينـا، كان سـبب اجتماعنـا وسـبب فراقنـا.

قال عبارته ثم أمسك بجاروف ناوله لعمر قائلًا:

- يـالا نبـدأ شـغل، مـش هنحتـاج لحفـر كتـير، الرمـل اللـي في الأوضـة دة مـش أكـتر مـن مـتر ونـص عمـق، بعديـه هانلاقـي المدخـل.

خـارج الشـقة وبالتحديـد عنـد السـلم المـؤدي إلى الطابـق الأول هبـط (جعفـر) مـن الأعـلى بخطـوات جعلهـا غـير مسـموعة كـما طلـب منـه (عمـر) منـذ سـاعة، أرهـف السـمع ليسـتمع لبقيـة الحـوار الدائـر بينهـما منـذ دخلا مـن بـاب الشـقة.

***

«2007»

أمام باب منزل (جابر) توقفت سيارة (جوزيف) وخرج منها (أليكسندر) بهدوء وهو ينظر لإحدى كاميرات المراقبة المفتح البوابة الحديدية من تلقاء نفسها فابتسم (أليكسندر) وهو يشير لجوزيف قائلة له عبارة بالروسية فأوقف هذا الأخير السيارة بجانب سور المنزل وظل بها لا يتحرك بعدما أبطل محركها.

بعد دقيقتين ظهر (جابر) من داخل حديقة المنزل يأتي بخطوات سريعة حتى خرج من البوابة واحتضن (أليكسندر) كأنهما صديقان حميمان، أثناء احتضانه له ربت (جابر) على ظهر (أليكسندر) فضحك هذا الأخير قائلًا:

- انت بتفتشني يا (جابر)؟

ضحك (جابر) وهو يدعوه لدخول المنزل قائلًا:

- أصل انت عندك عادة وسخة أوي يا أخي، ما أعرفش إيه كيفك في شيل مسدس جوه جراب وتعلقه في ضهرك، دا شغل غجر ده.

- ماتخافش أنا جاي من غيره.. بس شكلك اتغير أوي يا (جابر) العجز غير ملامحك، دا أنا ماعرفتكش لما شُفتك.

أغلق (جابر) الباب بضغطة زر على الجهاز في يده و(أليكسندر) ينظر حوله في الحديقة والمصابيح تجعل الحديقة بالمنزل كأنه في ضوء النهار.

- ياااااااااه يا (جابر)، عملت البيت اللي بتحلم بيه طول عمرك.

- إنت لسه فاكر.

- بيت من الطراز الإسلامي مليان بالرموز الروحانية، البيت كله رمز لرحلة الإنسان.. الجنينة دي رمز للروح في شكلها الأول وهي في الجنة حسب التراث الإسلامي.

ثم أشار للباب الداخلي للمنزل وقال:

- والباب ده الـت عملته زي ما كنت عايز تعمله زمان، باب كبير مثال لجسم الأم، وباب صغير بينفتح منه رمز لمدخل الرحم.

ساروا بجانب بعضهما حتى عبروا الباب الصغير إلى الممر المنكسر و(جابر) يقول:

- والممر ده رحم الأم.

- علشان كده ماعهوش إضاءة.

خرجا من الممر لساحة المنزل الداخلية فابتسم (أليكسندر) وقال:

- ودي الدنيا في خيالك يا (جابر)، أنا فاكر إنك كنت عايز تعمل قاعتين استقبال، قاعة مميزة رمز للأصدقاء اللي الإنسان بيقابلهم في حياته، وقاعة تانية للضيوف رمز للمعارف.

ابتسم (جابر) أكثر و(أليكسندر) يدور بجسده يتأمل مداخل القاعات المطلة على الساحة ويقول:

- وباين كنت عايز تعمل قاعة مكتبة رمز للعلوم، وقاعة مكتب رمز العمل. و.. كان فيه ممرات سرية وغرف تحت الأرض وفوقها بترمز لأسرار حياتنا.

نظر (أليكسندر) لأسفل متذكرًا وهو يقول:

- كنت بتريق على حلمك زمان، بس أديك حققته، كان فيه حاجة ناقصة في حلمك- افتكرتها.. نهاية البيت.

اختفت الابتسامة وحل مكانها الحزن من على وجه (جابر) و(أليكسندر) يكمل:

- كنت عايز تعمل جنينة خلفية لبقى دي نهاية رحلة الإنسان في حياته.

مرت فترة صمت نظر فيها (جابر) لأليكسندر بحزن ممتزج بألم نفسي، ثم سار (جابر) في الساحة حتى وصل للجانب الآخر من المنزل، عند باب خشبي أقصر من طول الشخص الطبيعي بسنتيمترات قليلة، لا زخارف عليه، تبعه (أليكسندر) وهو يفتح الباب وينحني قليلًا ليعبر منه، خرجا لحديقة أخرى أوسع في المساحة من الحديقة الخارجية، تنوعت فيها ألوان الأزهار بشكل ملفت، في منتصف الحديقة بنيت قبتان من الجص مجاورين لبعضهما البعض، ملونتين باللون الأخضر، على القبة اليمنى كتب بلون أصفر وبحروف مزخرفة:

(يا من غدوت به في الناس مشتهرًا.. قلبي عليك يقاسي الهم والفكرا)

وعلى القبة اليسرى كتب

(إن غبت لم ألق إنسانًا يؤنسني.. وإن حضرت فكل الناس قد حضرا)

- البقاء لله في (سلوى) يا (جابر).

لم يرد (جابر وذهب ليقف أمام القبة اليمنى وهو يقول:

- دا آخر جزء في البيت، وآخر جزء في حياة الإنسان.. رمزية الجنة بعد الموت.

أشار للقبة اليمنى وقال:

- لما ماتت أخدت تصريح بنا المدفن ده، مكنتش عايزها تبعد عني، وبنيت لنفسي جنبيها مكان، علشان ما أبعدش عنها.

أنهى عبارته وابتعد عن القبة وهو يقول:

- الكلام اللي هيتقالماينفعش يكون هنا.

جد في خطواته فنظر (أليكسندر) إلى القبة نظرة أخيرة ثم غادر الحديقة وعاد لساحة المنزل وهو يرى (جابر) يدخل إحدى القاعات ليتبعه.

دخلا قاعة المكتب و(جابر) يقول:

- نرجع لحياتنا تاني يا صاحبي، كنت بتدور عليا ليه؟

جلس (جابر) خلف المكتب وظل (أليكسندر) واقفًا وهو يخرج علبة سجائره ويشعل سيجارة قائلًا:

- أنا عارف إنه مش معادنا في شرب السجاير، لكن مقابلة الصحاب تستاهل الاحتفال.

أعطى السيجارة المشتعلة لجابر الذي سحب منها أنفاسًا عميقة و(أليكسندر) يستند بيده على طرف المكتب ويقول:

- إيه اللي حصل في بيت أبو خطوة في 2005 يا (جابر)؟

- إنت اللي كنت هناك في البيت، المفروض تقولي دخلت ليه.

قالها وأعطى السيجارة لأليكسندر الذي قال:

- إنت عارف أنا كنت هناك ليه.. البيت ده فيه إجابات كل الأسئلة.

- أسئلة في خيالك بس.

- لا يا (جابر)، أسئلة العلم بيسألها، واحنا المفروض نجاوبه.

- والبيت هو اللي هايجاوب.

صرخ (أليكسندر):

- أيوا.. تحت البيت فيه السر اللي أجدادك دفنوه.

- مالكش دعوة بأجدادي، وبلاش الكلام الكبير ده.

- يا (جابر) أنا مش فاكر أي حاجة، كل اللي أنا فاكره إني كنت عايز أدخل البيت، وفجأة لقيت نفسي في يوم تاني، فيه أيام اختفت من ذاكرتي.. مش فاكر منها غير صور ضبابية.

- صور لإيه؟

سار (أليكسندر) في القاعة وهو يقول ملوحًا بيده:

- صور للبيت، ولعمر حفيد (سيد أبو خطوة)، وكأني كنت بأحلم معاه جوه الأوضة.

- وأنا مال أمي باللي انت بتقوله.

- لأن اسمك بيتردد في مخي كل ما أفكر في الفترة دي.

رد (جابر) بسخرية:

- مش يمكن كنت واحشك.

- أنا مابهزرش.

قالها (أليكسندر) صارخًا وأكمل:

- أنا افتكرت نفسي بتخيل، ورجعت كملت حياتي.

- كملت حياتك يعني بدأت تدخل علماء روس لمصر.

- أيوه.. هو ده اللي كنت عايز أسمعه، إنت لابعتني من ساعة ما رجعت مصر واشتريت البيت بتاع المشروع، البيت اللي (حمدي) قالي النهارده إنك كنت صاحبه طول السنين اللي فاتت، إنت يا (جابر) تابعت كل خطواتي، وأكيد تعرف إيه اللي حصل.

- وهو أنا علشان كنت شاري بيت المشروع بتاع حلوان يبقى كنت براقبك.

- إنت كنت عايز توصل لمخازن الكي جي بي اللي تحت البيت، مش كفاية إنك وقفت المشروع وسرقت المخطوط والبحث بتاع ترميمه لكن كمان عايز تحط إيدك على كل ملفاته.

- (أليكسندر) أنا العلم بتاعي بينهار، ومش هاستحمل مشاكلك.

- وأنا مش هاسيبك.

هب (جابر) واقفًا وهو يقول:

- إنت بتتفرج على أفلام مصري كتير ولّا إيه، أنا مش فايق ليك لإني لو حبيت أخليهم يقبضوا على شوية المجانين اللي انت دخلتهم مصر الفترة اللي فاتت أنا كنت عملت كده، أنا سايبك بمزاجي لحد ما أعرف آخرك.

- المجانين اللي انت بتقول عليهم دول مستعدين يموتوا علشان اللي بيؤمنوا بيه.

- آه.. زي سنة 84 لما جم مصر سياح واختفوا كلهم، اسمع يا (أليكسندر) انتوا بتلعبوا مع قوى أكبر منكم، أنا الوحيد اللي فاهمها.

صرخ (أليكسندر) فيه:

- يبقى انت عارف حصلي إيه جوه البيت.

لم يرد (جابر) فاتجه (أليكسندر) لباب القاعة غاضبًا.

- استنى..

توقف (أليكسندر) عند باب القاعة وظهره لجابر، حتى قال هذا الأخير:

- الخط الفاصل بين شغلنا وحياتنا الشخصية، إوعى تنساه.

- أنا ماعنديش حياة شخصية هنا.

خطا (جابر) ناحيته ونبرة صوته تعلو تدريجيًا وهو يقول:

- أنا بقى عندي.. ولو فكرت تدخل حياتي الشخصية أنا في كام ساعة أكون وصلت لكل قرايبك وصحابك في بلدك وأبعت أجيب راس كل واحد فيهم أعلقها على باب مكتبي.

لان وجه (أليكسندر) وقال:

- خلاص بقى إنت الى بتتفرج على أفلام عربي، ماتخافش يا (جابر)، أنا مش ناسيلك إنك وقفت جنبي زمان.

قال عبارته وغادر قاعة المكتب بينما جلس (جابر) على مقعد قريب وهو يلهث.

***

- ألو.. أيوا يا (راضي)، أنا بكلمك على علشان أبلغك بحاجة حصلت النهارده.

قلت عبارتي وأنا أضع الهاتف المحمول على أذني، فقال هو بصوت غلبه النعاس:

- إيه؟ حد مات؟

- لأ، بس أنا بعتبر استقلت من الشركة.

راح النعاس من صوته وهو يقول مندهشًا:

- نعم يا اخويا؟ إيه اللي حصل؟

- روحت (أبو النور) بعد ما سيبتكم، كنت عايز أقابل (جعفر) و(صفاء)، بس لقيت (جابر)، كلمة مني على كلمة منه ..

- إيه ضربته؟

- لأ.. عملت نفسي ربع في رغيف وقلتله ططظ في كل حاجة.

- طالما ماضربتوش يبقى كل حاجة تمام، بص انت تيجي المكتب بكرة على الضهر كده تستناني وأنا هاخلص مقابلة مع (نهلة) و...

توقف عن الحديث فقلت أنا:

- (راضي) إنت قلت (نهلة)؟

- (نهلة) مين؟

- إنت مش فاكرني يالا إنك لما خرجت لروح الحمّام مع (نهلة) ماعرفتش تكلمها، إنت علقتها يا كلب.

- والله أبدًا أنا بكرة لما هاجيلك هافهمك- المهم انت ماتخافش وأنا هاصلح اللي انكسر.

- طب روح كمل نوم.

***

(12/17)

في استقبال المستشفى جلس (حلمي) وبجانبه (جابر) والاثنان في حالة نعاس شديدة يكافحان كي تظل أعينهما مفتوحة، اقتربت الساعة من الثامنة صباحًا وهما في انتظار الاطمئنان على الطفل بعد، دخلت (نهلة) من باب المستشفى وهي ترتدي فستانًا أبيض وتحمل بيدها اليمنى حقيبة زرقاء اللون وقد تركت شعرها ينسدل على كتفيها، وجهها وضع به القليل من مساحيق التجميل فتحددت معالمه أكثر وبرز جماله.

دخلت من الباب فانتبه لها رجل الأمن وهب واقفًا وهو يقول بابتسامة:

- تحت أمرك يا آنسة.

كادت أن تسأله لكن عينيها وقعتا على (جابر) و(حلمي) فشكرته وذهبت ناحيتهما، مدت يدها بحنان تربت على كتف (جابر) الذي كان بين النوم واليقظة، فتح عينيه يتأملها لثوانٍ كأنه لم يتعرف عليها ثم ابتسم وهو يلكز (حلمي) الذي فتح عينيه مفزوعًا:

- اصحى يا (حلمي)- مش قلتلك لما نموت هاندخل الجنة.

ضحكت (نهلة) بخجل وهي تداري فمها بينما (حلمي) يرتدي نظارته ويقول:

- الله.. دي (نهلة).. هو احنا لمنا كتير أوي كده.

جلست على الأريكة بجانبهما وهي تقول:

- أنـا صحيـت مالقتـش حضرتـك، وموبايلـك مقفـول، اتصلـت بسـليمان قـالي إن (هنـد) بتولـد في المستشـفى وإنكـم معاهـا مـن بالليـل، مالقتليـش ليـه حضرتـك عشـان أكـون معاكـم.

خرج (سليمان) من الأسانسير واقترب من أريكة الاستقبال وهو يقول:

- (هند) والولد كويسين وممكن نخرج النهارده العصر.

نظر لنهلة وقال بأدب:

- صباح الخير يا فندم.

- مبروك يا (سليمان)، ينفع أطلع أطمن على (هند) والبيبي؟

- (نهلة)!! إيه ده؟ إزاي؟

- انتوا مالكم مستغربين ليه.. هو أنا كنت وحشة للدرجة دي؟

ضحك (جابر) و(حلمي) وهذا الأخير يقول:

- حـش رقبـة اللـي يقـول كـده، بـس احنا متفاجئين، وبايـن على (سـليمان) إنـه بيشـاور عقلـه في الزوجـة التانية.

- وهو فيه زي (هند) يا عمي.

- إن جيـت للحقيقـة يـا ابنـي أنـا أبوهـا وعارفهـا، (هنـد) فعـلًا لـو فيـه منهـا اتنيـن كانـت البلـد خربـت.

قال (جابر):

- هو انتي كنتي راحة الكلية بالشكل ده؟

- ما ده العادي.

- دا العـادي يـوم فرحـك يـا حبيبتـي، أعيـش كـده وأفـرح بيـكي زي البغـل اللـي واقـف ده.

- إيه بابا ماينفعش كده.

قالها (سليمان) بحرج فقال (جابر):

- اطلعي مع (سليمان) سلمي على (هند) واطمني على الولد وروحي على الكلية.

- لا أنا قاعدة معاكم النهارده.

- اسمعي الكلام ولفذيه، ثم انتي مش فاهمة، إنتي لما ترجعي البيت النهارده هاتلاقي مفاجأة.. أصلي حاكم على (سليمان) و(هند) حكم.

قال (حلمي):

- حاكم على (هند) هي وأبوها.

- حاكم إن أول بيت يخشه المولود يكون بيتي، (سليمان) و(هند) والعيال هايقعدوا معانا شهر.

- بجد؟

- أومال بهزار، أنا وانتي هانشبع منهم شهر بحاله، ويمكن يمشوا هما ويسيبولنا الواد نلعب بيه.. المهم اطلعي اطمني عليهم وانزلي علشان أخلي عم (سامي) يوصلك الكلية.

نهضت (نهلة) مع (سليمان) و(جابر) ينظر لها مبتسمًا.

***

وقف (راضي) بجانب صديقه (علي) أمام مكتب رئيس قسم الفيزياء بكلية العلوم في جامعة القاهرة، كانا ينتظران حضور أحد الأساتذة في القسم بعد انتهاء محاضرته، نظر (راضي) إلى الورقة التي يحملها وهي تحتوي بالمعادلات التي نقلها من الصور التي التقطها للوحة في منزل (جابر) أمس.

حاول البحث وراءها لكنه فشل، فاتصل بصديقه المعيد بكلية العلوم

بعدما نقل كل المعادلات من الصور إلى ورقة صديقه (علي) أخبره بأن تخصصه الجيولوجيا لا الفيزياء أو الرياضة البحتة لكنه طمأنه أنه سيعرفه على أحد أساتذة القسم الذي ربما أفاده.

وها هو ينتظر بجانبه و(علي) ينظر له بين الحين والآخر حتى قال:

- ولا يا (راضي)، أنا ماشُفتكش من حوالي سنة، بس حاسس إن شكلك متغير.

- لا أنا زي ما أنا.

- مش عارف حاسس إنك أنضف.. إنك متغير للأحسن.

- لا تلاقيك انت مبرضم ولّا حاجة، سيبك من شكلي وبُص كده على المعادلات تاني يمكن تفهمها.

- يالا قلتلك من غير مفتاح الرموز مش هافهمها، وكمان دا مش تخصصي، ثم انت إيه اللي دخّلك في السكة دي؟ إنت مش مهندس مدني.

- مهندس اتصالات يا أبو كرش.

- يعني انت اللي كنت فاكر تخصصي إيه في كلية علوم.

فجأة اعتدل (علي) في وقفته ورجل يقترب منهم وهو يتحدث مع ثلاثة من الطلبة، توقف الرجل أمام (علي) وصافحه ثم عرفه هذا الأخير على (راضي) الذي أعطاه الورقة وهو يطلب منه تفسيرها، نظر الرجل للورقة وهو يقول:

- إنت في كلية إيه؟

- أنا خريج هندسة اتصالات يا دكتور.

تغيرت نظرة الرجل وهو يقرأ الورقة ويقول:

- دا إثبات من الباثات نظرية الأوتار (جون شوارتز)، أنا فُهمت الجزء الأول من المسألة دي.

ابتسم الرجل وهو يسير بسرعة بين المكاتب و(راضي) و(علي) ينظران لبعضهما بدهشة ثم يهرولان وراءه، وهو يقول بفرحة:

- لو دكتور (لبيب) في المكتب يبقى حظكم من السما.

دخل الرجل مكتب جانبي يجلس فيه رجل في الخمسينيات من العمر وراء مكتب يمسك بجريدة يطالعها.

- مش هاتصدق معايا إيه يا دكتور (لبيب).

أنزل (لبيب) الجريدة وهو ينظر لراضي و(علي) بدهشة بينما الرجل يقول بفرحة:

- فاكر المؤتمر اللي حكيتلي عنه ووريتني المعادلات اللي انت قُلتها فيه.

- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- مؤتمر (كاليفورنيا) يا دكتور.. سنة 95.

- ماله؟

وضع الرجل الورقة على مكتب (لبيب) وقال:

- بقية إثبات النظرية أهي.

أمسك (لبيب) بالورقة يقرأها بسرعة وحاجباه يصعدان للأعلى وفمه يفتح على اتساعه، نظر للرجل وهو يقول:

- إنت جبت الكلام ده منين؟

أشار الرجل لراضي فقال له (لبيب):

- إنت تعرف دكتور (جابر عبد السيد)

ابتلع (راضي) ريقه ثم قال:

- أنا جبت المعادلات دي منه، هو حضرتك تعرف دكتور (جابر) منين؟

ارتخى (لبيب) في مقعده وقال:

- سنة 95 كنت أول مرة أروح مؤتمر للعلماء المهتمين بنظرية الأوتار، وكان موجود فيه كل المنظرين بنوع النظرية (ليونارد سسكيند) و(دوف) وحتى (جون شوارتز) اللي بدأ النظرية نفسها، وزي كل مؤتمر كان فيه قايمة علماء بيعرضوا وجهات نظرهم اللي وصلوها بخصوص نظرية الأوتار، وخصوصًا إن كان فيه خمس نظريات للأوتار بيحاولوا يوصلوا لإثبات نظرية كل شيء، فكان كل الأساتذة بيدوروا ورا إثبات إن نظرية واحدة بس من الخمسة هي الصح، لقيت في قايمة العلماء اللي هايتكلموا في المؤتمر اسم (جابر عبد السيد)، فرحت أوي إن حد مصري هايعرض بحث ليه.. وطلع دكتور (جابر) وكتب على السبورة الجزء الأول من النظرية دي، لكنه كان بيتكلم عن حاجة تانية خالص.. كان بيحاول باستخدام إثباتات (جون شوارتز) الأولى إنه يثبت حاجة جديدة.

- حاجة إيه؟

كانت هذه من (علي) الذي أثاره الحديث، فقال (لبيب):

- النظرية النسبية بتقول إن نسيج الزمكان مش ممكن يتمزق، ونظرية الأوتار بتقول إن أصغر جزء من المادة هي أوتار بتتحرك بسرعة كبيرة في شكل ذبذبة، وعلى أساس كل ذبذبة بتتحدد خصائص البروتونات والالكترونات في النواة، وبسبب حركة الأوتار السريعة دي لنسيج الزمكان في حالة تمزق دائم، لكن الأوتار نفسها بتاخد شكل أنبوب وتغلف منطقة التمزق وترجعها لوضعها الطبيعي، يعني فيه تمزق للنسيج لكنه بيلتئم في ساعتها.. (جابر) بقى كان بيحاول يثبت نظريًا إن التمزق ده ممكن يكون دائم، بس كلهم ما اهتموش بكلامه لأن بالصدفة في نفس اليوم اتكلم العالم (ادوارد ويتن) وقدم نظرية (m) اللي بتحل مشكلة نظرية الأوتار، ونسيوا (جابر) ونظريته.

كان (راضي) مفتوح الفم منذ بداية الحديث حتى قال:

- يعني المعادلات دي مجرد إثبات.

- مجرد؟؟.. دي ممكن تقلب الدنيا يا ابني، هو فين دكتور (جابر) أنا عايز أقابله علشان ننشر الإثبات ده.

سحب (راضي) الورقة من يد (لبيب) واتجه ناحية باب المكتب وهو يقول:

- بكرة يكون عندك.

ثم أسرع خطاه واختفى من أمامهم والثلاثة ينظرون لبعضهم البعض بدهشة.

***

جلس (راضي) على الرصيف المواجه لكلية الآداب وهو يمسك بورقة المعادلات ناظرًا فيها بشرود حتى رن هاتفه المحمول، رفعه على أذنه وهو يقول:

- إيه يا (نهلة) من ساعة ما قلتيلي إنك في الطريق وأنا ملطوع قدام الكلية، انتي وصلتي؟؟ طب والقفة فين؟ إيه.. شايفة قفايا؟؟ يعني إيه شايفة قفايا.

فجأة سمع صوتها من وراء ظهره تقول:

- أنا أهو.

نظر لها وفمه يفتح انبهارًا، أما هي فنظرت لوجهه تتأمل فيه حتى ضحكت وهي تقول:

- فين شنبك؟

- كنت حران وحلقته.

- إيه ده؟ انت حاطط إيه على شعرك؟

- زيت زيتون، أنا جاي أتهزق ولا إيه؟

- أنا آسفة، بس على فكرة شكلك من غير الشنب حلو.

- والتي كمان.

- هه؟

- يعني شكلك النهارده حلو، ما تيجي أعزمك على واحد مانجة.

اندهشت لطريقته فتنحنح هو وقال:

- تعالي نقعد في أي كافيه وخلاص، وباعتذر عن فكرة المانجة اللي قلتها دي.

- بس مش هاينفع نقعد كتير علشان ألحق الدكتور اللي هايشرف على رسالة الدكتوراة.

- وماله اللي يجي منك أحسن منك.

- إنت بتهزر صح.

- هو أنا كده مابهزرش، أنا دمي تقيل، يالا بينا أحسن.

سارا بصمت وكل منهما يختلس نظرات للآخر و(نهلة) هي التي تقود المسير حتى وقفت هي عند مقهى صغير من طابقين، صعدا فيه واختارا منضدة بجانب النافذة.

- تشربي إيه؟

- وهو لسه حد جه علشان ياخد الطلبات؟

- سيبيني أستمتع بكلمة هاتشربي إيه، ماقلتهاش لأنثى قبل كده.

ضحكت بخجل حتى ظهر النادل وأخذ طلباتهما، نظر لها طويلاً حتى قالت هي:

- إنت كنت عايز تقابلني ليه؟

- أصلي بشوفك في أحلامي من زمان.

ضحكت وقالت:

- تعرف إن بجد فيك حاجة عجيبة.

- إيه؟

- شكلك بيفكرني بشكل واحد كنت بشوفه في الحلم.

اختفت الابتسامة من على وجهه وهي تكمل:

- بس من غير الشنب، علشان كده شبهت عليك إمبارح، الأحلام دي كانت تضحكه، كنت دايمًا أصحى من الحلم فرحانة.. مال وشك قلب كده ليه؟

- أصلي ماكنتش بهزر لما بقولك بشوفك في أحلامي، لدرجة إني مارضتش أحكي لأصحابي أنا معجب بيكي ليه علشان مايتريقوش.

ملامحها دلت على عدم التصديق فأكمل هو:

- نفس شكلك ونفس ضحكتك، بس مع اختلاف واحد.. إن اسمك في الحلم (دعاء).

ران الصمت عليهما و(نهلة) تعقد حاجبيها وتعود بظهرها للوراء وهي تقول:

- إنت عرفت اسمي اللي في البطاقة منين؟

- اللي اسمك (دعاء)؟

- أنا بدأت أخاف منك، مين اللي وصلك الاسم ده؟ شفت ملفي في الكلية؟ والا...»

- أنا لسه شايفك أول مرة إمبارح، هالحق امتى أدوّر وراكي.. دا أنا اللي مش مصدق إن اسمك (دعاء) ويطلع الحلم حقيقة بالشكل ده.

فتحت حقيبة ديها وأخرجت أوراق البحث وضعتها على المنضدة ثم بحثت أكثر بالحقيبة حتى أخرجت حافظة صغيرة سحبت منها بطاقتها ورفعتها في وجه (راضي) قائلة:

- أهو، (دعاء سعيد إمام).

أدخلت البطاقة في الحافظة ونظرت له كأنها تنتظر منه تفسيراً

- إيه؟

- إيه اللي.

- يعني عايز تقنعني إن القدر جمعنا وجو الأفلام ده.

جاء النادل بالمشروبات ووضعها أمامهما ثم غادر فقال (راضي):

- طب انتي اسمك في البطاقة (دعاء)، بينادوكي (نهلة) ليه؟

- دكتور (جابر) ومراته كان عندهم بنت بالاسم ده وماتت الله يرحمهما قبل ما الولد، وعلشان يعتبر هما اللي ربوني فكانوا بينادوني باسمها لحد ما نسيت اسمي الحقيقي.

- حقيقي هو اللي بتحضري دكتوراة وبتشتغلي مع دكتور (جابر) في نفس الوقت؟

- آه، انت مستغرب من شغلتي؟

- لا خالص، طب ما أنا خريج هندسة وبشتغل مونتير في شركة إنتاج إلا انتي الدكتوراة بتاعتك في إيه؟

- لسه ما اخترتش موضوع، بس كنت جاية النهارده أقابل الدكتور اللي هايشرف عليا وأوريله البحث ده علشان بفكر الدكتوراة تبقى في ترميم المخطوطات.

أشارت هي للأوراق الموضوعة بجانبهما بينما سأل هو:

- يعني إيه ترميم المخطوطات؟

- هديك مثال.

أمسكت بالأوراق وهي تقول:

- دا بحث عامله مرمم مخطوطات اسمه (مجدي ثروت)، بيشرح فيه بالتفصيل عملية ترميم مخطوط بيرجع لعصر (محمد علي)، الحبر اتمسح من على جزء كبير من أوراق المخطوط، (مجدي) ده شرح إن المخطوط جه من روسيا، وإن اللي التعامل معاه هناك نقل شوية كلمات منه قبل ما تتمسح، بس لأنه مكنش متمكن من اللغة العربية وبسبب النقل بالحروف الروسية وبعديها اللاتينية اتقلبت كلمات كتير بنطق غلط.

- أبوه (محمد ثروت) عمل إيه؟

- (مجدي ثروت).. أعاد صياغة المخطوط اللي هو كان رسالة مبعوتة من واحد لواحد صاحبه، أنا سهرت امبارح لحد ما خلصت البحث.

- والله أنا لحد دلوقت مش شايف بحث.

فتحت هي صفحات البحث وأخذت تقلب حتى توقفت عند صفحة قرأت منها:

- يعني مثلًا دا مقطع في بداية المخطوط، اللي كان مقري منه هو (بسم الله الرحمن الرحيم * أعرف.... .... رضيت بقضاء الله وقدره * ... هذه الرسالة ... صديقي .... وأتمنى أن تنجدني مما..... * أنا صديقك فوجول المستكين .... العودة ..... لهذا ... ومن حينها..... به)»

- دا إيه لغز ميكي ده؟

قلبت هي الصفحات بسرعة حتى وقفت عند صفحة معينة وأعطته البحث قائلة:

- بعد شغل كتير بالمواد الكيميائية والتعريض للضوء الجزء الناقص اترمم منه كام كلمة فبقى النص كده.

نظر (راضي) للصفحة يقرأ بها وملامحه تتغير وهو يفكر فيما يقرأ. اخذت منه البحث وهو يقول بجدية:

- المخطوط ده فين؟

إنتي تعرفي مين اللي عمل البحث ده؟

- لا أنا لقيت البحث في مكتبة دكتور (جابر)، الظاهر إنه كان يعرف اللي كاتبه، بص هنا.

أعطته البحث على صفحة محددة وهي تقول:

- دا آخر شكل قدر يوصله المرمم للمقطع ده، وكمان بعد ما اكتشف إن اسم اللي كاتب الرسالة ماكانش (فوجل)، لأنه لقى الاسم في صفحة تانية في المخطوط وقدر يرجعه بعد ما اتمسح، الظاهر ان اللي نقل الاسم في الأول من العربي للروسي للاتيني اتلخبط بسبب إن الحبر اللي مكتوب بيه الاسم كان سايح على بعضه.

قرأ (راضي) المقطع وجسده يتصلب وعيناه تتسعان، بينما فمه يتمتم بكلمتين أكثر من مرة بلا وعي منه

- مش ممكن.

***

دخل (جابر) غرفة نومه بحذر وهو يحمل الطفل الرضيع النائم ويغلق الباب خلفه قائلًا بصوت خافت:

- أنا أخدتك منهم شوية لحد ما أمك تعاتب أبوك شوية.

وضعه على فراشه بحرص شديد وجلس بجانبه ينظر له بفرحة وهو يقول:

- أبوك لما قالي إن (هند) حامل ماصدقتش، أصل مكنش المفروض تيجي، أو على الأقل مش المفروض تيجي وأنا لسه عايش.

الطفل النائم حرك يده ثانية وعاد لخموله فابتسم (جابر) وقال:

- ما أعرفش يابني أبوك متجوز أربعة ولا إيه.. دا الدكتور كان هايسيبهم لما عرف إنها حامل تاني، بس أنا عارف إن العيب مش في (هند)، العيب في البغل ابني، هو اللي بيحلم يكوّن أسرة كبيرة تحسسه بالأمان، وأمك بتحبه وعمرها ما رفضتله طلب.

نهض من على الفراش وأخذ يسير حوله وهو يقول:

- تعرف أنا هاسميك إيه؟.. هاسميك (جعفر)، أنا عارف إنه اسم غريب كأنه جاي من فيلم (فجر الإسلام)، لكن انا بحبه، طب أقولك على حاجة.. أنا هاحكيلك حكاية (جعفر) الحقيقية، اللي محدش فاكرها، طبعًا انت بتاكل رز مع الملايكة لكن مين عارف المستقبل، مش يمكن تقدر تشوف اللي بيحصل بينا دلوقت.

ابتعد (جابر) للوراء قليلًا ووقف أمام الفراش وهو يقول بصوت مسرحي:

- كان ياما كان يا سادة يا كرام، ولا يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام.. زمان في قرية بعيدة عننا في الزمان والمكان اسمها (أبو النور)، كان فيه عيلتين ضد بعض من زمن الزمان، قول من 100 سنة.. 200 سنة، عداوة لا ليها معنى ولا سبب حقيقي، عيلة (الدهان) وعيلة (السلاموني)، وفي وسط الأيام الصعبة يتولد بطلنا (جعفر صابر عبد الفتاح الدهان)، وبطلتنا (صفاء كامل عبد الفضيل الدهان).

اقترب (جابر) من الفراش وهو يقول:

- العداوة زادت بين العيلتين، القتل والدم كان أسهل حاجة، ولما زاد الموت

انجبرت عيلة (السلاموني)، واقتلوا كتير من (الدهان)- فتيجي فكرة مجنونة في راس (عبد الفتاح الدهان)، يبعت (صابر) ابنه يضرب (سيد) ابن كبير عيلة (السلاموني) علشان يكسر عنيهم، ويعرض الصلح عليهم قدام الناس، فكان لازم يقبلوه بس الصلح كان ليه ضحية، (سيد) اللي انضرب عاش على كرسي بعجل بقية عمره، ومفيش يوم عدا عليه من غير ما يفتكر اللي عمله فيه (صابر).

***

داخل منزل الحاج (عبد الفتاح) كان من المقرر أن يجتمع بعض رجال العائلة الذين أرسل هو في طلبهم ليتناولوا الغداء، نزل الحاج (عبد الفتاح) إلى الشقة في الطابق الأرضي التي سيجلس بها الجميع، دخلها وجلس في أحد أركانها المخصصة للضيافة، فكر كثيراً قبل أن يدعوا الرجال لتناول الطعام، فكر في حال عائلته في الفترة الأخيرة ومنافستهم لعائلة (السلاموني)، عاد التفكير يهاجمه ثانية وهو متربع على الأريكة لكن هذه المرة شعر بثقل جفونه، فكر أنه لا ضير من بعض الاسترخاء قبل الغداء، استسلم للنوم ليتوقف عقله عن التفكير قليلًا، لكن الغريب أنه فجأة وجد نفسه داخل حلم.

علم أنه نائم وأنه يحلم، ومع ذلك لم يستطع التحكم بحركته داخل الحلم، فترك نفسه تتحرك وهو يتأمل الحلم.

يقف في اللامكان، لا معالم واضحة له لموضع وقوفه، لكنه رأى أشخاصًا يعرفهم، هذا هو أحد أبنائه يعارك مع (سيد) ابن كبير عائلة (السلاموني)، ابنه يكيل لسيد الركلات والركلات بعنف حتى تورم وجه (سيد) الذي انهار أرضًا، أحس بالفرحة وهو يشاهد ولده يؤدب (سيد)، بل ويكسر إحدى قدميه بقوة وأحد ذراعيه، اختفى المشهد كله وظهر له (صبحي السلاموني) والد (سيد) وهو يتقدم منه ويقول بصوت حزين:

- أنا موافق على الصلح يا (عبد الفتاح)، الدم لازم يحرم بين العيلتين من النهارده، النهارده ابني كان هيضيع بكرة ممكن ابنك يضيع

اختفى (صبحي) من الحلم فجأة وسمع (عبد الفتاح) صوت حفيده (بي) عادي عليه ثالثة (جدي.. قوم يا جدي اعمامي وصلوا)

***

اقترب من الفراش أكثر وهو يقول بحزن:

- وعاش أهل القرية في سلام، وكبر (جعفر)، عاش ما بين قرية (أبو النور) وبين (باسوس) عند خاله اتعلم واتخرج من الجامعة وبنت عمته (صفاء) هي كمان كبرت، حبوا بعض من وهما عيال.. كانت قصة حب تقليدية زي الروايات القديمة، والناس كلها استنت يوم جوازهم زي الروايات برضه، أما أكثر واحد استنى اليوم ده كان (سيد)، عاش مشلول لكن بيحلم، بيحلم لما (جعفر) ابن (صابر) يكبر ويتخرج، ويتجوز، علشان يشفي غليله.. وفي يوم الفرح انضرب نار على (جعفر) وهو في الكوشة، رصاصة صابته بس ما قتلتوش، ورصاص تاني صاب حبيبته (صفاء)، عاش هو وماتت هيا.

***

فتحت (صفاء) عينيها وهي مستلقية على فراشها، ضوء الصباح بدأ بالظهور من خصاص نافذة الغرفة، لم تحرك جسدها برغم أن عليها الاستيقاظ الآن، ظلت واعية لفترة قليلة وهي مغمضة العينين وتفكر بالنهوض، لكن وعيها أصبح كالطائرة التي تطير أعلى مدرج الهبوط، فإن لم يتحرك جسدها تعود الطائرة للطيران مرة ثانية حتى يسمح لها بالعودة، سبح وعيها بعيداً وعادت للنوم ثانية لكن هذه المرة وجدت نفسها ترتدي فستان زفاف أبيض اللون.

استمتعت بالشعور وهي تعرف أنها تحلم، وكأن هناك مهندسًا خاصًا بالأحلام

بنوم بيناء فاصيله رأت فاصيل جديدة تظهر فجأة تباعاً لها، وجدت نفسها تجلس في كوشة فرح مزينة بالورود، مقاعد ومناضد تظهر من العدم وتشكل أمامها قاعة أفراح وعليها ظهر رجال ونساء فرحين.. موسيقى جميلة بدأت فجأة، ظهر على يسارها في الكوشة شاب ببدلة العريس، لم تستطع النظر لملامحه جيداً لكنها شعرت به يقترب من أذنها ويهمس بكلمة (بحبك).

فجأة سمعت صرخات تأتي من وسط معازيم الفرح والجميع يجري في كل اتجاه، انتهى الحلم وفتحت عينيها تتأمل غرفتها، هذه المرة حركت أطرافها وهي تتذكر فاصيل ما رأت، بغض النظر عن نهاية الحلم إلا أن فكرة الزواج جميلة بحد ذاتها، هكذا كررت لنفسها وهي تنهض لتتجه للحمام.

***

- اتجنن (جعفر) وعاش ميت، زي المجذوب، اتجه للفكر الصوفي، حاول يدوب وسط الحضرات والموالد، يغيب مع الروحانيات لحد ما اتعرف على (عمر أبو خطوة)، وأخده لسكة الجن والعفاريت، لقى فيها نفسه، الأيام عدت لحد ما جه (أليكسندر) الروسي، وطلب يدخل بيت (أبو خطوة)، (عمر) دخله، وطلب من (جعفر) يحميه لو اتغدر بيه، وبعد ما حفروا تحت البيت حصل الغدر، (أليكسندر) حاول يقتل (عمر)، وظهر (جعفر)، حاول يلحق (عمر)، لكنه اكتشف حاجة تحت البيت، اكتشف إن مفيش زمن.. فجأة لقى نفسه وحيد في البيت، لا فيه (عمر) ولا فيه (أليكسندر)، خرج لقى نفسه قبل موت (صفاء) بأيام.

اقترب (جابر) من الطفل أكثر وقال:

- قولي لو لقيت نفسك مكان (جعفر) هاتعمل إيه؟؟ هاتنقذ (صفاء)؟.. مظبوط، وهو ده اللي عمله، أجل الفرح، وعاشت (صفاء).. لأيام، ماتت فجأة في حادثة عربية، عاش بنفس الحزن وقابل (عمر) تاني، واتعرف عليه من جديد، واتعلم منه كل حاجة، ومشيت الأيام زي ما هي لحد

ما دخلوا البيت.. والعدم الزمن. 8 مرات يرجع بالزمن وينقذها، وكل مرة يفشل، كأن الزمن قاصد يحيها من الحياة. لحد ما لقى الطريقة جوه البيت إنه يختار الزمن اللي يخرج فيه، والفكر إيه الحكاية اللي كانت السبب في موت (صفاء).. ضرب (صابر) لسيد، لو قدر يمنع اللحظة دي لو قدر يحذر (سيد)، يبقى نجح.. ويدخل بطلنا البيت ويرجع ليوم الحادثة، ويحذر (سيد).

***

اقتربوا جميعًا من أول القرية عند المنطقة التي تقترب من موقف الميكروباصات والنصف نقل حيث يقبع محل (سيد صبحي) الذي يشبه محل البقال ولكنه أكبر قليلًا وداخله يقف (سيد) مشغول بمراجعة بعض الحسابات من داخل دفتر، وقف شاب طويل القامة وسيم الملامح أمام المحل، يرتدي قميصًا أسود وسروالًا من الجينز، تنحنح وقال:

- سلامو عليكوا.

نظر (سيد) له وتأمله لثوان ثم قال بجدية:

- وعليكم السلام، أؤمر.

- كام واحد من جماعة (الدهان) جايين على المحل دلوقت، ناويين يبهدلوك، إمشي من محلك حالًا.

قال الشاب عبارته السابقة وغادر بخطوات سريعة ناحية موقف الميكروباصات حتى إن (سيد) لم يعمل عقله بالقدر الكافي لاستيعاب ما قاله الشاب، نظر له وهو يمشي مبتعدًا وأعاد العبارة في عقله مرة ثانية، إذًا عائلة (الدهان) ينوون على الغدر، لا لن يجرب ابن كبير عائلة (السلاموني)، بل سيلقنهم درسًا جديدًا لأنهم على ما يبدو لم يتعلموا من كل ما سبق، نظر لأحد أرفف المعلبات وهو يقترب

منها متمتمًا ببعض السباب لعائلة (الدهان)، ثم أزاح بضعة معلبات من السالامون ومد يده لتجويف في الحائط ليخرج منه ذلك المسدس الإيطالي الضخم ذا الماركة الشهيرة (بيريتا)، ومعه خزنة إضافية وبضع رصاصات وضعها بجيبه ثم سحب أجزاء المسدس ليصبح مستعدًا للإطلاق.

***

- وعلشان ينقذ (صفاء) حكم على موت العشرات، قامت الخناقة في القرية، وهرب جده وعيلته علشان يحتموا ببيت (أبو خطوة)، ولأن اللي عمله (جعفر) في الزمن كان كبير، فكل حاجة اتغيرت، لكن الزمن كان عامل زي النهر، ماشي لقدام، لو حاولت تغير فيه يبقى كأنك عملت فرع للنهر، فرع هايمشي شوية وبعدين هايرجع يلتحم مع النهر. وهو ده اللي حصل، مهما غير في أحداث الزمن الفرع بيرجع يصب في مجرى النهر، والزمن بيعدل نفسه بنفسه، و(صفاء) بتموت، وفكر (جعفر) إزاي يعيش مع (صفاء) مستقبله ويجبر الزمن على اللي هو عايزه.. بعد تجارب كتير لقى الحل.

***

(2005)

ظل (جعفر) جالسًا على سلم المنزل، يستمع إلى حديث (عمر) و(أليكسندر)، صحيح أنه يستمع للأصوات بصعوبة ولا يميز معظم الكلمات، لكنه يعرف أن (عمر) بخير ولن يحتاج مساعدته، فجأة سمع صوت رصاصة مكتومة، جرى من على السلم إلى مدخل الشقة وهو يحاول تمالك أعصابه وتذكر قسم (زكاروت) لكنه بمجرد دخوله الشقة وجد قارورة زجاجية صغيرة يخرج من فوهتها خرطوم متصل بكبس، القارورة بها بعض الدماء الحمراء وملقاه أمام الغرفة الأولى في الشقة.

دخل الغرفة الأولى فوجد الرمال قد أزيحت على الجانبين ولا أثر لحفرة محفورة، بل هناك سلم من الحجر يؤدي لأسفل من وسط الغرفة، فكّر ثانية أنه شعر بهزة أرضية وصوت احتكاك حجري منذ قليل عندما كان يجلس على السلم، هل انشقت الأرض؟!

نزل السلم الحجري فوجد ضوءًا شديدًا يأتي من الأسفل، الشعيرات على يده تنتصب والسخونة تزداد كلما نزل درجة لأسفل، سمع صوتًا يتحدث بالروسية.. نزل درجات السلم أسرع لكنه فوجئ بأليكسندر يعترض طريقه وهو يوجه مسدسًا إليه ويقول:

- كنت عارف إن (عمر) معاه..»

قطع (أليكسندر) كلماته وهو يشهق والمسدس يقع من يده، نظر أكثر لجعفر ثم قال بدهشة:

- (جابر)!!!»

***

جلس (جابر) على الفراش بجانب الطفل وهو يقول:

- الفكرة إنه ياخد (صفاء) ويدخلوا البيت، يرجعوا في الزمن لنقطة بعيدة، ويعيشوا مستقبلهم في الماضي، يبقى اسمها (سلوى)، وهو يبقى (جابر عبد السيد)، ويحاول يكون جزء من الزمن، لكن الزمن كان مصمم إنه يمحيه بأي شكل.

***

تبادل (حلمي) بضع كلمات مع (فالترا) ثم نظر لجابر وقال:

- دا بيقول إن هو الي طلب الكتالوجات دي من الجامعة الي كان بيدرس فيها وإنهم ممكن يكونوا بعتوا أكتر من كتالوج.

تراجع بقية العلماء الألمان للوراء خوفاً من كلمات (جابر) التي نقلها (حلمي)

بالألمانية ماعدا (فالترا) الذي ظل يلوح بيديه ناحية (جابر) وهو يصرخ بالألمانية، بينما نظر (جابر) إلى (إمام) وصرخ فيه بأن يأخذ الطرد من (فالترا).

جرى (إمام) ناحية الصندوق في نفس اللحظة التي فتح فيها (فالترا) الصندوق ليظهر داخله بضعة كتب رصت بجانب بعضها البعض، حاول (فالترا) إحداها ورفعه في وجه (جابر) وهو ما زال يصرخ بالألمانية، نفس الجمع الصعداء، ما عدا (جابر) الذي صرخ بإمام أن يبتعد لكن (إمام) كان قد وصل للصندوق ورفعه من موضعه،

هنا دوى إنفجار داخل الغرفة،

***

- ويقى (جابر) يعيش لحد سن معين.. ويقابل نفسه لما كان (جعفر) ويعلمه كل حاجة علشان (جعفر) الجديد يرجع بالزمن مع (صفاء) للخمسينيات ويعيشوا مستقبلهم وتستمر الدايرة، وكل اللي كانوا يعرفوا (جعفر) الحقيقي الزمن بيفكرهم بالأحداث الحقيقية اللي عاشوها زمان، قبل ما (جعفر) يغير فيه، بيفكرهم بأحلامهم.. بس (جابر) ماكانش يعرف إن فيه (جعفر) تاني جوه بيت (أبو خطوة)، (جعفر) بقى جزء من الزمن والحول لرصد البيت، رصد بيحمي الكائن المدفون فيه من أكتر من 10 آلاف سنة، المكان اسمه (جهنم) وحراسه اسمهم (أبو خطوة)، حراسه اللي مع الوقت نسيوا هما اتسموا كده ليه، لحد ما جه (جعفر).

***

نهض (أليكسندر) وسار حتى المكتب ليلتقي برماد سيجارته في مطفأة السجائر ويقول:

- دي حكاية بعدد سنين عمرك، أنا عرفت جدك في الفترة إلي انت كنت لسه مولود فيها، اشتغل معايا في فتح المقابر، علمني كتير وعلمته أنا كان شوية حاجات، كنا بندور على حل لمخطوط كان معايا من زمان، مخطوط بيحكي عن بيت مدفون

له سر من ألاف السنين، حياة واحدة بخصيه جيل ورا جيل، ليهم لقب المصريين يسترموه أوي، أصحاب الخطوة، أو (أبو خطوة).

أمسك (أليكساندر) المطفأة وعاد للجلوس على الأريكة وهو يكمل:

- اللقب ده مش سهل على واحد غربي إنه يفهم معناه بسهولة، يحتمل معاني كتيرة، يعني ممكن يكون المقصود بيه إنه راجل صالح ربنا اداله قدرة إن الزمان والمكان يطوي تحت رجليه فيسافر أي مكان بخطوة واحدة، وممكن يكون معناه إن صاحبه يقدر يتواجد في مكانين في نفس الوقت.

ابتسم (أليكساندر) وقال:

- طبعاً انت عارف التراث الصوفي في مصر كويس، ومش محتاج أقولك إن المصريين لما مايعرفوش يفسروا حاجة بيطلقوا عليها اسم ديني، زي لما الإسلام دخل مصر ولقبوا أجدادك باسم (أبو خطوة)، وزي ما اليهود لما كانوا عايشين في مصر زمان أوي وسموا المكان اللي فيه البيت ده باسم ديني.. (وادي هنم)، أو (جي هنم).. (جهنم)، والمصريين فضلوا يقولوا على نفس المكان طريق جهنم، وجدك وجد جدك لقبهم (أبو خطوة) بس هما مكنوش عارفين اتسموا ليه بالاسم ده.

***

أراح (جابر) جسده على الفراش بجانب الطفل ونظر للسقف وهو يقول:

- نسيت أقولك على حكاية مخطوطة، كان (جعفر) اللي جوه البيت سبب في ظهورها.. ولا أقولك.. أكملك الحكاية بعدين.

***

على مقعد المكتب جلست أفكر في الأحداث السابقة وأنا أنظر لساعتي بين الحين والآخر، (راضي) طلب مني أن أنتظره في المكتب، وكل نصف ساعة يتصل بي ويؤكد أنه سيأتي، صوته في آخر نصف ساعة كان

مرتبًا، هرشت برأسي ونهضت لألين فقرات ظهري، فانفتح باب المكتب ودخل (راضي) علي وهو يحمل أوراقًا بيده.

لاحظت أن شاربه غير موجود فضحكت وكدت أن أقول شيئًا لكن (نهلة) دخلت وراءه المكتب وهي تنظر لي بشك.

- أهلًا يا (نهلة)، هو (راضي) عملك حاجة؟

قال (راضي) بجدية شديدة:

- اسمع يا (حسام) دا بحث العمل على مخطوط قديم من أيام (محمد علي) باشا، البحث ده كان عند دكتور (جابر) من زمان، وده جزء من المخطوط بعد ما عرفوا يقروا اللي فيه.

وضع الورق في يدي، نظرت له مصدومًا من لهجته الجدية الغريبة، رفعت الورق وقربته من عيني فقرأت:

((الشكل النهائي للفقرة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم * أعرف أن ما أكتبه ...... التصديق * لكني رضيت بقضاء الله وقدره * أرسل هذه الرسالة إلى صديقي حسام عبد الوهاب المهدي وأتمنى أن تصدقني وتتجدني منا.. ... * أنا صديقك فرغلي المستكاوي * أجبرني جعفر على العودة بالزمن لهذا ... ومن حينها - مسجون به*))

***


الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm

ليلة في جهنم

2

تعلمت أنه في هذا العالم، لا شيء يبدو كما تراه

حسن الجندي

تصميم الغلاف: أسامة علام



